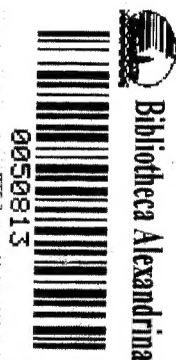
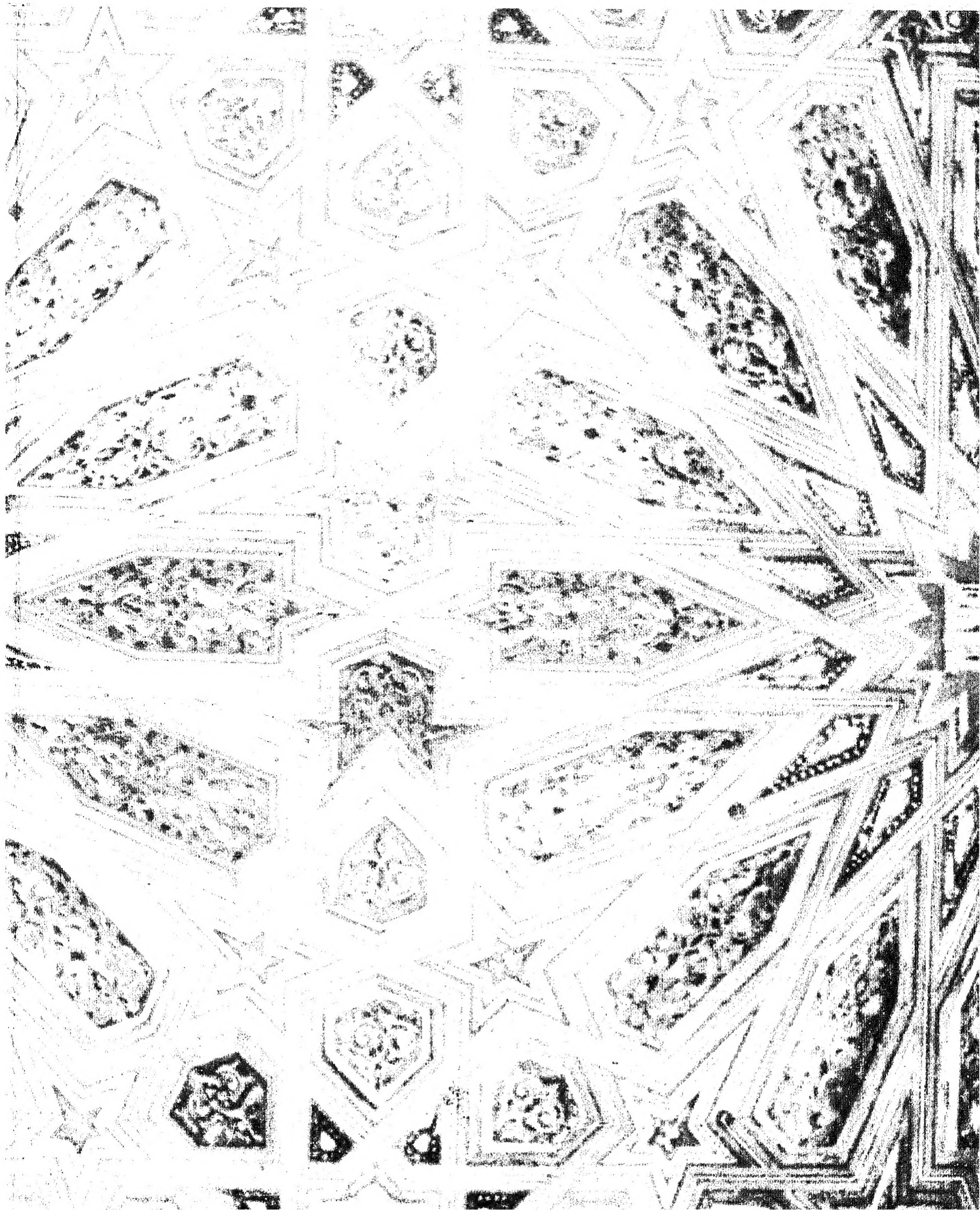
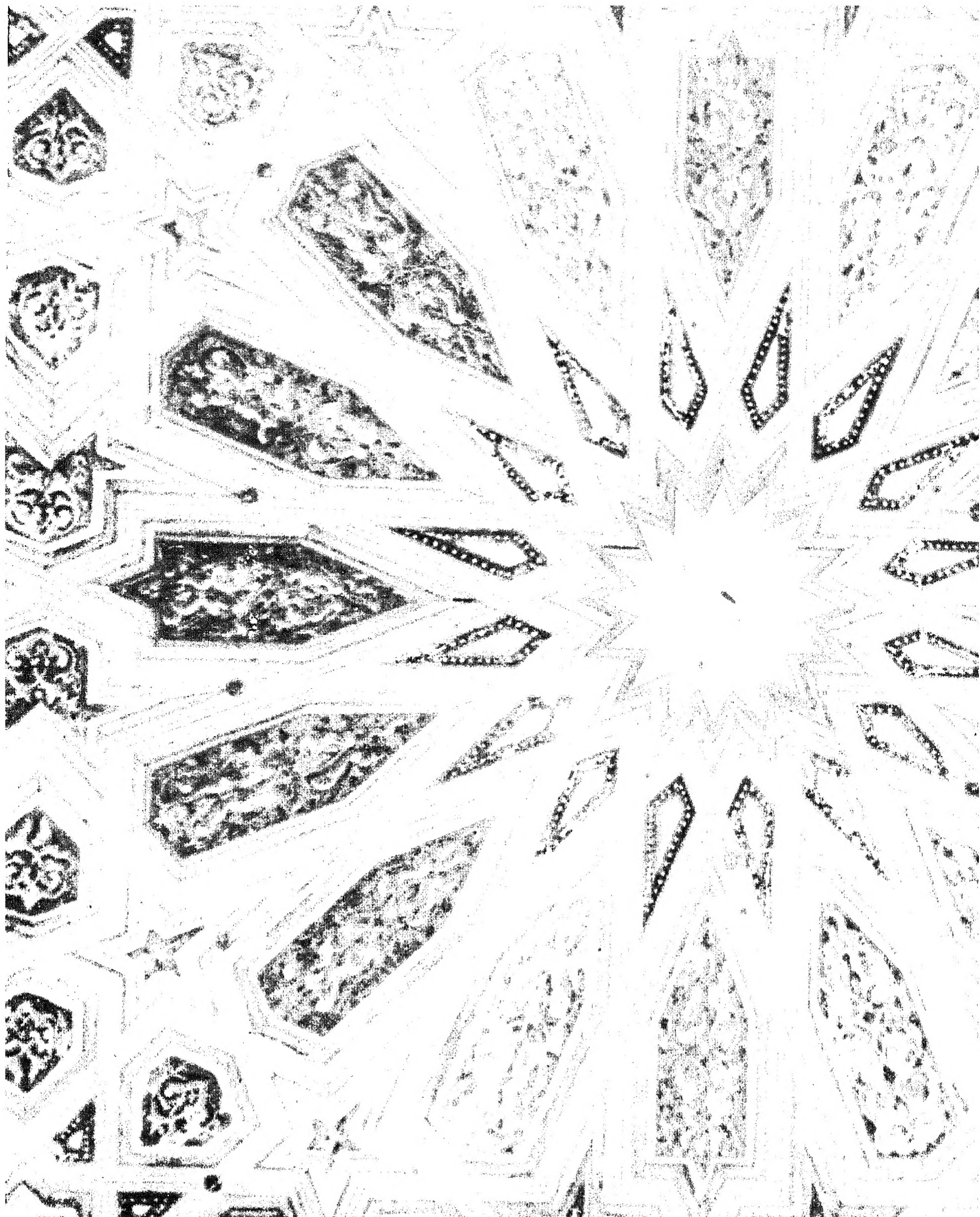


الورق

عبد الحليم وحيد الورق











أوراق أندلسية

| عبد الغاط محمد الورفلا



أوراق أندلسية

الطبعة الاولى 1990 م

حقوق الطبعة الاولى محفوظة
لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية

رقم الايداع : 1990 / 902
دارالكتب الوطنية - بنغازي

الصور ملتقطة من قبل المؤلف باستثناء :

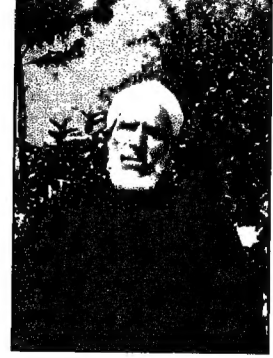
- 1- الصور رقم : 52 / 53 / 54 / 55 / 58 من كتاب « الحمراء وجنة العريف » طبع سنة 1985 م .
- 2- الصور رقم : 56 / 80 من كتاب « التصوير الفوتوغرافي في اسبانيا حتى عام 1900 م » اصدار وزارة الثقافة الاسبانية - مايو 1982 م .
- 3- الصور رقم : 61 / 62 / 67 / 68 / 120 / 121 / 122 / 137 / 149 من كتاب « كل قرطبة » باللغة الانجليزية 1986 من كتاب « الاندلس - الاسلام في اسبانيا » اصدروته لجنة « الاندلس 92 » الطبعة الاولى 1987 .
- 4- الصور رقم : 63 / 64 / 65 / 66 .
- 5- الصورة رقم 81 من كتاب « كل اشبيلية » الطبعة السابعة 1988 م .
- 6- الصور رقم : 57 / 86 / 87 من كتاب « كل الاندلس » باللغة الانجليزية 1986 .
- 7- الصور رقم : 77 / 78 / 79 من كتاب « مسجد قرطبة وقصر الحمراء » الدار العربية للكتاب - ليبيا / تونس ، 1977 م .
- 8- الصور التي كتبت عليها عبارة « بطاقة بريدية » .

● الجمع المرئي : عمر الشاذلي / صحيفة الدعوة الإسلامية

- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

● تصميم الغلاف والاخراج : عبد الفتاح سعد أحمد .

أهـ



كان أبى رحمه الله محبا للاندلس .
وما إن عدت من رحلتى الاولى حتى بدأ يطرح السؤال تلو السؤال ، يسأل عن
الآثار : عن غرناطة وعن الحمراء وعن قرطبة ومسجدها وعن هواضر الاندلس
الاخرى .

كان محبا للاندلس .
بألتى عن الذين التقيتهم هناك : كيف هم ، وكيف علاقتهم بالاسلام ،
وكيف هى حياتهم .

كان رحمه الله لا يشجعنى على كثرة السفر والترحال لاسباب خاصة جدا ، لكنه
ما ان علم بوجهتى فى رحلتى الاولى والثانية حتى حفزنى على ذلك .
وتشاء الاقدار أن يزور الجاهلية شباب من « مليلة » التقوا به رحمه الله
فى بيتى .. بألهم كثيرا ، وكان دائما يردد « لا حول ولا قوة الا بالله » .
حدثه احمد الذين تلمذوا عليه عن تركيا وآثارها واعجابه بتلك الآثار فقال
له رحمه الله : هل زرت الاندلس ؟ ولا أظنك فعلت ، فعليك ان تزور الاندلس
حتى تطلع على عظمة الآثار هناك .

كان رحمه الله محبا للاندلس .
فالى رحمه الطاهرة الهدى هذا العمل عرفانا بما قدمه لى : فعلى يديه تعلمت
القراءة والكتابة ، فعلى يديه حفظت ما تيسر من كتاب الله ، فعلى يديه تعلمت ما
لم أجده فى كتاب .

عبد الحافظ البونلى

بطاقة

من الامسيات المتميزة الرائعة تلك الامسية التي جمعتني بالاستاذ الدكتور على فهمى خشيم ،
وكعادته دائما كان مبتسما مشجعا ، وسألنى : لم لا تجمع ما كتبت عن رحلة الاندلس فى كتاب ؟
كان السؤال اكبر بكثير مما أتصور .

وروى لى قصة أول كتاب اصدده ، والذي كان بناء على سؤال وُجّه اليه لا يختلف كثيرا عن
السؤال الذى طرحه ، اما صاحب السؤال الاول فهو الاستاذ : على مصطفى المصراتى الذى كان
حاضرا فى تلك الامسية ، وكان سؤاله سببا فى عطاء مستمر ومثمر ، جاد ومتنوع .
ساعتئذ فسرت الامر على أنه تشجيع من استاذنا « على خشيم » ، وكانت كلمات الاستاذ
« على مصطفى المصراتى » تسير فى نفس الاتجاه .

قلت : انها مغامرة كبيرة ولا شك، لأن .. القضية ليست مجرد اصدار كتاب .
القضية - كما أرى - تتلخص فى أن أول كتاب هو مثل أول مقال : مثل أول خطوة ، مثل
أول كلمة فى جملة ، مثل أول حرف فى كلمة .

تتابعت الملاحظات من الزملاء والاساتذة الافاضل ، نظرت الى بعضها من زاوية المجاملة ،
ورأيت بعضها من قبيل الامانى الوردية المتفائلة .

وقبل ان اقدم على هذه الخطوة الكبيرة عرضت مشروع هذه الاوراق على اسباب ودواعى
التأليف التى وضعها واتفق عليها اسلافنا والتى لا بد لكل من يركب هذا البحر من مراعاتها ، وهى
التى أراها الطرق التى يكون السير فى غيرها ضربا من الابحار فى يم لا ساحل له ، ابحار بلا
مركب ولا دراية ولا وجهة .

ان اغراض التأليف التى وضعت منذ ان كانت الكتابة علما وفنا وهدفا وقضية لم تتغير ، ولانها
ثابتة وراسخة فان الاقدام على اية خطوة من هذا القبيل ليست بالسهولة التى يتصورها كثير من
الناس .

ولا ازعم اننى عرضت هذه الاوراق على كل اسباب ودواعى واغراض التأليف فتلك مهمة
صعبة .. لقد اخترت طريقا آخر :

جمعت هذه الاوراق وعرضتها على الاستاذ الدكتور على فهمى خشيم ، واذا به
يكرر تشجيعه .

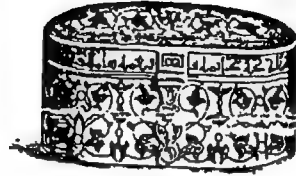
ثم وضعتها بين يدي الاستاذ الدكتور امين توفيق الطيبي الذي تفضل - مشكورا - بقراءتها والتعليق عليها والتقديم لها .
ولا أريد ان يفسر هذا على انه هروب من المسؤولية ، أو أنه تحميل للآخرين جزءا من هذه المسؤولية ، كلا فما الى ذلك ذهبت .
صحيح ان من ذكرت ومن اليهم اشرت كان لهم الفضل في الدفع بهذه الاوراق الى ان تكون بين يدي القارئ الكريم .
وصحيح أنني أقدمت على مغامرة ان كنت أدري بدايتها فلا أستطيع الجزم بمنتهاها .
لكن كلمة الفصل تظل للقارئ الكريم وحده ، فهو الذي سيقراً ، ويصوب ، ويتنقد ، ويصحح ، ويضيف ، ويلغى .
فان كانت في هذه الاوراق فائدة فهي من فضل الله وتوفيقه ، وان كانت دون ذلك فحسبي انني حرصت على ان استفيد وافيد ، وبالله الاستعانة ومنه التوفيق .

عبد العاطي محمد الورفلي

طرابلس

الجمعة : 30 شوال 1399 و . ر

م 1990 / 5 / 25



تقديم

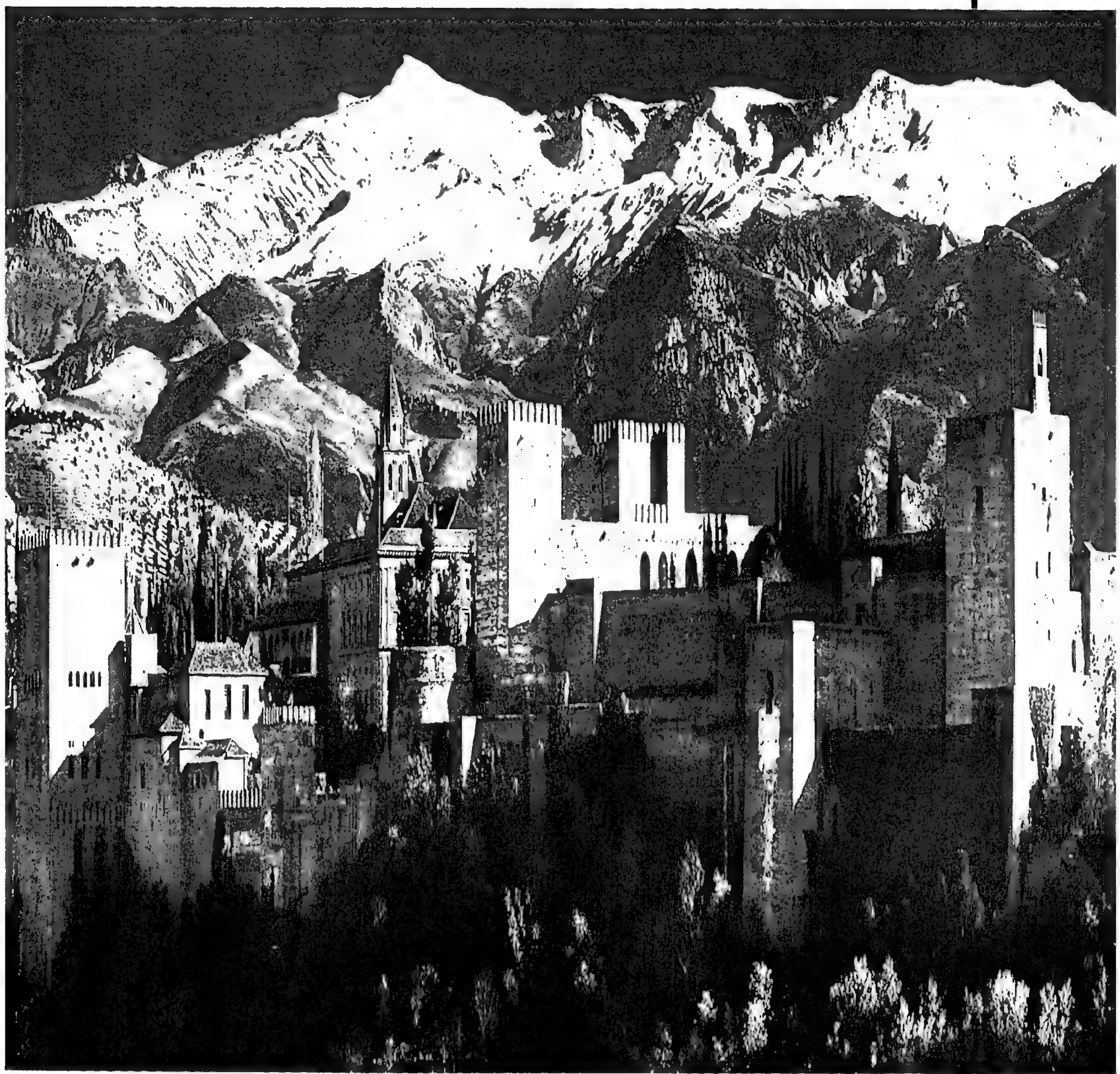
أتخفى الصديق الأديب الشاب عبد العاطي محمد الورفلي بإطلاعي على ثلاثين مقالةً جمعها معاً تحت عنوان « أوراق أندلسية » ، وهي جملةٌ من الخواطر والتأملات ، تناول فيها المؤلف جوانب من تاريخ عدد من حواضر العرب الكبرى في الأندلس ، كما تناول فيها موضوعَ الاحتفالات التي تجرى الأعداد لها حثيثاً في اسبانيا بمناسبة حلول عام 1992 ومروور خمسة قرون على اكتشاف العالم الجديد « القارة الأمريكية » ، وهو عام يصادف مطلعُه الذكرى المئوية الخامسة لسقوط آخر ممالك المسلمين « غرناطة » في أيدي العاهليين الكاثوليكين الاسبانيين فرديناند وإيزابيلا . ويشتمل القسم الثالث من هذه المقالات على فحوى مقابلات شخصية ممتعة أجراها المؤلف - وبذكاء - مع عدد من كبار الباحثين والدارسين من عرب وأجانب حول تقييم الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، وحول مخنة المدجنين ثم الموريسكيين . وفي الختام ، أورد المؤلف مقتطفاتٍ من خمس قصائد معروفة قيلت في رثاء الأندلس وحواضرها العريقة لابن الأبار البلنسي ، وحازم القرطاجني ، وأبى البقاء الرندي من أبناء الأندلس ، وأحمد شوقي ونزار قباني من المحدثين .

ان هذه الدراسات دراسات متميزة ممتعة ، وهي تبث على التدبر والتأمل ، كما تثير جملة من التساؤلات ، وفيها يبدى المؤلف - وهو مُحقٌ في ذلك - غيرته على تراثنا العربي الإسلامي المرموق في الأندلس ، وحماسه الشديد لابرازه وتسليط الأضواء عليه والاعتزاز به ، كل ذلك بأسلوب أدبي مُرسل وشائق ينم عن موهبة ادبية واعدة .

ان اهتمام المؤلف بالدراسات العربية الإسلامية منذ صباه ، والخبرة الطويلة التي اكتسبها في مجال الاعلام والصحافة ، منذ ان كان طالبا جامعيا ، أضفيا على أسلوبه طابع المنهجية وتوخي الدقة ، فضلا عن السلاسة وسهولة العبارة ، مما يجعلنا نتطلع الى مزيد من عطائه في مجال الأدب والدراسات الإسلامية .

والحق يقال إنني - كأحد المهتمين بالأندلس تاريخاً وحضارة - تمتعتُ وأفدت من قراءة ما جاء في هذه « الاوراق الأندلسية » من خواطر وتأملات ومعلومات ، ولا اشك في انها ستحظى كذلك باهتمام القراء وعنايتهم وامتعتهم ، مهما كانت مواقفهم من عدد من القضايا والاشكاليات المطروحة .

د . أمين توفيق الطيب



لمحات من ذاكرة الزمن

في المرحلة الثالثة من التعليم الجامعي كنا ملزمين بتقديم بحث مختصر كمادة من مواد الدراسة ، واخترت آنذاك أن اكتب عن الاندلس ، فقدمت بحثاً بعنوان « الاندلس : رجل وأثر وموقف » الرجل كان : عبد الرحمن الداخل ، والاثر هو : مسجد قرطبة ، اما الموقف فكان حول تلك اللحظات التي سجلها التاريخ حين خروج (ابو عبد الله محمد الصغير) من (غرناطة) وكلمة والدته (عائشة) له حينما رآته يبكي : « ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال » تلك الكلمات التي حفرت في جدار الزمن .
إن كانت للزمان جدران .

وأذكر أن استاذ مادة الحضارة الاسلامية سألني حين اطلع على (البحث المذكور) : هل تعرف السبب الذي كان وراء خروج الاسلام من الاندلس ؟! مضيفاً قوله : مع العلم بأن الاسلام مادخل ارضاً إلا وبقي فيها !
لم أكن ساعتئذ أملك جواباً محدداً .

ووجدت رأياً في نفس السياق للدكتور / مصطفى الشكعة جاء فيه : « . . . الاسلام مادخل أرضاً وخرج منها ، لقد دخل العرب - كمسلمين - بلاداً واخرجوا منها كما هو الحال في فارس وطبرستان والهند . . . ولكنهم حين خرجوا تركوا الاسلام يعيش في تلك البلاد ولا يزال يعيش قوياً حتى الآن . . . وأما في الاندلس فقد طرد العرب وحورب الاسلام حتى لم يبق مسلم واحد على ارضها »⁽¹⁾ ، وكذلك الحال في صقلية وكريت قبل الاندلس .

تتابعت السنون ، وبدأت أفتني كتباً عن (الاندلس) : عن ابطالها وعلمائها وشعرائها ومبدعيها الذين كانوا بحق اساتذة حضارة وبدأت اتعرف رويداً رويداً على (الاندلس) .

وأصبح حلم زيارة تلك الربوع املاً كبيراً - لعله - على الايام ينتصر !
اقتربت من الاندلس فكريباً عن طريق ذلك البحث الجامعي .
واقتربت من الاندلس تاريخياً وادبياً عن طريق عدد من المؤلفات سواء ماكتبه المعاصرون أو ماكتبه بعض ابناء (الاندلس) امثال : (ابن رشد) و (ابن حزم) و (ابن هانيء) و (المعتمد بن عباد) و (زرياب) و (عباس بن فرناس) وغيرهم ممن لا يحصون عدداً . . . وقبل هؤلاء جميعاً

(طارق بن زياد) الذي لو لم يقل لرجال جيش الفتح والدعوة : « البحر من ورائكم والعدو من أمامكم » لما سطرنا عرباً مسلمين احدى أجمل قصائد الحضارة في سفر الزمن .
إن كانت للزمان أسفار .

ثم اقتربت من الاندلس جغرافياً حينما انطلقت من قناة السويس الى طنجة في رحلة شبابية مابين عامي 1973 و 1975 عن طريق البر . . . ولتقف على احدى رواي « طنجة » لنرى بالعين المجردة جزءاً من (الاندلس) .

لم تكد تمضي سنوات حتى وجدت نفسي على أعتاب (الاندلس) حيث كلفت بمتابعة اعمال الملتقى الثالث لدعاة جمعية الدعوة الاسلامية العالمية بأوروبا والامريكتين والذي انعقد في الثالث الثاني من شهر النوار (فبراير) 1988 . . . ولعلها من محاسن الصدف أن تكون المهمة الصحفية الاولى التي أكلف بها من قبل جمعية الدعوة الاسلامية العالمية كانت الى (اسبانيا) التي ماعرفتها بغير اسمها التاريخي (الاندلس) ، أو ليس امراً مهماً أن يزور المرء (الاندلس) وهو في جمعية للدعوة الاسلامية ؟!

وليس من قبيل المبالغة الاشارة الى انني فيما كنت اتصفح كتابا بعنوان « الدولة العربية في اسبانيا » للدكتور : ابراهيم بيضون مساء الاحد 14 / 2 / 1988 إذ بي اسمع وارى في الاذاعة المرئية للجماهيرية العظمى بعد الساعة العاشرة ليلاً الموشح الاندلسي الشهير للاديب والشاعر الاندلسي الاشهر (لسان الدين بن الخطيب) والذي مطلعته :

جارك الغيث اذا الغيث هما يازمان الوصل بالاندلس

وغادرت الجماهيرية صباح اليوم التالي .

كما انه ليس من باب المبالغة أيضاً أن اسجل بأنني سمعت هذا الموشح ايضاً مساء الثلاثاء 23 / 2 / 1988 م ، في (مدريد) التي غادرتها صباح اليوم التالي (الاربعاء) قاصداً إقليم (الاندلس) !

الاندلس : الاسم والدلالة

حاول عدد من الباحثين مناقشة هذا الاسم : لغوياً وتاريخياً واهتموا بمدلوله جغرافياً . . . يرى البعض ان التسمية مشتقة من كلمة (الوندال)⁽²⁾ .

وحاول البعض إخضاع الكلمة لقواعد الصرف والاشتقاق ليخلص الى انها « كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم ، وإنما عرفتھا العرب في الاسلام »⁽³⁾ .
ولاتكاد معظم الآراء التي قدر لي أن أطلع عليها تضيف شيئاً جديداً . . اللهم إلا ماكان منها يحاول تبيان حدود الاندلس قديماً وحديثاً .
الكلمة الآن تدل على الجزء الجنوبي من (اسبانيا) والذي يحوي مدناً وقرى لاتزال تحتفظ بأسمائها التي لها في اسماعنا وتاريخنا وقع خاص مثل :
مالقة ، المرية ، مرسية ، غرناطة ، اشبيلية ، قرطبة ،
وغيرها من المدن التي شكلت مجتمعة عقداً ازدان به جيد الزمان .
إن كان للزمان جيد .

كثير هم أولئك الذين وصفوا (الاندلس) ومن وصفها قديماً (الحميري) صاحب المعجم الجغرافي (الروض المعطار) بقوله : « اسم الاندلس في اللغة اليونانية اشبانيا وقيل اسمها في القديم ابارية ثم سميت بعد ذلك باطقة ، ثم سميت اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان »⁽⁴⁾ .

(Hispania) قديماً كانت تطلق على شبه جزيرة (ايبيريا) حسب التعبير الروماني شاملاً (اسبانيا) الاسم القديم الذي استعمله الرومان و (البرتغال) الحديث .
ووصفها (ياقوت الحموي) بقوله « . . الاندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر ، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الحال »⁽⁵⁾ .

إننا اذا انطلقنا في طريق وصف الاندلس فلن نستطيع الاحاطة ولو بجزء يسير من المبتغى ، فالاندلس تثير في الذاكرة الماء ، وأملاً ، نشوة ، وحسرة ، ازدهارا ونكبة . . ماذكر الاندلس احد إلا واسهب في وصفها مما يستدعي رصده وسوقه المجلدات .

ان الامر الجدير بالاهتمام هو أن الرحلة شملت : مالقة وغرناطة وقرطبة وطليلطة ومدير في خط أشبه مايكون بمحاولة اعادة الاستكشاف ، مما جعل سائق الحافلة (اندلسي النشأة والمقام) يقول معلقاً بعدما علم خط الرحلة : يبدو أن النية تتجه إلى محاولة السير على خطى الفاتحين الأوائل .

اندلس اليوم : سهولاً وجبالاً ، مدناً وقرى ، قلاعاً وقصوراً ، كلمات وملامح . . لانتختلف

عن (اندلس) ما قبل 496 عاماً .

الشيء الملموس هو شكل عودة الاسلام ، ونمط التواصل الذي وصفته احدى العربيات المقييات في اسبانيا نقلاً عن بعض الاسبانيين بالقول : « لقد بدأ العرب يعودون بهدوء » مما يوحي بأن التاريخ يأبى إلا أن يؤكد حتمية التواصل بين الاسلام والعروبة والاندلس .

إلا ان للوجود العربي هناك جانبا سلبيا . . ويرى بعض الاندلسيين أن خلافاتنا السياسية كعرب تؤثر بشكل واضح في مسلمي الاندلس . وثمة اراء تنتقد مظاهر البذخ والاسراف والانحراف التي يتصف بها بعض ابناء الوطن العربي الوافدين الى اقليم الاندلس ، وقال أحد المسلمين من ابناء (غرناطة) إذا كان الاسلام سيعود الى ربوع الاندلس فاننا نتمنى الا يتم ذلك عن طريق عرب المنتجعات وعرب الملاهي ، وعرب البذخ والاسراف .

لوجود العربي عدة مظاهر ، ثمة طلاب يدرسون ، وعمال يبحثون عن لقمة العيش ، وآخرون طابت لهم الحياة فاستقروا هناك

وحين اتجهت من (غرناطة) الى (قرطبة) لمحت بعض اللوحات الارشادية تحمل أسماء بعض القرى باللغة العربية مثل (قبرة) و (قرطبة) . . وفي أحد أزقة (طليطلة) بعض اللوحات المكتوبة بالخط المعروف في الشمال الافريقي بـ (الخط المغربي) .

الكتاب العربي مفقود ، والمكتبات العربية لا أثر لها ، والاغرب من ذلك أن الكتب السياحية عن (قصر الحمراء) و (مسجد قرطبة) و (قصر طليطلة) وغيرها من المعالم الحضارية العربية الاسلامية في الاندلس أو اسبانيا كما هي الآن مكتوبة بعدد من اللغات حتى الصينية واليابانية إلا : العربية ، وهو أمر يحز في النفس كثيراً .

مع كل ذلك فان شعورا بعدم الغربة يمتزج بشعور بالارتياح يتناوب كعربي مسلم وأنت تجوب القرى والارياف والازقة والشوارع ، ناهيك عن احساس باللفة عندما تضمك جدران وأروقة القصور والقصبات والمساجد : وعندما تنأى الى سمعك كلمة (الاندلس) من الاذاعات المسموعة والمرئية ، وعندما يقع بصرك على كلمة (الاندلس) بأحرف لاتينية كبيرة في مختلف مناطق ومدن وقرى الاقليم . . وستعلم حينها أن التاريخ في تواصل مستمر ، وستيقن من ان مشعلاً اضاءه العرب المسلمون لن يخبو نوره ، وستظل نوافذ الزمان مشرعة للعطاء . إن كانت للزمان نوافذ .

لقد تعودنا كلما تحدثنا عن (الاندلس) أن يجرفنا تيار مأساوي لفقد (منطقة) ترمز الى حضارة

متميزة وعطاء نقل اوربا بكاملها إن لم نقل : العالم بأسره من مرحلة مظلمة الى واقع مستنير عمّ ضياؤه ارجاء الدنيا . ومهما كان الحديث متفائلاً فيما مضى فان مسحة من الحنين الباكي تأبى إلا أن تصبغ كل حديث .

لكن الواقع الآن يجعلنا نحس تفاقماً لاحدود له ، لأننا تأكدنا - خلافاً لكل ما قيل في كتب التاريخ - من أن الاسلام دين الله الحق لم يغادر (الاندلس) إلى الابد ، بل علينا أن نؤمن بأن الاسلام لم يغادر تلك البقاع على الاطلاق .

وما أبدعه ابناء (الاندلس) طيلة عقود من عمر الزمان لم تغيّر السنين والاحداث . فمن ملايين اشجار الزيتون كاقليم الشرف الشهير بزياتينه الى الغرب من اشبيلية وما يزال يعرف باسمه العربي Ajarafe . . الى آلاف اشجار النخيل الى القصور والقلاع والحصون مروراً بالآلاف الكلمات العربية في اللغة الاسبانية كلها شواهد تشير الى أن نور الاسلام ما انطفأ وإن كانت حقبة من الزمان قد اسدلت عليه ستارا من التعتيم .
إن كانت للزمان ستائر .

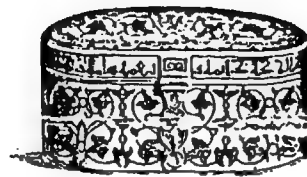
لقد تساءلت في قرارة نفسي : وماذا بعد ؟ عندما سمعت الدليل السياحي يقول لنا ونحن امام محراب (جامع قرطبة) : إن هذا الابداع الفني المعجز في نقوش المحراب والقبة التي تعلوه كان نتيجة لامتزاج ابناء قرطبة بالعروبة والاسلام . . ثم تركنا نتأمل (المحراب والقبة) ، وسجلت في مفكرتي آنئذ مانصه : ماكان ابناء (قرطبة) يستطيعوا إنجاز عمل كهذا لو لم يمتزجوا بالاسلام ، وماكان الاسلام ليصل الى هذه البقاع لو لم يتحمل العرب مهمة الدعوة اليه ونشره ، وماكان العرب ليصلوا الى هنا ليضعوا أسس هذا الابداع لو لم يعتنقوا الاسلام ويعملوا على نشره !

ثم اتساءل الآن : وماذا بعد ؟

هل أزعج أنني التقطت شيئاً ذا بال من ذاكرة الزمن ؟

ولقائل أن يقول : إن كانت للزمان ذاكرة !!

-
- 1 - الادب الاندلسي : موضوعاته وفتونه / مصطفى الشكعة - دار العلم للملايين / بيروت - الطبعة الرابعة 1979 م - ص 2 .
 - 2 - الدولة العربية في اسبانيا / ابراهيم ييضمون - دار النهضة العربية / بيروت - الطبعة الثانية 1980 - ص 2 .
 - 3- 5 - معجم البلدان - ياقوت الحموي - منشورات دار صادر / بيروت 1979 م ص 262 .
 - 4 - الروض المعطار / محمد بن عبد المنعم الحميري - تحقيق . احسان عباس - بيروت 1975 - ص 32 - 34 ويقول الحميري كذلك : « والاندلس دار جهاد وموطن رباط » .
- * ان كلمة « الاندلس » يعتقد بأنها تحوير لـ Vandalicia وهو اسم مشتق من غزاة البلاد : الوندال Vandals قبل مجيء القوط الغربيين وكلاهما من قبائل البرابرة الجرمان W . M . Watt, A - history of Islamic Spain, Edinburg 1965, p 17





[illegible]

غرناطة : آخر حبات المسبحة !

في الطائفة من « مدريد » الى « غرناطة » حاولت ان ارسم صورة للمدينة من خلال مايمكن سوقيه من حكايا التاريخ ، لكن صورة واحدة ظلت تحتل كامل مساحة الذاكرة . . ولم افلح في اجتيازها رغم انشغالي بين الحين والاخر بالنظر الى الجبال والسهول والادوية والانهار التي بدت من عل وكأنها خطوط لعب بها التظليل والتلوين اكثر من كونها جبالا وسهولا وأودية قد لا يتمكن الانسان من اجتيازها اذا ماقدر له ان يحاول ذلك . . لكننى - ومانسيت قط هذا الامر - كنت كمن خيل اليه انه يرى جند الفتح والدعوة منذ مئات السنين يطوون هذه السلاسل الجبلية في يسر وسهولة وايهان .

والصورة التي ما برحت تراودنى هي : كيف سقطت « غرناطة » بعد صمود دام اكثر من مائتى عام من سقوط كل المدن الاخرى ؟!

لقد استعصت المدينة على « فرديناند » و « ايزابييل » تسعة أشهر أو « سبعة » حتى اضطر الجيش الزاحف من الشمال الى بناء مدينة مجاورة « في الجنوب الغربى من غرناطة سموها « شنتفي Santa fe » أى : الايمان المقدس ، لاتزال قائمة الى اليوم⁽¹⁾ وكأن لسان حال القادمين يقول : (لا بد من غرناطة وان طال الحصار) .

السؤال الذى راودني لم يكن عن سبب السقوط بل كان عن الكيفية التى تم بها . . هل كان حقا - كما صورته اشعار المغادرين ؟ ام كان كما حاول صناع (الخيالة) ان يصوروه ؟! ام انه كان حدثا - جللا مهيبا رهيبا - اكبر مما حاولت ان تحكيه القصص والاشعار والملاحم ؟!

يبدو أن « استعصاء غرناطة » على القادمين من الشمال صفة ملازمة لها ، وهو خاطر انقذح فى ذهني لحظة سمعت « المضيفة » نخبرنا باننا لن نستطيع الهبوط فى مطار المدينة ، وكان لا بد من التوجه الى مدينة أخرى ، فكانت « مالقة » .

المسافة بين المدينتين تزيد قليلا عن 150 كيلومترا وظننت للمرة الثانية اننى أستطيع أن أعرف على « غرناطة » من خلال كتاب مؤلف حولها . بدأت أتصفحه وبين الفينة والاخرى كنت استرق النظر الى مظاهر الطبيعة . . وجدت ان الامر لن يستقيم على هذا المنوال . . طويت الكتاب واطلقت العنان لبصرى ليخترق آفاقا رحبة تداخلت فيها الالوان . . نهر يرافقنا - تارة ذات اليمين

وتارة ذات الشمال . . بيوت بيضاء لامعة متناثرة على بساط سندس لحدوده . . اشجار وتلال ،
وعقب التاريخ الذى خيل الى انه يفوح من كل شىء .

وبدا حوار داخلى من نوع غريب يطفو حتى كاد ان يصبح - صوتا مسموعا .

« غرناطة » بفتح أوله وسكون ثانيه بمعنى : رمانة بلسان عجم الاندلس ولعل الاسم غرناطة
« أغرناطة » إغرناطة مشتق من الرومانية (Granata = الرمانة) ، ولذلك فانه يشار اليها فى المصادر
العربية المبكرة بحصن الرمان⁽²⁾ سمي البلد لحسنه بذلك . قال الانصارى : وهى أقدم مدن (كورة
البيرة) وأعظمها وأحسنها وأحصنها ، يشقها النهر المعروف بنهر حدارة [اسمه اليوم Darro] يلتقط
منه سحالة الذهب الخالص⁽³⁾ .

دخل الاسلام « غرناطة » فى المرحلة الاولى من الفتح على يد عبدالعزيز بن موسى بن نصير
الذى قدم اليها من (مالقة) .

كانت « غرناطة » من أعظم مدن اوروبا فى القرون الوسطى ، ويبدو أن عدد سكانها قد بلغ
سنة 1311 م مائتى الف ساكن* كما قدره مبعوثون من ملك الارغون الى البابا ، إلا أن المؤرخ
الاسبانى المعاصر (ل : توراس بالباس) يرى أن فى ذلك العدد مبالغة⁽⁴⁾ .

للمدينة إسهام واضح الملامح فى الحركة العلمية والادبية طيلة القرون التى عاشتها فى رحاب
الاسلام ، ولم تكن مساهمتها قاصرة بأي حال على جانب احادي ... لقد اعطت للاندلس رجالا
ونساء لاتزال اسماؤهم وأسمائهم تتداعى الى الذاكرة كلما خطرت على البال مدن وقرى الاندلس .
من رجالها : لسان الدين بن الخطيب الذى ألف كتباً جمعت معظم الوان المعرفة : الشعر
والادب والتاريخ والموسيقى والطب . . وخصها بعدد من مؤلفاته من بينها : (الاحاطة فى أخبار
غرناطة) .

ومن كبار علمائها : ابن اللب والشاطبي والحضار وعلى رأسهم بلا منازع محمد الانصارى
السرقسطى (ت 1459) والقاضى ابوبكر بن عاصم .

ومن شعرائها : ابن زمرك الذى خلدت أبيات من شعره على جدران (قصر الحمراء) لاتزال
باقية حتى اليوم .

من رجالها الافذاذ : أبو الحسن على بن محمد القلصادى الذى يعد من أنجب علماء عصره
وهو آخر علماء الحساب والجبر عند العرب ، ومن علمائها وعلماء الاندلس المشهورين فى علم
الفلك : أبو عبدالله الفحام المعروف بأبي خريطة .

كما انجبت غرناطة عددا من علماء الطب اعظمهم : ابومروان بن زهر ، وهو آخر كبار
الاطباء المسلمين بعد الرازي وابن سينا ، من رجالها ايضا : أبو القاسم أصبغ بن محمد السمع
الغرناطي (357 - 415 و . ر) ومن كتبه : المدخل الى علم الهندسة - كتاب الهندسة الكبير - طبيعة
العدد - ثمار العدد - التعريف بالاسطرلاب ، وغيرها .

نبغت من نساء (غرناطة) الكثيرات ، منهن : حفصة بنت الحاج المعروفة بالركونية في القرن
الحادى عشر ، وفي القرن الثالث عشر : أم العلاء السيدة العبدرية التى نوه بها ابن سعيد
الاندلسى ، كما اشتهرت (أم الحسن) بتبحرها فى العلوم .

ومن نساؤها من لعبن ادوارا مهمة فى المجال السياسى مثل : (مريم) جارية يوسف الاول ،
و (فاطمة) زوجة (أبى الحسن) و (ثريا) جاريتها . وإن نسينا اسماء اخرى فلن ننسى بأي حال
(عائشة) والدة أبى عبدالله محمد الصغير آخر امراء (غرناطة) .

ومن شاعرات غرناطة : (حمدونه بنت زياد شاعرة الطبيعة والريف) وأختها (زينب) و
(نزوهون بنت القلاعى) شاعرة (المدينة) وغيرهن كثيرات .

بعد ان عاشت غرناطة أزهى ايامها بفضل الاسلام تعرضت لعدد من الاحداث بسبب نشوء الصراع
السياسى بين (ملوك الطوائف) فى الاندلس ، حيث سقطت للمرة الاولى بيد النصارى فى شهر
الصيف (يونيو) سنة 1235 م لكنها عادت لتصبح المدينة الوحيدة التى حافظت على ارتباطها
بالاسلام حتى عام 1492 م .

ويضيف الاستاذ الدكتور أمين الطيبي أن « من اسباب سقوط غرناطة اضافة الى ما ذكر
وفضلا عن المنازعات بين افراد البيت المالك ما شاب العلاقات بين بنى نصر وبين بنى مرين فى
المغرب من ريبة وتذبذب .

فقد كان بنو نصر يستجدون بسلاطين المغرب فيغيثهم هؤلاء ثم تساور الشكوك سلاطين
غرناطة ، فيخشون ان يفقدوا ملكهم لبنى مرين ، ولذلك فكثرا ما كانوا يتواطأون عليهم مع
النصارى لابعادهم عن الاندلس .

كذلك استعمال المهاجمين للمدفعية والبنادق فضلا عن حصارهم الطويل للمدينة مما
احدث مجاعة بها .

ودعونا نعيش لحظة من لحظات الوداع الاخير وذلك عندما « اجتمع الامراء للتوقيع على

معاهدة (تسليم المدينة) بكوا جميعا إلا واحدا هو : موسى بن غسان الذى قال للحاضرين « اتركوا البكاء للنساء والاطفال فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ولكن لكي تقطر الدماء ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، ولئن لم يظفر أحد منا بقبر يستر رفاته فلن يعدم سماء تغطيه وحاشا لله أن يقال ان اشراف غرناطة قد خافوا الموت دفاعاً عنها » وغادر المجلس الى داره ولم يره أحد بعدها⁽⁵⁾ .

وهكذا دخلت غرناطة الاسلام فى عهد موسى بن نصير وغادرها المسلمون فى عهد رجل اسمه موسى بن غسان .

وكانت (غرناطة) آخر حبات المسبحة التى انفرطت بسبب صراع أبناء الاسرة المالكة وهى اسرة بنى نصر / بنى الاحمر وسقطت المدينة فجر يوم 1492 / 1 / 2 حيث سلم اخر امرائها مفاتيح « قصر الحمراء » الى القائد الاسبانى : دون غرينارى .

لقد كانت الايام التى سبقت سقوط غرناطة عصبية ، تضافرت فيها عدة عوامل نتج عنها اسدال الستار على احدى مظاهر الحضارة المتميزة ، وفى وصف دقيق اثبتته « المقرئ » نستطيع ان نلمس الصورة المأساوية التى عاشتها غرناطة ، يقول : « وفى ثمانى عشرى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة ، وافسد الزرع ، ودوخ الارض ، وهدم القرى ، وامر ببناء موضع بالسور والحفير ، وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف المهمة الى الحصار والاقامة ، وصار يضيق على غرناطة كل يوم ، ودام القتال سبعة اشهر ، واشتد الحصار بالمسلمين ، غير ان النصارى على بعد ، والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير ، الى ان تمكن فصل الشتاء ، وكلب البرد ، ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وقطع الجالب ، وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء ، واستولى العدو على اكثر الاماكن خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب ، وضاق الحال ، وبان الاختلال ، وعظم الخطب ، وذلك اول عام سبعة وتسعين وثمانمائة ، وطمع العدو فى الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ، ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ، ثم اشتد الامر فى شهر صفر من السنة ، وقل الطعام ، ثم تفاقم الخطب ».

جرت طيلة فترة الحصار عدة مباحثات بين طرفين لم يكونا على قدم المساواة من حيث : القوة والاوزاع العامة ، ونتج عن تلك المشاورات والمحاورات والمباحثات التوقيع على اتفاقية التسليم ، وهو امر ذكره « المقرئ » بقوله : « وفى ثمانى ربيع الاول من السنة - اعنى سنة سبع وتسعين

وثمانمائة - استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من اهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين منها : تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وإبقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ، ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم احد عليهم الا بشريعتهم ، وان تبقى المساجد كما كانت والاقواف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يفصبوا احدا ، وأن لا يولى من المسلمين الا مسلم او يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل ، وان يفتك جميع من اسر فى غرناطة من حيث كانوا ، وخصوصا اعيانا نص عليهم ، ومن هرب من اسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه للملكه ولا سواء ، والسلطان يدفع ثمنه للملكه ، ومن اراد الجواز للعدوة لا يمنع ، ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر ما لهم والكراء ، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وأن من تنصر من المسلمين يوقف اياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ، فان ابى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما اراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرانيا ايام الحرب ، ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى ايام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ، ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ، ولا يطلع نصراني للصور ، ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ، اذ يجعل علامة كما يجعل اليهود واهل الدجن ، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ، ومن ضحك منه يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة ، وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده ، وأمثال هذا مما تركنا ذكره». لكن الذى حدث اثر ذلك لم يكن يمت الى نصوص هذه الاتفاقية بأى شكل ، ان ما حدث بعد ذلك يعد بحق أسوأ تصرف عرفته الانسانية ارتكز فى اساسه على التعصب الدينى بمباركة مختلف المؤسسات الكنسية وفى مقدمتها بلا ريب الكنيسة فى روما ، فما الذى حدث بعد ان اكتسح النصارى مدينة « غرناطة » ؟ لنقرأ ما يقوله المقرئ : « ثم ان النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة عروة ، الى ان آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة اربع وتسعمائة ، بعد أمور وأسباب اعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا : إن القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ، ففعلوا ذلك ، وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ، ثم تعدوا الى امر آخر ، وهو ان يقولوا للرجل المسلم : إن جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ، ولما فحش

هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم ، وهذا كان السبب التنصر ، قالوا : لأن الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت ، وبالجمله فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، امتنع قوم من التنصر ، واعتزلوا الناس ، فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما ، فجمع لهم العدو الجموع ، واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا ، إلا ما كان من جبل بللنقة فإن الله تعالى أعانهم على عدوهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة ، وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من ما لهم دون الذخائر ، ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلى ، فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ، ومنعواهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله لهم ناصرا ، الى ان كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف أخر بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس».

(غرناطة) اليوم لم تنفصل عن تاريخ الامس ، لم تتنكر له ، لم تحاول على مايدو ان تسدل ستائر النسيان على ماض تولى . . انها مدينة تعيش بعضا من ملامح التاريخ القديمة وهى على اعتاب القرن الحادى والعشرين .

وفى حي (البيازين) ** يمكنك ان تلمس صور التواصل من حيث النمط المعمارى السائد ومن حيث الوجود العربى الاسلامى . . ومن خلال بعض « الاماكن المخصصة للصلاة » التى يرتفع من خلالها نداء الحق والايان خمس مرات كل يوم .
اما خارج هذا الحي فلن تنفصل عن التاريخ رغم انك تعيش حاضرا وترى ملامح غد فيه بعض مما ينبهك الى أن غرناطة لا تزال وفيه للتاريخ .

المدرسة لا تزال كما هى منذ قرون : طابعها المعمارى واسمها ، سوق العرب ، القيسارية ، الحمام البخارى العربى . . كلها شواهد لا تجعلك تنسى الماضى وأنت تتحرك مع جيل القرن الحادى والعشرين .

المعلم المهم الذى اختفى نهائيا هو المسجد الجامع الذى كان فى وسط غرناطة والذى حلت محله الكاتدرائية الان وكان قائما فى القرن الحادى عشر ثم وسع وزيد فيه فى القرن التالى وكانت المدرسة او الجامعة تقع امام مبنى المسجد ولا يزال قائما منها منصة التدريس .

وفي العهد النصرى ، أحدث الحاجب رضوان النصرى « ت 28 رمضان 760 هـ / 1359 / 8 / 27 » المدرسة بغرناطة ولم تكن بها بعد ، وسبب اليها الفوائد ، ووقف عليها الرباع المغلة . . . فجاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرها وظرفا وفخافة ، وجلب الماء الكثير اليها من النهر⁽⁶⁾ .

يقول السيد هارون كارا جويل أمين جمعية مسلمي غرناطة : يبلغ عدد المسلمين من أبناء غرناطة 300 مسلم تقريبا من أصل 3000 مسلم من جنسيات مختلفة ، بينما يصل عدد سكان منطقة « غرناطة » حوالى 800,000 نسمة .

المسلمون هنا يخشون من التفرق بسبب اختلافات ترجع فى اصولها الى التعصب المذهبي ، اضافة الى ما يحدثه الواقع العربى الراهن من شروخ فى صورة يأمل مسلموا غرناطة ان تظل نقية من كل خدش .

وقال الاخ « شعيب محمد عبدالرحمن » أحد مسلمي غرناطة - حين التقينه فى بيته - عن مظاهر الاختلاف التى يعانى منها المسلمون فى هذه المدينة بأنها ترجع الى بعض الاراء ذات النزعة المتزمتة والتى ترى الاسلام مظاهر وازياء بينما الاسلام كما وجدته - يضيف الاخ شعيب دين كامل متكامل دين معاملة وخلق وليس دين مظاهر .

ومع ان المسلمين يحاولون تأمين قدر كاف من التعليم لابنائهم الا انهم لم يصلوا بعد الى مايمكنهم من ذلك . . وما يحصل عليه الابناء من معلومات يتوقف فقط على المجهود الذاتى لكل اسرة . . والمساجد التى هى عبارة عن « اماكن مؤجرة » لاتوفر الحد الأدنى من التعليم . ومع هذا فان عددا من ابناء الاندلس المسلمين يحاولون وضع الحلول ولو بشكل نسبي لعدد من القضايا التى تهمهم وتهم أبناءهم .

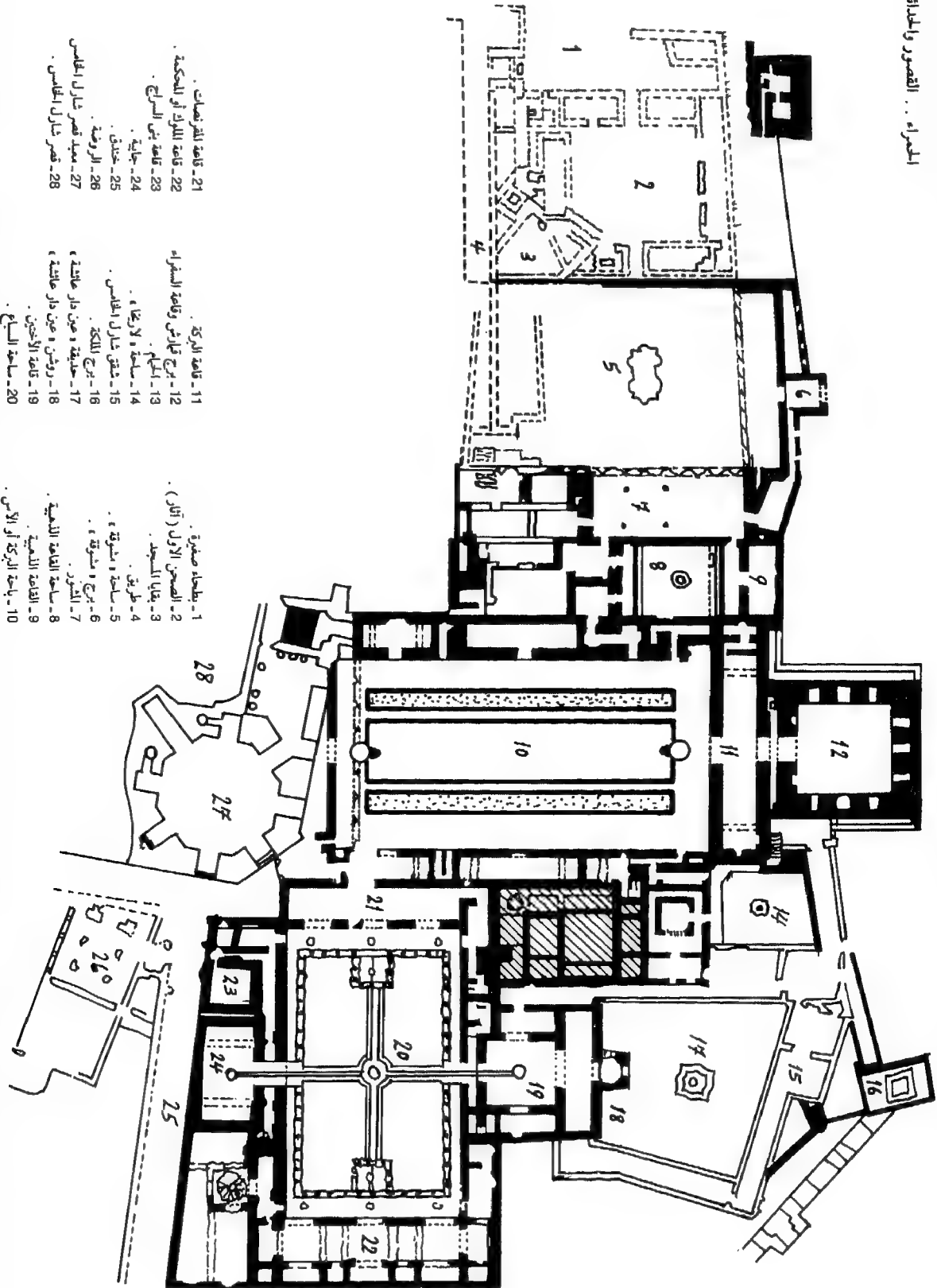
ان الخطر الحقيقى يكمن فى محاولة البعض استغلال هذا الواقع للتدخل من خلاله فى شئون المسلمين وبث الفرقة وبذر الفتنة فيما بينهم من خلال نشر عدد من الافكار والاراء والمظاهر التى لا تتفق وساحة الاسلام ، كما لا تتفق وواقع مسلمى غرناطة الذين اکتوى اجدادهم بنار الفرقة والاختلاف .

مع كل ذلك فان مسلمى المدينة متفائلون . . ويأملون ان تكون مدينتهم « غرناطة » هى أولى حبات المسبحة التى ستتظم مدنا وقرى أخرى فى حركة نحو دين الله الحق : الاسلام . مدينة « غرناطة » لاتزال تحتفظ بالعديد من المعالم التى أعطتها هوية متميزة لا فى الاندلس

وأوروبا فحسب بل في الدنيا بأجمعها . . وهو ما عبر عنه أحدهم بقوله : اذا حاولنا ان نتحدث عن « غرناطة » دون خصائصها التاريخية الاسلامية فماذا عسانا نقول ؟ !
اما « قصر الحمراء فهو المثال المنعدم النظير للعمارة المدنية الاسلامية الذي تتجلى فيه براعة المهندس العربي الذي وضع تصميمه ورسم خريطته وزخرفة جدرانها، وسطر لنفسه بهذه الاعمال الجليلة فيها جمال الفن الاسلامي وعظمة العرب في صناعة البناء والزخرف »⁽⁷⁾ .

-
- 1 - 5 - 7 - الفنون الزخرفية الاندلسية في المغرب والاندلس . محمد عبدالعزيز مرزوق دار الثقافة - بيروت - ص 60 + هامش 2 / هامش 4 / ص 92 .
2 - الروض المعطار ، ص 33 . الاحاطة ، 91 / 1 - 131 / 1 .
3 - معجم البلدان / ياقوت الحموي / دار صادر - بيروت 1979 م المجلد الرابع ص 195 .
4 - مسجد قرطبة وقصر الحمراء الفكرة والاشراف : محمد المصمودي ، الدار العربية للكتاب - طرابلس تونس 1977 ص 102 - 104 .
5 - تاريخ الادب العربي عمر فروخ دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى 1981 م الجزء الرابع ص 195 .
6 - الاحاطة في اخبار غرناطة - لسان الدين بن الخطيب ج 1 / ص 508 - 509 .
* قدر عدد سكان مملكة غرناطة بنحو مليون نسمة ، بينما قدر سكان قشتالة بنحو ستة ملايين .
D.W.Lomax The Reemgust of Spain, London 1978, P. 162
** « البياسين » نسبة الى مدينة بياسة Baeza - شرقى قرطبة - اذ نزح أهلها عنها بعد سقوطها في ايدي النصارى واستقروا في الربض او الحى الذى عرف باسمهم الى اليوم « Albayzin »





- 1- قاعة البركة.
- 2- قاعة الموائد أو المحكمة.
- 3- قاعة نبي السراج.
- 4- جانية.
- 5- جندقي.
- 6- الروضة.
- 7- معبد قصر شارل الخامس.
- 8- قصر شارل الخامس.
- 9- قاعة الأختين.
- 10- ساحة السباع.
- 11- قاعة البركة.
- 12- برج تاراش وقاعة السقراء.
- 13- الحمام.
- 14- ساحة و لايجا.
- 15- شقق شارل الخامس.
- 16- برج الملكة.
- 17- حديقة و عين دار عائشة.
- 18- روض و عين دار عائشة.
- 19- قاعة الأختين.
- 20- ساحة السباع.
- 21- بطناء صغيرة.
- 22- الصحن الأول (آثار).
- 23- بقايا المسجد.
- 24- طريق.
- 25- ساحة و مشوقة.
- 26- برج و مشوقة.
- 27- القدر.
- 28- ساحة القاعة الدمية.
- 29- القاعة الدمية.
- 30- باحة البركة أو الأس.

الحمراء : حقيقة لا تدرك !!

« لو وصفنا الحمراء بكل صفات البذخ والثراء والجمال والرونق ، ولو سميناهما حسب أهوائنا : دار المفاجآت أو دار المعجائب أو دار المعجزات ، ثم ألفنا فيها الكتب المتعمقة والمدايح الطويلة والاشعار البليغة ، لما خطر ببال من زارها وتنقل في اجنحتها وشاهد روائعها ان يتهمنا بالمبالغة والاسراف ، لأن الحمراء لا توصف ولا تمدح بل تشاهد فقط ، وأي ذاكرة تقدر على تسجيل واستحضار آلاف الصور والمشاهد الماثلة في كل مدخل ونافذة وزاوية ⁽¹⁾ . . .

ولو حاولنا ان نستخدم كل تقنيات التصوير الثابت والمتحرك وجئنا لذلك كل المبدعين في هذا المجال فانا سنكتشف اننا لن نستطيع نقل ولو جزء يسير من الحقيقة . . . فالحمراء كما هي تأبى الا ان تهزم الجميع .

واذا كانت الات التصوير وتقنياته الحديثة استطاعت ان تنقل ادق التفاصيل مما يرى وبعضها مما لا يرى ، فانها ستظل امام الحمراء مجرد آلات بدائية لا يمكنها ان تقترب من الحقيقة فكيف بتسجيلها أو نقلها ؟

واذا كانت الكتابات لا تتشابه مثلما لا يتشابه الكتاب فان الكتابة عن « الحمراء » تخرج عن هذه المسلمة . . ان الكتابات حولها تتشابه وتتماثل ولا تكاد تتبين اختلافا مهما في كل ما كتب عنها ، شعرا أو نثرا .

اقرأ ما تريد من « شعر » كتب عن الحمراء .
واقرا ما تريد من نثر كتب عن الحمراء . . ثم حاول ان تتلمس الفرق بين كل ما قرأت . . .
اكاد اجزم بأن ذلك لن يكون سهلا ، ان لم اقل - جازما ايضا - بأن محاولة العثور على فروق جوهرية ستكون من باب المستحيل !!

لا تقل : كيف ؟ فذاك امر يخص كل من كتب .

وان كان لا بد من ان تسأل فقل : لماذا ؟!

وهنا يمكن القول : الحمراء حقيقة لا تدرك !!

ما ان وصلت « غرناطة » حتى بدأت أتطلع من نافذة الحافلة باحثا عن اهم معالمها ، وفي الحقيقة ما كنت ابحث عن شيء سوى « الحمراء » لم يطل البحث كثيرا ، لأن « الحمراء » لا تخفى

نفسها فهي على ما يبدو ليست كغرناطة تستعصى على القادمين اليها . . لم استطع زيارة « الحمراء » في اليوم الاول ، لا لأنني ابحث عن شيء غيرها ولكن لأنني اخترت ان ارى ما حولها أولا . . ولا أخفى ان شعورا غريبا بدأ ينمو في مخيلتي تحول الى رهبة لم ادرك كنهها !!
انها بجدرانها الخارجية مبان صامته ، وهي في احسن الاحوال تنبثك - ان هي تحدثت - بأنها تحتل ربوة تطل من خلالها على كل المدينة ، انها ليست « فاتنة » تأخذ بالالباب منذ الوهلة الاولى ، انها « رائعة » تزداد معالم حسناتها وضوحا كلما اقتربت منها .
تاريخها : تاريخ مدينة ، تاريخ حقبة من الزمن ، تاريخ حضارة . . تاريخ خاص قل ان يتكرر .

بدىء في بنائها ايام « ابو الوليد اسماعيل » خامس امراء « بنى الاحمر » [تولى من سنة 1314 الى 1325 م] الذي بدأ في بناء القصر ، ثم ابنه « الحجاج يوسف » [تولى من سنة 1333 م الى 1354 م] الذي زاد في القصر ، ثم ابنه « محمد » الملقب بـ « الغنى بالله » [تولى للمرة الاولى من سنة 1354 م الى 1359 م ثم من سنة 1363 م الى سنة 1399 م] وقد وسع من رقعة القصر وألبسه حلة من الجمال الفنى .

استمر بناء « الحمراء » زهاء خمسين عاما ، ويجد المؤرخون صعوبة بالغة في تمييز الاضافات التي احدثها امراء « بنى الاحمر » نظرا لامتزاج الاضافات من جهة ، ونظرا لان البناء شكّل بعد اكتماله قطعة فنية ليس بين اجزائه اي تنافر من جهة أخرى .
سلمت مفاتيح القصر فجر يوم 1492/1/2 م .
استمرت العناية به طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر .
لحقها الاهمال مدة طويلة في القرن الثامن عشر ، وتأثرت بقصف مدفعى قوى اثر في اسوارها آخر ايام الفرنسيين بأسبانيا .

اهتم بها الاسبان واحاطوها بعناية فائقة فسجلت سنة 1870 م ضمن المعالم القومية .
أهم اشغال الترميم والصيانة بدأت سنة 1915 م .
لم يزر أحد « الحمراء » الا وكتب عنها ، الا ان الظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا هي ان الجميع قالوا ما بدا لهم « شعرا او نثرا » . . وما ان يقتربوا منها حتى تتضاءل القدرة على الوصف . . ثم تنعدم تماما حينما يصطدم الكاتب « شاعرا كان ام ناثرا » بجدرانها واروقتها وحدائقها .
وهنا تلتقى « الحمراء » بغرناطة في صفة الاستعصاء . . انها تستعصى على الجميع ، يتوقف

الادراك المصور والمعبر ، ولن يبقى في الواقع الا : الانبهار ولا شي سواه .
السقوف والجدران والاروقة واعمدة الرخام والنوافذ ونافورات الماء والحدائق كل جزء يسير
منها يشكل حالة خاصة نادرة تنمى في الرائي شعورا بالانبهار . . . قد تقرأ هنا آية من القرآن
الكريم ، وقد تفلح ان تقرأ بيتا من الشعر في جزء آخر ، وقد تكتشف ان كل ما تراه هو عبارة عن
حرف عربى يبحر عبر القرون رغم انه لم يغادر هذا الجدار أو ذاك الجدار .

« ولا غالب إلا الله » عبارة لا يمكنك ان تهرب منها فهي موجودة في كل شيء تقريبا . . . وهو
شعار بنى الاحمر الذى استقر بعدهم على جدران الحمراء حتى الآن !!

من الثابت تاريخيا ان اي معلم اسلامي « لم يكتسب قط اعجاب الادباء الغربيين مثلما اكتسبت
الحمراء » وقد زارها كبارهم في القرن الماضي مثل « شاتوبريان » الذي ألف حولها قصته « آخر بنى
السراج » و « فيكتور هوجو » الذي كتب « شقيقاته » الشهيرة و « واشنطن ارنغ » الذي خلف اثرا
ادبيا قيما سماه « قصص الحمراء » وكذلك « ثيوفيل غوته » و « لايتن » وله قصة سماها « ليلي » ،
و « امنوال فرناندز غنزالاز » الذي سمى كتابه « الله أكبر » ، وغيرهم كثير ممن نسجوا على منوال
الكاتب « برازدي هيتا » في كتابه « الحروب الداخلية في غرناطة » . . . ولم يكن اهتمام الادباء العرب
بها اقل فزارها [عدد كبير منهم] لكن مشاغلهم واحاسيسهم ازاءها كانت مغايرة لمشاغل ادباء
الغرب ، حيث اتوها للبكاء على اطلالها وتركوها بحسرة واسى ⁽²⁾ .

يبدو انه ليس من المجدى تقديم وصف للحمراء ، لا لأن ذلك من نافلة القول ، بل لانه من
الامور التى لا أدعى اننى استطيعها .

ما يمكن قوله في هذا الصدد بعض الملاحظات :

ثمة رسم على « باب الشريعة » أول ابواب القصر يمثل « كفأ » مفتوحة بجوارها رسم
لمفتاح . . . وحول هذا الرسم عدة اساطير . . . منها ان المسلمين في غرناطة كانوا يقولون بأن مفاتيح
« الحمراء » لن تسلم الا اذا تحركت الاصابع المرسومة نحو المفتاح !!

لقد كان تسليم مفاتيح « الحمراء » معلقا على امر مستحيل . . . لكنه حدث ! وثمة من يفسر
الرسم بأنه يشير الى قواعد الاسلام الخمس .

الا ان « مارثيدس مارتين » مرافقتى صحبة الاخ هارون كاراجويل اخبرتنى وهى تشير الى
النقش بأن ثمة رأيا لدى المسيحيين حول هذا الرسم مؤداه ان المسلمين لن يعودوا الى « غرناطة »
الا اذا تحركت اليد المرسومة نحو المفتاح .

وهو امر مستحيل بالنسبة للرسم لكن عودة الاسلام الى « غرناطة » اصبحت امرا واقعا .
« ومن الغريب ان الكثيرين من أهل « غرناطة » يعلق كفا في حزامه أو على بابه ظنا منهم بأنها
تحمى من يحملها من الحسد »⁽³⁾ .

وهو تفسير منتشر في بعض الاقطار العربية من بينها الجماهيرية وهو ما يعرف عندنا باسم
« الخميسة » .

حين تجولك في « الحمراء » لا يمكنك ان تشعر بالوقت وربما بالزمن ، وهو أمر لمسته حينما
فوجئت بأن خيوط شمس الغروب بدأت تنعكس على جدران القصر لتضفى عليها جلالا ورهبة . .
كيف لا وأنت ترى بالعين المجردة غروبا يجلل « الحمراء » ذات مساء وغروبا جللها منذ الاف
الايام !!

وما ان حلت لحظات الغروب حتى انطلقت في الارحاء من الكنيسة المضافة الى « الحمراء »
الموسيقى والترانيم الكاثوليكية . . انه تأكيد للغروب الحسى على ما يبدو .

سألت مرافقي : هل هذا تقليد يومى ؟

لم اجد لديهما جوابا محددًا !

غادرنا « الحمراء » سيرا على الاقدام . . وتلاشى صوت الاناشيد الكنسية امام اصوات
الطيور العائدة الى أوكارها وخرير المياه المنبعث من « القنوات » و « المساقط » والتي تخرق
« الحمراء » وغابتها الكثيفة .

ثم تلاشى كل شي حينما ابتلعتنا شوارع « غرناطة » في طريق العودة . . وحينما داهمت اسماعنا
ضوضاء القرن العشرين .

ان لحظة اليقظة من الانبهار الذى تفرضه « الحمراء » على زوارها لا تأتى دائما بشكل
سريع . . ربما يظل الانبهار ساعات أو اياما . . وربما اشهرا وسنوات .

وأبى مضيافى الا ان يؤكد على ذلك حينما سألتنى « مارثيدس » أثناء تناولنا العشاء ببيت الاخ
هارون : قلعة الحمراء رائعة . . اليس كذلك ؟!

- 1 - مسجد قرطبة وقصر الحمراء نصوص عبد العزيز الدولاتي - نشر الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس 1977 ص 116 .
- 2 - نفسه ص 110 - 111 .
- 3 - الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس محمد عبد العزيز مرزوق - دار الثقافة - بيروت ص 93 .

* فيما يتعلق بالمعلومات التاريخية تم الرجوع الى عدد من الكتب عن الاندلس وقرطبة .
ورد ذكر « الحمراء » في نصين من كتاب « التبيان » للامير عبد الله بن بلقين ، آخر امراء بني زيري في قرطبة والذي ألفه في منفاه في المغرب « بعد ان خلع المرابطون » في حدود عام 487 هـ / 1094 م .

1 - النص الاول ص : 54 يقول : « وصار اليهودي [يوسف بن النغيلة وزير ابن باديس بن حبوس ، جد الامير عبد الله] منتقلا من داره الى القصبة حذرا من العامة ، حتى يتم ما أمل [كان اليهودي متواطئا مع صاحب المرية المعتصم بن صبادح لخلع باديس بن حبوس] ، فأنكر ذلك الناس مع بنيانه لحصن الحمراء * على انه اذا دخل ابن صبادح البلد ، صار هو بأهله اليها [اي الحمراء] الى ان تتوطد الحال » .

* على هذا النص يعقب الاستاذ الدكتور امين توفيق الطيبي قائلا : « اثناء الفتنة بين العرب والمولدين في كورة إلبيرة [قرطبة] سنة 276 هـ / 889 م ، احتسب العرب بحصن قرطبة ولما كان سور الحصن متداعيا ، فان المدافعين العرب كانوا يقاتلون نهارا ويبرمون السور ليلا ، ويعتقد ان الحصن كان يقوم على أقصى الطرف الغربي من السبيكة ، وقد أخلي في الايام الاخيرة لخلافة قرطبة ، ويبدو أنه هو حصن الحمراء الذي اعاد بناءه يوسف بن النغيلة « ابن حيان القرطبي : المقتبس 3 / ص 56 ، 62 ؛ ابن الأبار : الحلة السراء ، 1 / ص : 149 .

2 - النص الثاني ص 130 : « وذلك اني [المتكلم هو الامير عبد الله صاحب كتاب « التبيان »] لما أمرت ببنيان السور المتصل بالحمراء * . . . هيأت السعادة ان وجد البناؤون قمقوماً مملوءاً ذهباً أعلموني به ، فلما وقفت عليه ألفيت فيه ثلاثة آلاف مثقال [دينار] جعفرية . . . فاستبشرت بها وقلت : من اسامه يقوم بنيانه . . . وكانت دار ابي الربيع اليهودي الخازن للاموال في دولة جدى - رحمه الله - مبنية على ذلك الاساس فعلمنا انه من ماله المدفون » .

* وحول هذا النص يقول د . أمين الطيبي : « سبق ان ذكر الامير عبد الله حصن الحمراء الذي رعه يوسف بن النغيلة في فترة مداخلته لصاحب المرية (التبيان ، ص 543) ، وكان هذا الحصن يقوم على الطرف الغربي من السبيكة ، التي عرفت كذلك بالحمراء لكون تربتها وحجارتها حمراء اللون .



قرطبة : تاريخ يتهاطل

بين « قرطبة » و« الجماهيرية » عدة روابط يأتي في مقدمتها بلاريب كون « مصحف الجماهيرية » كتب وفقا لرسم « الداني » والداني هذا هو أحد أبناء « قرطبة » .

وفي طرابلس احدى مدن الجماهيرية محلة تسمى « محلة قرطبة » وهي موطن اقامتي - حتى كتابة هذه الاسطر - ولعله من محاسن المصادفات ان زيارتي لمدينة « قرطبة » كانت يوم جمعة ، وهو امر لم يأت مصادفة بل كان بناء على اختيار محدد سلفا لارى مسجدها الجامع في يوم « جمعة » .

وكنت في قرارة نفسى ارسم صورة لآلاف المصلين وهم يذكرون الله في مسجد استمرت عمليات بنائه وتوسيعه أكثر من قرنين .

يبدو اننى استطعت اجتياز عقبة ، والعقبة التى اعنيها تتجسد في صعوبة اختيار مدخل الحديث عن « قرطبة » والصعوبة هنا امر متيقن .

وللحديث عن « قرطبة » الف مدخل أو يزيد ، لا اقول ذلك مبالغة . . وحسبى ان أورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر للتدليل على صحة ماذهبت اليه .

الحديث عن « قرطبة » يمكن ان يبدأ من عبد الرحمن الداخل ، ويمكن ان يبدأ من ابن حزم أو من القرطبي صاحب التفسير الشهير ، أو من ابن حيان المؤرخ المشهور أو من ابن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » أو من « ابن زيدون وولاده بنت المستكفي » أو من زرياب وابن فرناس وابن عبد ربه صاحب « العقد » وابن الكتاني والزهاوى الطبيين .

ولك ايها القارىء الكريم ان تعدد اكثر من الف اسم لاتقل أهمية عن ذكرى .

والحديث عن « قرطبة » يمكن ان يبدأ من : مسجدها الجامع أو من قصور الزهراء أو قصور الزاهرة . . ولك ايها القارىء ان تعدد اكثر من مائة اثر لاتقل أهمية عما اشرت اليه .

والحديث عن « قرطبة » يمكن ان يبدأ من سلسلة الاضطرابات التى عاشتها المدينة واشهرها « ثورة أهل الربض » أو من تسلط الوزراء على الامراء أو من صورة البذخ الخيالى الذى عاشته المدينة .

الم أقل لك بأن بداية الحديث عن مدينتنا مهمة صعبة ؟!

صباح الجمعة 1988 / 2 / 26 الساعة السادسة والنصف صباحا كنت في محطة الحافلات

بمدينة « غرناطة » قاصدا « قرطبة » ومنيت النفس برحلة سريعة حيث ان المسافة بين المدينتين لاتزيد عن 170 كيلو مترا . . . الا ان ذلك لم يحدث .

استغرقت الرحلة اكثر من اربع ساعات . . . وخلال هذه الرحلة لمست ما معنى ان يكون الاندلس موصوفا من قبل المؤرخين بكونه حديقة الحضارة العربية الاسلامية . . ان اشجار الزيتون على سبيل المثال لا تنقطع مزارعها من ضواحي غرناطة وحتى مسافة 30 كيلو مترا قرب « قرطبة » تقريبا . . لا يخلو منها جبل أو سهل .

ان كل القرى التى مرت بها الحافلة والتى توقفت فيها جميعا اما لنقل الركاب أو لتوزيع الصحف الصادرة صباح ذلك اليوم أو لتوزيع البريد - ان كل تلك المدن والقرى لاتزال وفيه للتاريخ بقلاعها أو بحصونها أو ببقايا اسوارها أو بنمط معمارها أو بأسسائها ، ومنها مدينة « قبرة » التى كتب اسمها باللغة العربية على اللوحة الارشادية المشيرة اليها ، و « لقبرة » اسم ورجال ودور تحفظه لنا كتب التاريخ .

عند منتصف النهار تقريبا تبدت « قرطبة » بمبانيها البيضاء المتناثرة في سهل منبسط تحرسها سلسلة من المرتفعات وما ان يتبع المرء مسار نهرها المعروف منذ قرون باسم « الوادى الكبير » حتى تقع عيناه على اهم معالمها التاريخية الباقية منذ ثمانية قرون .

« وقرطبة » التى رأيتها تختلف كثيرا عن « قرطبة » التى كنت اتوقع رؤيتها . . اشياء كثيرة طواها النسيان ، وأقل القليل كان - على ما يبدو - قادرا على الافلات من سجلات التاريخ .

ولقد « ظلت قرطبة سيدة المدن . وكانت بضواحيها الثمانى والعشرين في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث « الناصر لدين الله » حوالى منتصف القرن العاشر اكبر مدن أوروبا كلها ، وعلاوة على تلك القصور حوت قرطبة 13,000 منزل و 600 مسجد و 300 حمام و 80 مدرسة و 17 مدرسة عليا ، و 20 مكتبة عامة فيها عشرات الآلاف من الكتب . كان ذلك حال « قرطبة » في وقت لم يتجاوز فيه تعداد اى من المدن الاوربية 30 ألف نسمة اذا استثنينا القسطنطينية . ولم يكن في هذه المدن اقليم اوروبى يملك مدرسة عليا أو مستشفى ؛ كما ندر فيها وجود المكتبات العامة او الحمامات . ولم تعرف أوروبا انذاك الانارة والشوارع المرصوفة بل كانت شوارعها مظلمة ملأى بالقاذورات والوحل .

وبينما جريدة « كولونيا الالمانية » تصف اضاءة الشوارع بمصابيح الغاز في عددها الصادر يوم 28 مارس 1819 م بأنه شر مستطير من البشر يهدد الظلام الالهى كانت شوارع قرطبة حوالى عام 950 م

تزدان بشمانين الف متجر وتضاء ليلا بمصابيح ثبتت على حيطان المنازل وتباشر فيها اعمال النظافة عن طريق عربات القمامة التي تجرها الثيران .

ومضى على ذلك قرنان من الزمن قبل ان تتخذ باريس عام 1185 م من قرطبة مثالا لها فترصف شوارعها ، وتنظفها . ومضى قرن آخر قبل ان تحذو بقية المدن الاوربية حذو باريس .

وتسجل الراهبة الشاعرة « هرزوفيتا » وهى فى صومعتها بدير « جانورزهايم » بسكسونيا بشمال ألمانيا اعجابها بقرطبة فى أغنية جميلة :

« قرطبة المدينة الشابة هى زينة الدنيا .

قرطبة شهيرة . . بجماها فخورة بقوتها .

قرطبة هى التى حوت كل شىء تزهو به المدن »⁽¹⁾ .

لقد اعطتنا « قرطبة » اكثر مما أخذت ، انجبت رجالا ونساء تظل الاحاطة بهم غاية لاندرك منذ الفتح العربى الاسلامى مرورا بعيد الرحمن الداخل الى ان أصبحت عاصمة للخلافة فى اول ذى الحجة 316 هـ 929 / 1 / 3 م على عهد عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) حيث غدت بسبب القوة والوجاهة والسلطة مكانا يحتكم اليه الامراء الاسبان النصرارى فى خلافاتهم الداخلية⁽²⁾ . . ومروا « بنى جهور » الى ان ضمها « المعتمد بن عباد » الى اشبيلية سنة 1071 . ظلت هذه المدينة تنجب اساتذة العالم وبناء الحضارة وكأنى بها تستعجل اهداء النوايع الى تاريخنا فى فترة ضيقة وقصيرة خشية الضياع الذى كانت نذره فى الافق والذى ادركته المدينة قبل ان يدركه رجالها .

لقد ظل طابع الاستعجال صورة ملازمة لقرطبة فى اغلب مراحل عمرها العربى الاسلامى . . ونستقطع من كتب التاريخ بضعة اسطر لعلها تجسد لنا صفة الاستعجال تلك . لقد تعاقب على حكم المدينة 16 خليفة فى 22 سنة فقط !

وكأنى بكل واحد منهم يريد ان يدخل التاريخ بشكل عاجل وسريع خشية أن تلتهمه سرعة الاحداث فى « قرطبة » . . فما ان خلع هشام بن الحكم « الخليفة » فى جمادى الآخرة سنة 400 هـ ونصب مكانه محمد المهدي حتى هو جئت قرطبة وخلع محمد المهدي ونصب مكانه سليمان بن الحكم فى ربيع الاول 400 هـ ثم عاد محمد المهدي ثانية واعيد هشام ، وبعد ثلاث سنوات اى فى شوال 403 هـ / 1013 م خلع هشام ونصب سليمان بن الحكم مرة ثانية ، وبعد ان سالت الدماء انهارا فى قرطبة قتل هشام وبقي سليمان فى الخلافة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ثم نودى بعلى بن حمود خليفة ، ثم قتل ونودى بعده بعبد الرحمن المرتضى فى رمضان 408 هـ ، 1018 م . وبعد شهرين جاء القاسم

بن محمود الى عرش قرطبة ، ثم خلفه بعد اربع سنوات يحيى بن حمود ، ثم عاد القاسم ثانية الى الحكم ، ثم جاء عبد الرحمن بن هشام الى الخلافة ، وبعد شهرين جاء محمد المستكفى - وكانت ابنته ولادة اشهر منه في تاريخ السياسة وتاريخ الادب - ثم جاء يحيى بن حمود الى الخلافة مرة ثانية ، ثم جاء هشام المعتمد ليحكم اربع سنوات انتهت بقتله سنة 422 هـ 1031 م وبسقوط الدولة الاموية في قرطبة⁽³⁾ وسقطت قرطبة نهائيا في يد المسيحيين سنة 1236 م .

وصلت الى المسجد بعد منتصف النهار بقليل وقبل الدخول اليه آثرت الاطلاع على ما حوله ، وقادتنى قدماى الى مبنى جميل بمحاذاة المسجد ، ووجدت بصحنه شجرة نخيل منفردة وتذكرت قول عبد الرحمن الداخل :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت : شبيهى في التغرب والنوى	وطول التنائى عن بنى وعن أهلى
نشأت بأرض انت فيها غريبة	فمثلك في الاقصاء والنتأى مثل
سقتك غواذى المزن في المنتأى الذى	يسح ويستمرى الساكن بالوبل

ثم غادرت ذلك المبنى لاتجه نحو المسجد ولاجد نفسى في صحن البرتقال . . كنت العربى الوحيد الموجود في المسجد حينذاك اخترت الانضمام الى مجموعة من السواح .

جامع قرطبة الاعظم والذى نحن في مدخله الآن بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل ودام بناؤه 12 شهرا . . ثم شيد هشام الاول المثلثة ، وزاد عبد الرحمن الثانى اروقته ومحاريبه ورفع محمد الاول مقصورته ، وشيد عبد الرحمن الثالث منارته العظيمة سنة 951 م . وزاد الحكم الثانى امتداد أروقه الاثنى عشر وشيد الى جانبه دارا ذات ثمانى زوايا تعلوها قبة معقودة على رخامات حلزونية الشكل ، ومقصورة جديدة لها اقواس متقاطعة مفلطحة وقبب ذات اضلاع رائعة الشكل ، وفي زمن الحاجب المنصور (محمد بن ابي عامر) زيدت اروقة الجامع فبلغت تسعة عشر ، وفي كل رواق خمسة وثلاثون عمودا ، واحيط الجامع بسور ذى شرفات عالية ، وواحد وعشرين بابا شاخا ، وفي وسط الجامع حوض عظيم للوضوء⁽⁴⁾ .

والجامع من اهم المباني الفاخرة التى زهت بها الاندلس . . .

لقد حوى هذا المسجد 1400 عمود من اقواس الدائرة ويتدلى من السقف المصنوع من خشب الارز 4700 مصباح من الفضة لتضىء تسعة عشر رواقا طوليا تتقاطع مع ثلاثة وثلاثين رواقا

عرضياً⁽⁵⁾ .

المسجد الآن لا يزال يحتفظ ببعض خصائصه المعمارية لكنه فقد جموع المصلين التي كانت تقدر بالآلاف خاصة في يوم كيوم زيارتي له « الجمعة » وفقد مهابته وخصوصيته كونه بيتاً للصلاة بسبب بعض المظاهر التي شاهدها والتي لا تتفق وجلال المكان .

داخل المسجد كاتدرائية لكنها مجرد مظهر نافر لا يتفق وهندسة ونمط المكان . . وبالرغم من عظمتها فإنها لم تبلغ مساحة بيت الصلاة . . وقد قال عنها الامبراطور « شارل الخامس » للقسيسين الذين اشرفوا على بنائها « إن ما أنجزتموه هنا نجده في كل مكان وما هدمتموه ليس له نظير في العالم »⁽⁶⁾ .

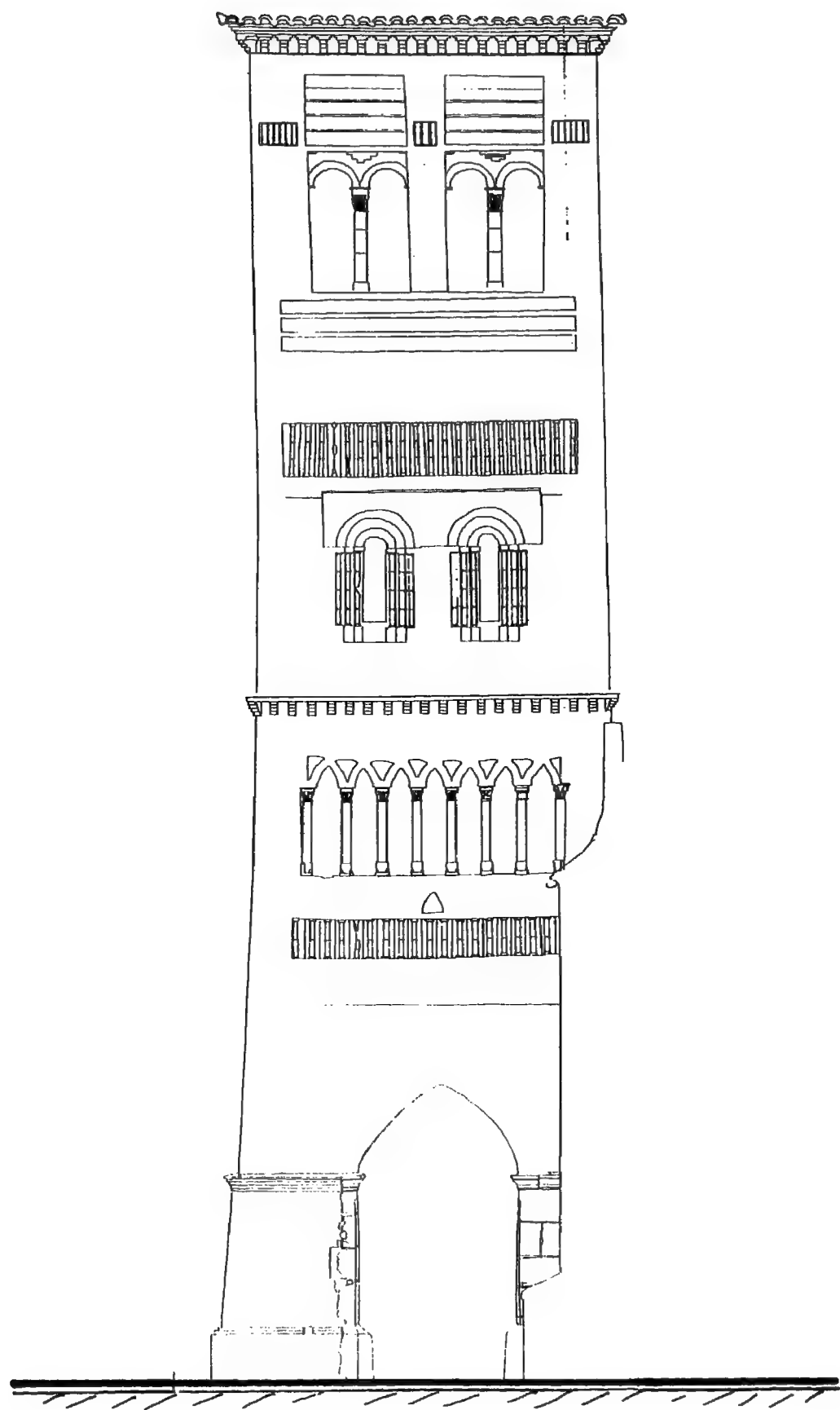
بقيت بالمسجد حتى الساعة الثالثة والنصف ظهراً ، واغلب الفترة كانت امام المحراب الذى لا يزال يحتفظ بكل نقوشه والوانه . . وواجهته لاتقبل المقارنة مع اى محراب ، وذلك بفضل كسوتها الفسيفسائية الجميلة وزخارفها الدقيقة المحفورة على الرخام والحجارة ، وما يجلب الانتباه الكتابات الكوفية المحيطة بقوس المحراب وهى على نوعين : شريط افقى مكتوب بحروف زرقاء على ارضية ذهبية ، وشريط مرسوم في الاطار المستطيل الشكل ومكتوب بحروف ذهبية على ارضية زرقاء .

ومن الاماكن الملفتة للانتظار محراب الحكم الثانى المحورية التى تبدو بعقودها المشبكة والمحمولة على السوارى المتراكبة كانها زخارف خيالية صنعتها يد سحرية ويرجع ذلك الى ان الفنان الاسلامى يعالج المواد الحاملة للزخرفة المعمارية بنفس الدقة والثبات اللذين يتبعهما حينما يستعمل المواد الاكثر طواعية والارفع قيمة كالمنسوجات والمعادن الثمينة فيسمو بها الى أقصى حدود الكمال أو بالاحرى الى صور صادقة للانهاط المثالية المرسومة في اعماق ذاكرته⁽⁶⁾ .

جميع الزوار يمضون اطول فترة زيارتهم لبيت الصلاة امام المحراب وما ان يتجهوا بانظارهم صوب القبة التى تعلوه حتى تختلط اصواتهم وتعليقاتهم التى تنم عن انبهار لا نظير له . . ذلك ان هذه القبة تعتبر وبمختلف المقاييس احدى آيات الفن المعمارى وشكلها على هيئة نجمة مثمانية الزوايا تحتوى في اعلاها على صدفة ، اما عناصر زخرفتها فهى نباتية محورة عن الطبيعة ذات الوان ذهبية . . وتبقى هذه القبة فريدة من نوعها رغم كل المحاولات لتقليدها⁽⁷⁾ .

إن الحديث عن قرطبة ومسجدها لا يمكن ان ينتهى بسهولة ، خاصة عندما تتداخل في ذاكرة





مئذنة جامع اشبيلية باقية منذ 800 سنة

عندما قرأت ما كتبه « ابن صاحب الصلاة » عن مئذنة جامع اشبيلية الاعظم في كتابه « المن بالامامة » أحسست ان الرجل يعطينا صورة شبه خيالية لمعلم ربما اصبح اثرا بعد عين . . . يقول « ابن صاحب الصلاة » : « . . . وهذه الصومعة الفاتية وصفها للناطقين ، السابق حديثها الى المخبرين ، لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الاندلس ، سمو شخص ، ورسو أصل ، ووثاقة عمل ، وبنيان بالآجر ، وغبابة صنعة ، وبدائع ظاهرة ، قد ارتفعت في الجو وعلت في السماء تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء⁽¹⁾ .

واذا كانت « اشبيلية » لا تتميز فقط بمئذنة جامعها بل تتميز بما لا يمكن ان يحيط به المرء في مقالة او زيارة قصيرة فان مئذنة جامعها الاعظم لا بد وان تكون الاولى من حيث الاهمية التاريخية ومن حيث كونها اول معلم يراه القادم الى اشبيلية . . . صحيح انها ليست « مع كواكب الجوزاء » كما قال « ابن صاحب الصلاة » لكنها من العلو والارتفاع ما يجعلها متميزة ومتمردة .

ومن قبيل المقارنة بين وصف « ابن صاحب الصلاة » لها وبين ما تراه العين المجردة ابهرت في رحلة نهرية عبر الوادى الكبير ، وبدأت ملامح المدينة : ابنيته وابراج كنائسها تتوارى خلف اشجارها لتظل فقط مئذنة الجامع الاعظم شامخة لا تحطتها العين . . . وحين العودة لا يمكن ان يلوح المرء أى معلم من معالم اشبيلية الا مئذنة جامعها الاعظم .

ولعل « ابن صاحب الصلاة » لم يكن مبالغاً بوصفها بانها « لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الاندلس ، سمو شخص ورسو أصل » وكأنى بالرجل يقول ذلك لا لمن عاصروه فحسب ، بل يقوله لكل زوار المدينة منذ اليوم العاشر من شهر المريخ « مارس / آذار » من عام 1198 م « 1198 / 3 / 10 » وهو يوم انتهاء الاشغال فيها .

بمحاذاة الكنيسة او الكاتدرائية كما يطلق عليها هناك ، يرتفع هذا البناء بنقوشه وزخارفه ونوافذه وطوابقه ان صح التعبير

تقول المصادر التاريخية المتاحة انه « بتاريخ 26 من شهر الماء « مايو » سنة 1184 للميلاد بوشر البناء لاول مرة بواسطة اول المهندسين وهو احمد بن باسه ، ولكن معظم الاعمال تمت تحت اشراف على الغمارى وانتهت بتاريخ 10 من شهر المريخ « مارس » من عام 1198⁽²⁾ ومعنى ذلك ان تشييد هذه المئذنة استمر زهاء خمسة عشر عاما وهى فترة شهدت عدة متغيرات لعلنا لسنا معنيين بها بشكل

رئيسى لاننا هنا لا نؤرخ لحدث بقدر ما نحاول ان نعطي صورة لمعلم حضارى ، صورة تختزل الزمان والحجم !

وان كان اختزال الاحجام اصبح من السهولة الى درجة لا تكاد توصف ! فان اختزال الزمان يظل حلما بعيد المنال :

وعلى الرغم من ان المصادر المتخصصة فى تاريخ مئذنة جامع اشبيلية تذهب الى انها كانت الاولى من نوعها فان « كارل بروكلمان » يدفع برأى مؤداه ان المئذنة كانت على غرار المئذنة التى شيدها عبد الرحمن الثالث سنة 951 م لجامع قرطبة والاغرب من هذا ما ذهبت اليه نادية شعبان حين قالت بأن المئذنة كانت فى الاساس برجاً بناه العرب لرصد النجوم⁽³⁾ .

ان لصاحب كتاب « المن بالامامة » اكثر من معلومة ايجابية صححت بعض الاخطاء التى قدمت وكأنها مسلمة لا سبيل الى مراجعتها خاصة فيما يتعلق بمئذنة جامع اشبيلية حيث اشتهر فى كتب التاريخ الاسباني الحديث ان اسم المهندس الذى قام ببناء « الخيرالدا » باشبيلية مجهول تماما ! وظن بعض المؤرخين ان الذى اضطلع بمهمة بناء المسجد هو جابر بن افلح الاشبيلي ، لكن ابن صاحب الصلاة وهو شاهد عيان يكشف النقاب عن المهندس العربى الكبير الذى لم نرله ذكرا فى غير « كتاب » ابن صاحب الصلاة ، ونحن نعلم ان هذا المهندس كان مقيما فى اشبيلية ومنها توجه لجبل طارق سنة 555 هـ ثم الى قرطبة⁽⁴⁾ .

فمن هو أحمد بن باسه هذا ؟

« يظهر اسم « أحمد بن باسه » فى عام 1160 م ، وينسب اليه تنظيم وتشيد القلاع والقصور وبيوت جبل طارق ، وبعدها بستين نجده فى قرطبة حيث يقوم باعمال هامة فى تجديد المدينة . وفى عام 1171 كلف بتشيد البحيرة ، ومنذ ذلك الوقت بقى فى اشبيلية يصمم ويدير أعمال مشروع الجامع الكبير وخاصة مشروع الصومعة والمساة فيما بعد « خيرالدا » ، وفى عام 1185 م ضاعت اخباره فى الوقت الذى كان تشيد الصومعة فى أولى مراحلها⁽⁵⁾ .

هذا ما امكن تجميعه فى احدث كتاب عن المئذنة التى تعرف باسم « الخيرالدا » وقبل ان نسوق للقارىء الكريم سبب هذه التسمية نعود لاعطاء وصف عام للمئذنة مستعينين بالله اولاً وبما تم انجازه من خرائط ضوئية وصور ورسوم ثانياً وما رايناه بالعين المجردة .

مئذنة جامع اشبيلية شأنها شأن جميع ما ابدعه العرب المسلمون فى الاندلس من حيث ان الوصف والتصوير مهما كانا دقيقين لا يمكن بأى حال ان يغنيا عن المشاهدة ، اولم نقل نحن العرب

في كتب امثالنا التي هي عصارة تجاربنا « ليس راء كمن سمع » ؟

ومع هذه الصعوبة فان المحاولة بحد ذاتها ربما تعطى صورة تقريبية .

مبنى المئذنة والذي لا يصل الى ارتفاعه اى مبنى آخر في المدينة يعتبر حاليا من ضمن « الكاتدرائية » ، مدخله يقع في الجانب الايمن منها ، وهذا المدخل بتواضعه وصغر حجمه لا ينبئك بما انت مقدم عليه ، ولولا ملامح الدهشة وعبارات الانبهار التي سترها وتسمعها من القادمين من الرحلة داخل المئذنة لولا ذلك فانك ستشعر بانك تدخل مكانا متواضعا يسكنه الهدوء والصمت .

وما تكاد تخطو قليلا حتى تجد على يسارك لوحة رخامية تختزل تاريخ المبنى في بضعة اسطر تقول : « أمر الخليفة ابو يعقوب يوسف عريفة احمد بن باسه بتشيد هذه الصومعة في 13 من صفر من عام 580 هـ « 26 مايو 1184 م » فأتم بناءها على الفهارى في عقب ربيع الآخر من عام 593 هـ « 19 مارس 1197 م » خلال خلافة ابي يوسف المنصور فجدد المهندس فرنان رويث هذه الصومعة وزاد في اعلاها قبة الاجراس في عام 1568 فنقش هذه الكتابة في عام 1984 تمجيذا للذكرى المئوية الثامنة لانشاء هذا المنار العظيم العجيب »

ثم تنطلق في رحلة - نعم رحلة - تدور فيها داخل هذا الجسم 35 مرة لتصل الى الشرفات المظلة على اشبيلية ، وفي الطريق - نعم الطريق - لانك لا تصعد سلما أو تستخدم درجا وانما تصعد على ارض منبسطة يقول المؤرخون عنها بانها كانت لتسهيل مهمة المؤذن الذي ربما يكون متقدما في السن ويضطر لاستخدام « دابة » للوصول الى اعلى المئذنة ، في هذا الطريق ستجد سبع غرف اى بعد كل خمس « منحدرات » أو « صعدات » أو « دورات » او ان شئت بعد كل خمس « منعطفات » حول المركز .

عندما تصل الى الشرفات المفتوحة تكون قد كونت صورة مبدئية عن « أشبيلية » من خلال « فتحات » او « نوافذ » تطل من خلالها على المدينة ، وعند وصولك الى الشرفة تكون على ارتفاع 47 مترا و 27 سنتيمترا .

عندها ستنسى ولو لدقائق ان الارتفاع الكامل للمبنى لا يزال يطاول عنان السماء ، ستغرق كغيرك في تأمل الوادى الكبير ومباني اشبيلية ومزارعها .

بقى ان تعلم ان المبنى يصل ارتفاعه حتى آخر نقطة من شمال مقياس الريح يبلغ 94 مترا و 70 سنتيمترا .

وهذا التمثال هو احد المعالم التى اضيفت للمبنى ، ذلك ان ما كان موجودا بأعلى المئذنة هو ما ذكره « ابن صاحب الصلاة » واصفا حفل « ازاحة الستار » عن المبنى - ان صح هذا التعبير - بقوله : « فلما وصل امير المؤمنين . . . أمر . . . فى مدة اقامته باشييلة بعمل التفافيح الغربية الصنعة العظيمة الرفعة الكبيرة الجرم ، المذهبة الرسم . . . وكان عدد الذهب الذى طليت به هذه التفافيح الثلاث الكبار والرابعة الصغرى سبعة آلاف مثقال كبار يعقوبية . . . ولما كملت سترت بالاغشية من شقاق الكتان لثلاينالها الدنس من الايدى والغبار . . . ورفعت بالهندسة حتى الى اعلى صومعة الصومعة . . . وذلك يوم الاربعاء عقب ربيع الآخر بموافقة التاسع عشر من شهر مارس العجمى من عام اربعة وتسعين وخمسة ثم كشفت عن اغشيتها فكادت تغشى الابصار من تألقها بالذهب الخالص وبشعاع رونقها »⁽⁶⁾ .

ويقول « أبو ابى ثار » فى وصفه لتلك التفافيح « كرات حديدية » ان « الذى صنعها ورفعها فى اعلى المنار المعلم ابو الليث الصفار ، موهت تلك التفافيح بمئة الف دينار ذهباً » . فى اشبيلية المعاصرة تعتبر المئذنة أحد أهم وابرز انماطها المعمارية ، وهى فى الواقع مركز الحركة السياحية ، واذا قدر لك ان تستخدم عربات الخيول فى جولة باهم معالم المدينة فان نقطة الانطلاق اما ان تكون من الميدان الذى تطل عليه واما ان تكون نقطة النهاية فى الميدان ذاته ، واذا لم يحدث ذلك فان المرور بها شرط اساسى ، ولا تستغرب عندما يؤكد لك صاحب العربة ان المئذنة التى بناها العرب هى أجمل بكثير من « الكاتدرائية » الملحقة بها ، يقولها لك علنا وهو يشير بيده ويلتفت اليك ويوقف العربة ان علم انك لم تزرها .

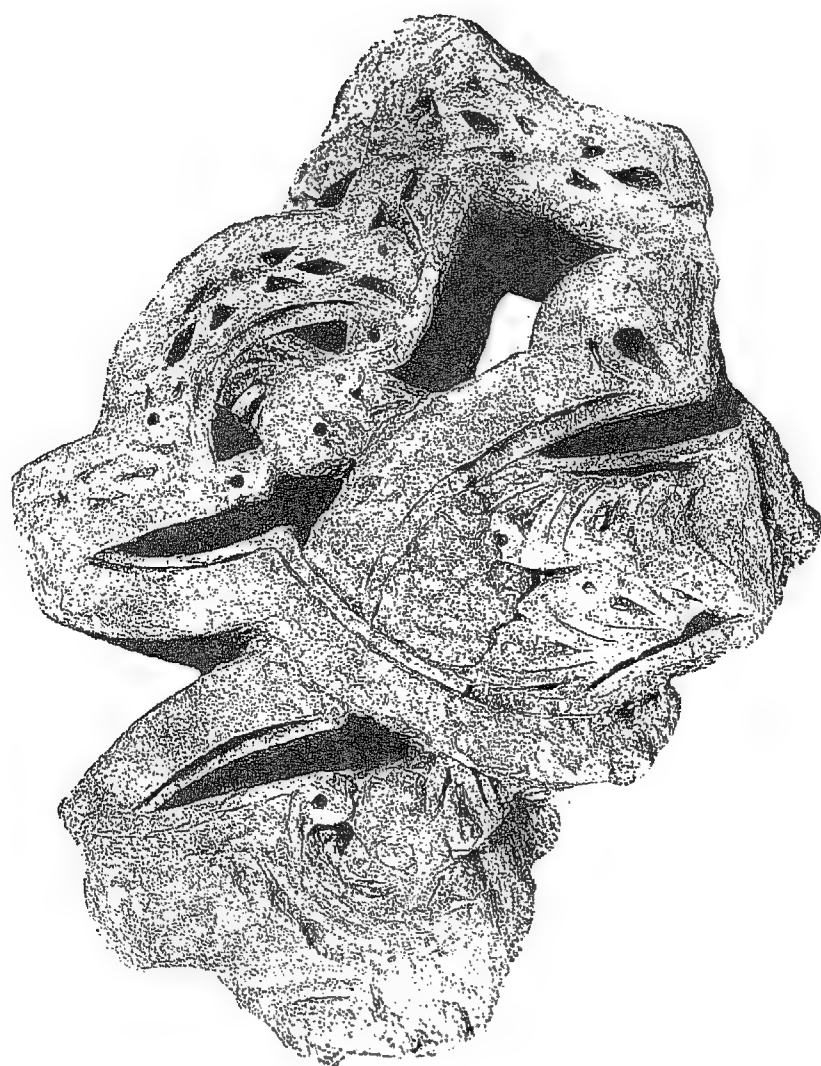
ومعنى هذا انه رغم مرور مئات السنين ورغم ما تعرضت له المئذنة من كوارث ومن تغييرات واضافات ظلت عربية شائخة قوية لم يستطع الاسم الجديد الذى اطلق عليها وهو « خيرالدا » ان يفصلها عن سياق تاريخها .

و « خيرالدا » تسمية « ليست بعيدة الزمن نسبيا حيث انه فى القرن الثامن عشر كان يسمى برج « لاتورى » وان لفظ خيرالدا كان يطلق على الهيكل البرونزى المرفوع اعلى البرج بمثابة دواة للهواء ، الا انه فى زمن الكاتب الشهير « ثيرفانتس cervntes » اطلق على البرج التسمية الحالية « خيرالد » حيث وصفه الكاتب فى القسم الثانى من كتابه دون كيشوت elquiot « ذلك العملاق

الشهير في اشبيليا المسمى خيرالدا»⁽⁷⁾ .
وعلى الرغم من ان المثلثة كما أحب ان أسميها او «الخيرالدا» كما اختار «سيرفانتس» ان
يسميها تنتصب بشموخ بالقرب من احدى روائع الاندلس «قصر اشبيلية» الا أنها تستوقف
اهتمام كل القادمين الى المدينة .
بقى ان اشير الى ان ثمة من يحاول اثبات ان هذه المثلثة كانت من عمل احد المهندسين
اليهود ، تذكرت هذا عندما اقترب منى احد السياح قائلا : ما معنى المثلثة بالعبرية ؟
التفت الى الصديق خالد العلمي وعلامات الاستغراب بادية بوضوح على وجهه واذكر اننى
قلت : وما علاقة اليهود بالمآذن ؟ الا اننى وبعد الاطلاع على محاولات الاستيلاء على كل ما نملك
عبر تاريخنا الطويل علمت بأن كل شيء نتركه سنفقده ولن يجدى بعد ذلك كوننا بنينا او كتبنا او
بكينا مع «البسطى» آخر شعراء الاندلس حين قال :

لمصاب اندلس تصوب الادمع ولما جرى فيها تذوب الا ضلع
فلها مع الاعداء حال تفزع تقضى بحسرة من يرى او يسمع
وتكاد مهجته له تتصدع⁽⁸⁾

1, 6 - المن بالامامة - تأليف عبد الملك بن صاحب الصلاة - تحقيق عبد الهادي التازي - دار الغرب الاسلامى - الطبعة
الثالثة 1987 ، ص : 390 وما بعدها .
2, 5, 7 - الخيرالدا - بقلم خيمينيث مارتين وانطونيو الماغرو غرويا - نشر المصرف العربى الاسبانى 1985 م ص : 13 وما
بعدها .
3 - مختارات من لوركا - ناديا ظافر شعبان - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت الطبعة الاولى 1981 ص : 116
- هامش رقم « 1 » .
4 - المن بالامامة ص : 382 هامش رقم « 3 » .
8 - البسطى آخر شعراء الاندلس - محمد بن شريفة - دار الغرب الاسلامى الطبعة الاولى 1985 م ص : 172 .



ساعات فد قصر اشبيلية

قصور اشبيلية عديدة لا تحصى ، من بينها : المبارك والبستان وسعد السعود والزاهر والزاهى والثريا .

انها - وكما كانت اشبيلية - مدعاة للعجب ، كانت قصورا جمعت الى فن العمارة فنونا أخرى : النقش والزخرفة وحياة صاحبة مليئة بما امتلأت به الاندلس : الشعر والموسيقى وكل ما من شأنه ان يفجر أنهار الشعر والموسيقى : الحداثق والعطور والمقتنيات .

وتلتقى قصور اشبيلية مع (قصر الحمراء) فى خاصية الاستعصاء على الوصف فهى بدائع تزار ولا توصف ، ولا يمكن لأية وسيلة نقل مرئى ان تنقل الحقيقية او جزءا منها .

وعندما حاول الاسبان التحدث عن أحد القصور الباقية لم تسعفهم اللغة او آلات التصوير بشيء ذى بال لذا قالوا عن القصر الاشبيلي فى كتاب مصور : كثيرا ما تسأل نفسك هل حقا شاهدت هذه الاشياء على الطبيعة أم ان ذلك كان مجرد حلم لذيذ ؟!

ومع هذا الاعجاب فان المؤرخين الاسبان سواء منهم من أعد النبذة المقتضبة عن هذا المعلم الحضارى العربى الاسلامى او الذين اهتموا بفترة الفن (المدجن) أو أولئك الذين اسندت لهم مهمة اعطاء المعلومات للزوار والسواح والذين تخرجوا من معاهد او جامعات اسبانية ، كل اولئك يصرون على تجاوز احقاب مهمة من تاريخ القصر وتاريخ اشبيلية وتاريخ الاندلس .

يقولون فقط بأن هذا القصر بناء المغاربة Moros ! وهى صفة تطلق فيها يبدو على العرب والمسلمين عموما .

وحسب المعلومات المتوفرة فانه لم يبق من هذا القصر الا حائط (المهدى) والباحتان الخارجيتان . ويبدو ان ما هو مراد من خلال المعلومات المقتضبة واليسيرة عن الفترة الاولى لهذا القصر تهدف الى تأكيد احدى المعطيات المتعلقة بتاريخ العرب والمسلمين من حيث كونهم هم الذين جعلوا اشبيلية وقرطبة وغرناطة والمرية وسرقسطة والى قرية اسبانية مهوى قلوب عشاق الابداع الحضارى !

زرت هذا القصر الواقع على مسافة قريبة من مئذنة جامع اشبيلية المعروفة حاليا باسم (الخيرالدا = الدوارة) وبقدر ما أثارته تلك الزيارة من شعور بالاعتزاز وانا احاول قراءة النصوص

المنقوشة على جدرانها بقدر ما شعرت بالانقباض من خلال شعوري بأن شيئا ما غير صحيح وغير دقيق يلف هذا القصر بناء على المعلومات التي يزود بها السواح من مختلف بقاع العالم .

وفي لحظة واحدة اجتمع أربعة سواح وشمل حديثنا بادیء ذی بدء بعض الملاحظات السلبية أبدتها امرأة امريكية تجاوزت العقد الخامس من عمرها لامرأة يابانية تجاوزت على ما يبدو العقد الثالث ، كانت المسنة الامريكية تتحدث عن المغرب بشكل اثار حفيظة زميلي العربي المغربي ، مما دعاه الى التدخل بشكل مهذب لتصحيح بعض المغالطات . . ثم تطرق الحديث الى أمور أخرى كان (القصر) الذي نحن في وسطه من بينها .

وعلى الرغم من الزعم القائل بأن هذا القصر قد اندثر ذات مرة الا ان ما نحن بداخله لا يمكن بأي حال الا ان يكون مبنى عربيا إسلاميا من خلال هندسته وزخرفته والآيات القرآنية التي تزين جدرانها وأبيات من الشعر العربي تسجل لفترة عربية من أزهى وأبهى فترات تاريخ اشبيلية والاندلس .

بالقصر جزء يسمى (المدجن) ، وهذا الجزء يعود تاريخ بنائه الى عام 1326 م وهو من انجاز المعماريين العرب المسلمين مع المسلمين الاندلسيين .

وعندما يتحدث الاسبانيون عن هذا الجزء يقولون - مثلما هو مدون في كتاب عن اشبيلية - : الزخرفة والديكور لفنانين من طليطلة (!) ولا يضيفون شيئا آخر .

ولعل الكاتب كان يدرك حتما ان كل زائر لهذا القصر سيتوقف امام الزخرفات والنقوش التي يؤدي فيها الحرف العربي دورا اساسيا وبارزا ، ولذا فهو يقول : ان تناغم وانسجام الالوان مثير للدهشة والاعجاب حيث نجد الازرق والذهبي والاحمر والاخضر تشكل توليفة متمازجة مع الزخرفة المصقولة بسطح لامع مع تلك التي كسيت بالجص .

ان واجهة المبنى الذي يتنمى فنيا الى (الفن المدجن) تعتبر من أجمل الامثلة الفنية المدجنة في اسبانيا قاطبة . والناظر اليها يتمن سيجس برهبة واجلال يفرضهما الفن والتاريخ .

وكلما تعمقنا في القصر - يقول الاسبانيون - نشعر برهبة الماضي السحيق تفرض ذاتها علينا بشكل حاد ، ففي هذا القصر العظيم ثمة اعمال تخلب اللب سواء منها تلك المكسوة بالاجر الملون او السجاجيد المزدانة بالصور والرسومات او تلك الاعمال الاسلامية المكسوة بالجص .

في القسم الذي أضيف الى القصر تحدثت الدليلة السياحية عن مجموعة من السجاجيد المطرزة

برسوم تاريخية تغطي جدران هذا القسم ، ولو قدر لاحد ان يزيل تلك السجاجيد لبقيت جدران هذا القسم جرداء موحشة ، لكن لا احد بإمكانه ان يزيل شيئا من تلك الزخارف والنقوش في القسم الاول من هذا القصر ، لان تلك الزخارف والنقوش هي من بنية جدران المبنى ، وثمة فرق واضح بين سجادة علقت على حائط لتخفى الوحشة وتعطى للزائر إحساسا مؤقتا بالانبهار ثمة فرق بين هذه وتلك الجدران التي تحكى بذاتها ما لا يحتاج الى شرح او دليل سياحي .

وفيما كنا نستمع الى الشرح والايضاح قالت الدليلة السياحية وهي تشير الى اعمال من الفسيفساء الجدارية بأن الالوان في هذه القطع ليست متناسقة ومتقنة مثل تلك التي شاهدناها في القسم العربي ، وازافت بأن ذلك يعود الى ان سر مزج الاصباغ وطريقة فرز الالوان حين التصنيع كان ميزة عربية .

ان من أهم ميزات العمارة العربية الاسلامية في هذا القصر - وفي غيره بلا ريب - هي تلك التي تجعل البناء في حد ذاته قطعة فنية ، بينما نجد ان الاجزاء او المباني التي لا تنتمي الى المدرسة العربية الاسلامية تستعين بعوامل أخرى بهدف اضفاء طابع الجمال والاناقة على المبنى . الجدار العربي الاسلامي الاندلسي بحد ذاته قطعة فنية . لكن غيره يظل في أمس الحاجة الى مكملات .

ولذا فان جميع الاثار العربية الاسلامية في الاندلس لا تحتوى على قطع أثاث ومع هذا فهي تبهر الزوار .

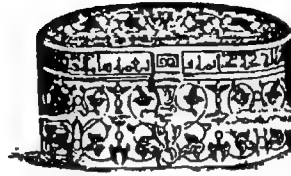
ان حوائط وأسوار ساحة الاسود في قصر اشبيلية - موضوع حديثنا - والتي بنيت في عهد الموحيدين في القرن الثاني عشر الميلادي تعتبر - وحسب رأي الاسبان انفسهم - شاهدا عظيما يدل على الاعجاب بتلك الحقبة التاريخية .

تعرض هذا القصر كغيره من الآثار لعدد من الحوادث التي اثرت وبشكل واضح في قيمته الفنية ، واعمال الترميم التي لا يلمسها الزائر الا بعد تمن تدل على ان اعمال الصيانة لم تكن متقنة تماما .

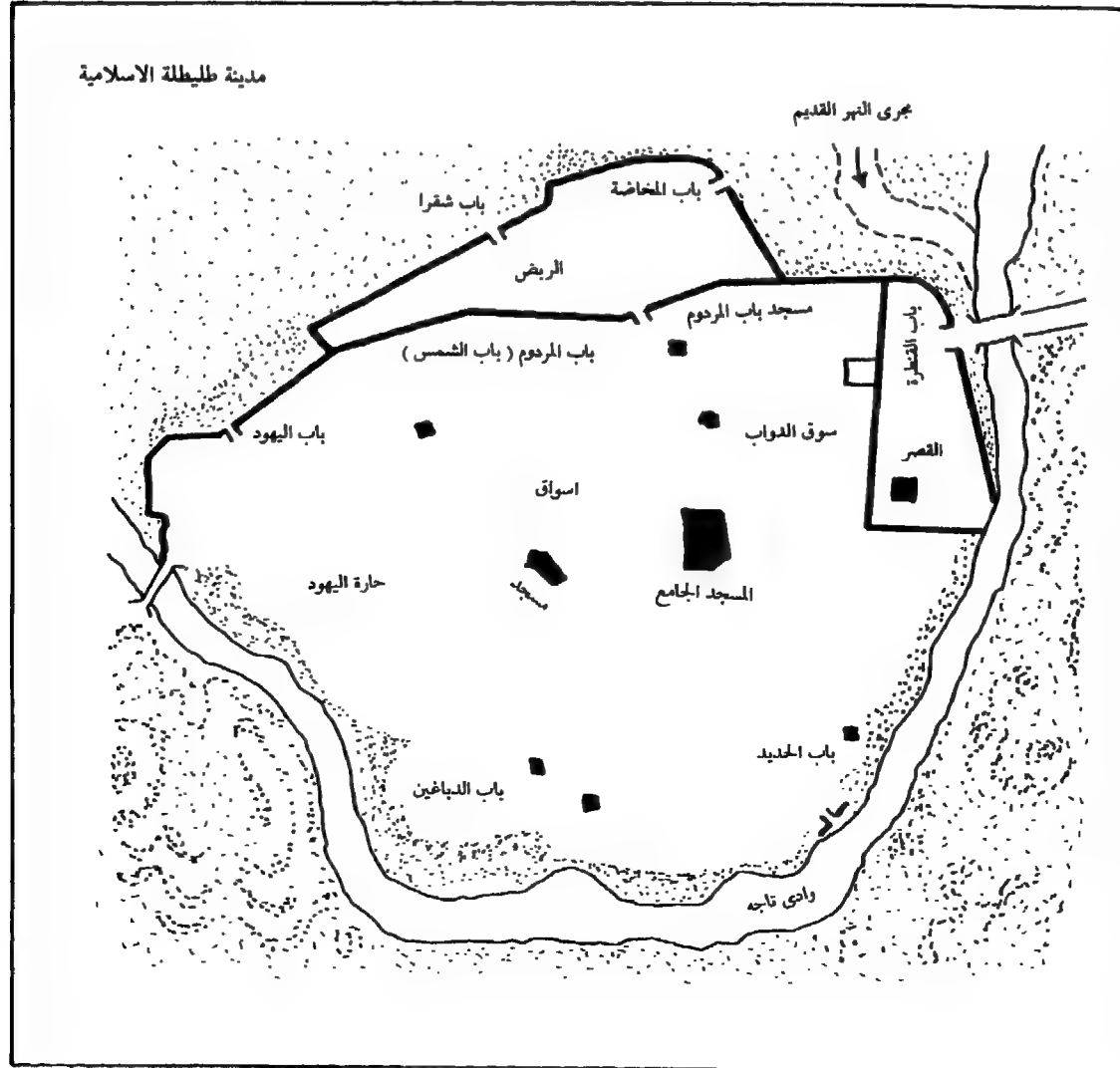
وفيما كنت أحاول قراءة احدى الجداريات لبعض الزوار العرب لمست ان السياق العام لما كنت أقرأه ليس منسجما ، ثم وبشكل واضح رأيت ان اللوحات الحصية التي تؤرخ لهذا المبنى ليست موضوعة بشكل دقيق .

ثمة جمل متقطعة ، وثمة بعض الجمل وضعت بشكل مقلوب مما استدعى قراءتها من اليسار

الى اليمين ، اضافة الى ان بعض الاماكن تحوى لوحات جصية وضعت بطريقة عشوائية .
ولا أدري هل ان اعمال الترميم التى تمت فى هذا القصر كانت دون تدقيق او انها تمت دون
الرجوع الى استشارة احد يتقن اللغة العربية .
الا ان الغريب حقا هو ان لا أحد على ما يبدو كان مهتما بمثل هذا الامر وبخاصة حينما علمت
بأن ما لاحظته لم يكن مثار اهتمام بعض المسئولين الذين التقيتهم داخل هذا القصر . . لقد قال
أحدهم : لا أحد من الزوار اثار اهتمامنا بمثل هذا الامر .
لعل أهم ما يتنبه اليه زائر قصر اشبيلية هو ذلك الزعم القائل بأن ردهات هذا المعلم
الحضارى شهدت انتقاء الامراء ابان الفترة الاندلسية أجمل النساء . ولعل هذه المعلومات تعود الى
ما يشعر به البعض حيال موضوع (اعتماد الرميكية) و (المعتمد بن عباد) .
ومع كل ذلك وغيره مما لا يسمح المقام لبسط الحديث حوله سيظل قصر اشبيلية بزخارفه
وحداثقه الغناء والتى كما وصفها الاسبانيون مزيج رائع بين الذوق والفن العربى حيث التناغم
الممتاز بين روائع الزهور والورود المختلفة والايقاعات المائية الهادئة المنبعثة من نافورات جميلة . .
سيظل كل ذلك خير شاهد وأعظم دليل على ما غرسه العرب المسلمون فى تلك الربوع من أسس
حضارية أين منها أعمدة الرومان وتماثيل الاغريق وابنية القوط المندثرة جميعها ؟!







طليطلة : خطوطيات متعددة !!

تتميز مدينة (طليطلة) بأنها ذات خصوصيات متعددة . . فهي على مدار التاريخ اشتهرت بكونها مدينة لا تقبل الاندماج مع غيرها من المدن .
وهي بهذه الصفة تطل من اوراق ومجلدات التاريخ على الرغم من السياق الذي قد يكون بعيداً عنها بشكل ملحوظ ، لها حضورها الذي يأتي احياناً بطريقة غير متوقعة .
لقد عرفت المدينة حيناً من الدهر بأنها عاصمة نهاية العالم ، ذلك لأن شبه جزيرة (ايبيريا) كانت نهاية العالم بالنسبة للانسان قبل أن يبحر غرباً نحو العالم الجديد .
ولا يجد اهلها غضاضة في إحاطتها بعدد من الحكايا في محاولة لاعطاء المدينة موقعاً متفرداً . .
لقد اعتقد اهلها وأعلنوا بأن المدينة احتضنت ذات زمن كلا من (داود وسليمان وعيسى وذو القرنين والخضر عليهم السلام) ومهما كانت الاحاديث التي تساق لتأييد هذه الفكرة فان مجرد ترويحها يعني من بين مايعنيه أن (طليطلة) جبلت على التميز . . وثمة من يعلن بأن (طليطلة) هي مدينة (دقيانوس) صاحب أهل الكهف . . بل يتسع خيال البعض ليؤكد بأن اهل الكهف يقيمون في احدى روايبها !

ورواي (طليطلة) تشد الانتباه ، وربما بسبب شبهها لمرتفعات اليمن اختارها اليمنيون للاقامة بها بعد الفتح الاسلامي ، ولذا يردد البعض بأن (طليطلة) مدينة يمنية .

من خصوصيات المدينة التي ذكرها « ياقوت الحموي » ان الغلال تبقى في مطاميرها زهاء سبعين سنة ولا تتغير وهي مشهورة بزعرانها ذى الجودة المرتفعة .
واذا كنت قد أثبت ان المتنقل في ربوع الاندلس لا يستطيع ان يرد طرفه عن النفاذ في اعماق الطبيعة الاندلسية فأننى - وهى المرة الوحيدة - لم أستطع أن أطلق العنان لبصرى طوال الطريق من « مدريد » الى « طليطلة » وبمسافة 70 كيلو مترا ، لا لأن الطبيعة هنا تختلف عن غيرها أو لأنها تقل بهاء ، ولكن لان حوارا مهما شد كل اهتمامى داخل الحافلة التى ذهبت بواسطتها الى « طليطلة » .
كان حوارا متميزا حول المدينة التى شددنا الرحال اليها ، كما شمل جانبا من وجهات نظر الاسبانيين حيال التاريخ العربى والوجود العربى الحالى . . وثمة جانب خاص من هذا الحوار تجسد في سوق بعض القصائد التى كانت في مجملها تدور حول ما يحس به العربى وهو يرى ويلمس

ويتنشق هواء الاندلس الرطيب .
ان أوروبا وعن طريق مدن الاندلس ومن بينها « طليطلة » عرفت كيف تجعل للربيع معنى ،
وعرفت كيف ترتدى ملابسها ، وعرفت كيف تتطيب ، وعرفت كيف تمسك بزمام العلوم .
تقع المدينة على ضفة نهر « تاجه » وكانت قبيل الفتح العربى الاسلامى عاصمة للقوط ، وهى
حينذاك مدينة محصنة يقبع فيها كبار رجالات الدولة ونبلاؤها وتتجمع فيها كنوز البلاط وذخائر
الكنيسة .

وحينما كانت « الدعوة الاسلامية » تستهوى القلوب اختار « رودريق » مدينة « طليطلة »
ليستنفر من خلالها كل طاقات المملكة بما فيها خصومه السياسيون المنهمكون فى حبك المؤامرات
ضده ، ليحاول من خلال هذه الخطوة وقف انتشار الاسلام الذى لامس نوره شغاف قلوب آلاف
الاسبانيين .

وحين قضى الله أمره ارتضت المدينة الاسلام دون مقاومة ، وتقول كتب التاريخ بأن « طارق
ابن زياد » حينما وصل المدينة لم يجد بها الا اليهود « الذين كانوا اكثر المبتهجين بسقوط طليطلة وانها
مملكة « رودريق » فكانوا الى جانب العرب يقدمون لهم الخدمات العسكرية والمدنية وهو الدور الذى
كان نابعا من موقف اليهود من النظام القوطى الذى أضر كثيرا بمصالحهم التجارية والمصرفية⁽¹⁾ .

من خصوصيات المدينة أيضا احتضانها للقائدين العربيين المسلمين « طارق بن زياد » الذى
وصلها صحبة كتائب الدعوة و « موسى بن نصير » الذى قضى بها شتاء سنتى « 713/714 هـ » .
ازدهرت المدينة وأضحت مثالا حيا يؤكد مبدأ التسامح الاسلامى فى الاعتقاد ، ولذا تنوع
سكانها . . فمن « المولدين وهم الاسبان الذين اعلنوا اسلامهم » الى المستعربين وهم الاسبان
الذين اندمجوا فى المجتمع العربى دون ان يتخلوا عن المسيحية إضافة الى اليهود الذين وجدوا فى
الاسلام العدالة والامن والحرية . . واستمرت الاسقفية الكاثوليكية فى اداء مهامها بحرية
مطلقة . . ومع هؤلاء عاش المسلمون فى رحاب طليطلة يدافعون عنها ويوظفون أركان دين الله
يعلمون الناس ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

ساهمت المدينة كغيرها من مدن الاندلس فى نشر الثقافة العربية الاسلامية وانجبت الاف
الرجال والنساء الذين شكل اسهام كل فرد منهم لبنة متميزة فى صرح الحضارة التى عم نورها ارجاء
اوروبا والعالم .

كما انها شهدت على مدى ايام الوجود العربى الاسلامى احداثا جساما نتجت عن عدة عوامل

في مقدمتها ذلك التنوع الكبير بين سكانها من حيث المعتقد ومن حيث الانتماء ومن حيث المصالح المتبادلة والمشاركة احيانا والمتعارضة والمتناقضة احيين اخرى :

من ولائها (سليمان بن عبدالرحمن الداخل) والذي اصطحبه والده (عبدالرحمن) طفلا اثناء هروبه الشهير ، وفيها تم التحالف بين (سليمان وعبدالله) ابني (عبدالرحمن) ضد اخيهما (هشام) الذي سار الى المدينة واخضعها سنة 788 م

ثارت المدينة بزعامة (هاشم الضراب) على الحكم المركزي سنة 829 م . واستمرت ثورتها حتى سنة 837 م . وتلقت طليطلة ضربة عنيفة على يد (الامير الاموي محمد) الذي قضى على ثورتها سنة 858 م .

ساندت (ابن عبد الجبار) في ثورته على (سليمان بن الحكم المستعين بالله) واستقبلت بعده ابنه الذي ظل بها واعلن ثورته من خلالها⁽²⁾ .

في آخر ايامها كمدينة اسلامية سيطر عليها (المأمون بن ذى النون) ابان حركة الانشقاق التي عمت الاندلس ، وأصبحت مدينة مستقلة تحت حكم (آل ذى النون) حتى استولى عليها المسيحيون عام 478 هـ / 1085 م .

من رجالها :

ابوالوليد هشام بن احمد ، الكاتب المعروف بابن الوقشي (408 - 489 هـ) رجل واسع العلم بعدد من فنون المعرفة : بالحديث والفقه وباللغة والنحو وبالخطابة والبلاغة والشعر والحساب والفلك والهندسة وبالفرائض وبالمنطق . . من شعره :

برَّح بي ان علوم الـورى اثنان ما ان فيهما من مزيد : .
حقيقة يعجز عن تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد

صاعد الطليطلى ولد سنة 1029 م . من مؤلفاته (طبقات الامم) أوجز فيه تاريخ الفكر والعلم عند الامم القديمة وعند العرب ، تولى قضاء طليطلة وروى عن ابن حزم وغيره . توفي في شوال 462 هـ / يوليو 1070 م⁽³⁾ .

الزرقالى الفلكى الماهر (493 هـ / 1100 م) أعد اكثر من 400 بحث كانت أهم نتائجها اثباته بأن أوج الشمس لدى طلوع النهار يعادل أوج الشمس لدى هبوط الليل ، ثم أجرى حساب قيمة هذا الأوج . ترجم اعمال (الزرقالى) الفلكية (جيرارد الكريمونى) الى اللاتينية ، وعرف في بلاد

الغرب باسم (أرزخال) وهو اشهر من بنى الآلات ، كما انه مخترع الصفيحة التي دخلت الى ميدان علم الفلك تحت اسم (الاسطرلاب الزرقالي)⁽⁴⁾ .
 جودى بن عثمان ، رحل الى المشرق العربى والتقى كلا من (الكسائى) و (الرؤاسى) و (الفراء) . و (جودى) هو اول من أدخل كتاب (الكسائى) الى الاندلس .
 ابوبكر محمد بن أرفع رأسه ، تولى قضاء (طليبة) غرب (طليطلة) وله موشحات ذاعت على ألسن اهل الاندلس ، ومكانته فى الموشح تلى مكانة (ابن عبادة القزاز) .
 ابن الخياط الاندلسى : توفى بطليطلة بين سنتى 1055 / 1056 م وهو أحد البارعين فى الهندسة والفلك وفى الطب دقيق المعالجة ، كما كان ايضا بارعا فى النحو واديبا شاعرا . . من اقواله :

لم يخل من نوب الزمان اديب كلا فشأن النائبات عجيب
 وغضارة الايام تأبى ان يرى فيها لابناء الذكاء نصيب
 وكذاك من صحب الليالى طالبا جدا وفهما ، فاته المطلب

ابومحمد عبدالله بن فرج بن غزلون المعروف بابن العسال ، ولد فى طليطلة وتعلم بها ، تولى القضاء فى (طليبة) ثم عاد الى طليطلة وعندما سقطت المدينة انتقل الى (غرناطة) . . من شعره يرثى مدينته :

يا أهل أندلس ، حثوا مطيئكم فما المقام بها الا من الغلط
 الثوب ينسل من أطرافه ، وارى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ابوعيسى لبون بن عبدالعزيز المعروف بذى الوزارتين . عمل وزيرا فى (طليطلة) للمأمون بن ذى النون ، ثم لاختيه (يحيى) ، وبعد سقوط (طليطلة) تولى القضاء فى (بلنسية) ثم اصبح قائدا لقلعة (عبدالسلام) ثم تولى أمر (مريبطرا) . . من شعره :

ذرونى أجب شرق البلاد وغربها لاشفى نفسى او أموت بدائى
 فلسـت كـكـلب السـوء يرضيه مريض وعظم ، ولكنى عقاب سماء⁽⁵⁾
 ورجالها من لم نذكرهم الكثير

واذا كانت كتب التاريخ قد حفظت لنا الكثير من اخبار (طليطلة) فانها لم تغفل ما كان

للمدينة في مجال العمارة ، شأنها في ذلك شأن كل مدن الاندلس . . الا ان أهم ما كان بها من معالم قد عفت عليه يد الزمان وطالته يد الحدثان .

تحدثنا كتب التاريخ عن مسجدتها الجامع والذي بقيت معالمه ردحا من الزمن تتحدى مختلف التغيرات ، به نقش عربي على واجهته ينص على ان الفراغ من بنائه كان في المحرم سنة 390 هـ وان مؤسسه هو (موسى بن علي) .

وتتزين المدينة بعدد من الجسور فوق نهر (تاجه) احد تلك الجسور يعرف باسم (القنطرة) ، والقنطرة هذه انجاز معماري هندسي عربي اسلامي ولا تزال باقية حتى اليوم .
الا ان اهم معالمها والذي يبدو شاخا فوق احدى اعلى قمم المدينة ، والذي ما ان غادرت محطة الحافلات وارسلت ببصرى صوب المدينة حتى لمحتة دون سواء ، ولا يعرف هذا المعلم باسم غير هذا الاسم (القصر) او (قصر طليطلة) ، وليس من حرج في الاشارة الى ان محدثي عن (طليطلة) وصاحبة فكرة زيارتها قالت بأن الحديث عن طليطلة لا بد وان يبدأ من القصر او يمر من خلاله . . وتضيف : نادية العلمى بأن أهم ما يمكن اقتناؤه من المدينة شيئان . . وهما من خصوصيات (طليطلة) : الحلويات والسيوف :

لم نتوقف كثيرا عند « حلويات طليطلة » بقدر توقفنا عند سيوفها . . ويبدو ان وضع المدينة التاريخي من حيث كونها ظلت عاصمة للقوط طيلة ثلاثة قرون ومن حيث كونها شكلت قاعدة الانطلاق الثانية في الفتح العربي الاسلامي بقيادة « طارق بن زياد » و « موسى بن نصير » ومن حيث كونها مدينة عاشت مرحلة طويلة تجالذ من أجل ان تبقى متميزة . . كل ذلك حداها الى اتقان صناعة السيوف ، وما اخبار السيوف الطليطلية بخافية عمن يقلب أسفار التاريخ .

تنقلت في ازقة وشوارع المدينة وكنت أقرب كل جدار وربما كل نافذة واحيانا كل الذين اقابلهم ، لم اجد تعليلا لذلك البحث ، ثم توقفت عن التطلع الى اى شىء سوى لوحتين ارشاديتين كتبتا باللغة العربية وبحرف يعرف عندنا بالحرف المغربي ، اقتربت من اللوحتين للحظة ربما عبرت خلالها مئات السنين وخيل الى اننى استمع الى احاديث ذات وقع خاص ، اختلطت اللحظات فعلا حينما حدثتني مرافقتي بلغة عربية .

بدأت شمس ذلك اليوم تلملم بقايا ضوئها الذي ظننته قطع سجادة تناثرت على روابي (طليطلة) . . كنت حينذاك في الجانب الغربى من المدينة . . لقد اخذ منى التعب كل مأخذ فبين صعود وهبوط في ازقة ضيقة ومن زيارة كنيسة الى زيارة دير ومن متحف الى زقاق ضاعت اكثر

ساعات النهار ولذا كان لابد من (القصر) الذى يأبى الا ان يعلن عن نفسه كمضيف كريم لكل زوار المدينة ، فهو امام انظار القادمين الى (طليطلة) من الشمال او الجنوب من الشرق او الغرب . ولا يصل الى مستوى ارتفاعه الا برج الكنيسة ، وكأنى بحوار بين (البرج) و (القصر) ينطلق من سطح الارض ليخترق سماء المدينة فى وضعية تختزل وبشكل دقيق (حوارا منذ مئات السنين) .

شيد هذا القصر « المأمون بن ذى النون سنة 1069 م ووصفه لنا المقرئ بأنه كان يتوسط بحيرة فى وسطها قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وقد جلب الماء على رأس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض ، فكانت قبة الزجاج فى غلالة من ماء سكب لا يفتر عن الجرى . . وتوقد فيه الشموع فىرى لذلك منظر عجيب »⁽⁸⁾ .

الا انه الآن بناء شامخ صامت لا بحيرة حوله ، ولا قبة تعلوه ، ولا ماء به لا يفتر عن الجرى . . ان أى زائر لهذا القصر سيشعر حتما بالضالة بسبب ارتفاع بنائه من جهة وبكونه يحتل اعلى موقع فى المدينة من جهة اخرى .

انه يشعر بك بصمته بانك مطالب فقط بالتأمل وان حاولت ان تستنطق حجارته ولن تستطيع الى ذلك سبيلا فما عليك الا ان تيمم وجهك شطر المدينة .

وجريا على عادة كل زوار مثل هذه المدن حاولت ان اقتنى شيئا ما . لكن بيت (بشار بن برد) الذى لا أدرى كيف تداعى الى الذاكرة حينذاك والقائل :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا واسيفنا ليل تهاوى كواكبه

حفزنى الى اقتناء بعض من سيوف طليطلة . . وادركت ان الاختيار ليس سهلا رغم ان معى من يعرف المدينة ، اذ عليك ان تدقق فى الاختيار حتى تكتشف بعد طول عناء ان (سيوف طليطلة) ليست سهلة فى كلا الحالتين : الاقتناء والتعامل !!

ومثلما حدث فى (غرناطة) غادرنا المدينة الى محطة الحافلات سيرا على الاقدام وهو امر سهل ميسور بخلاف القدوم الى المدينة لانك ان كنت قادما فستكون مضطرا لاستخدام وسيلة تنقل اما ان كنت مغادرا فان الامر يختلف تماما .

وما دمتنا قد وصلنا بحديثنا الى المغادرة فلنسترجع لحظات المغادرة الاولى .

استضافت (طليطلة) لاعب الشطرنج الشهير (الملك الفونس السادس) الذى تعلم

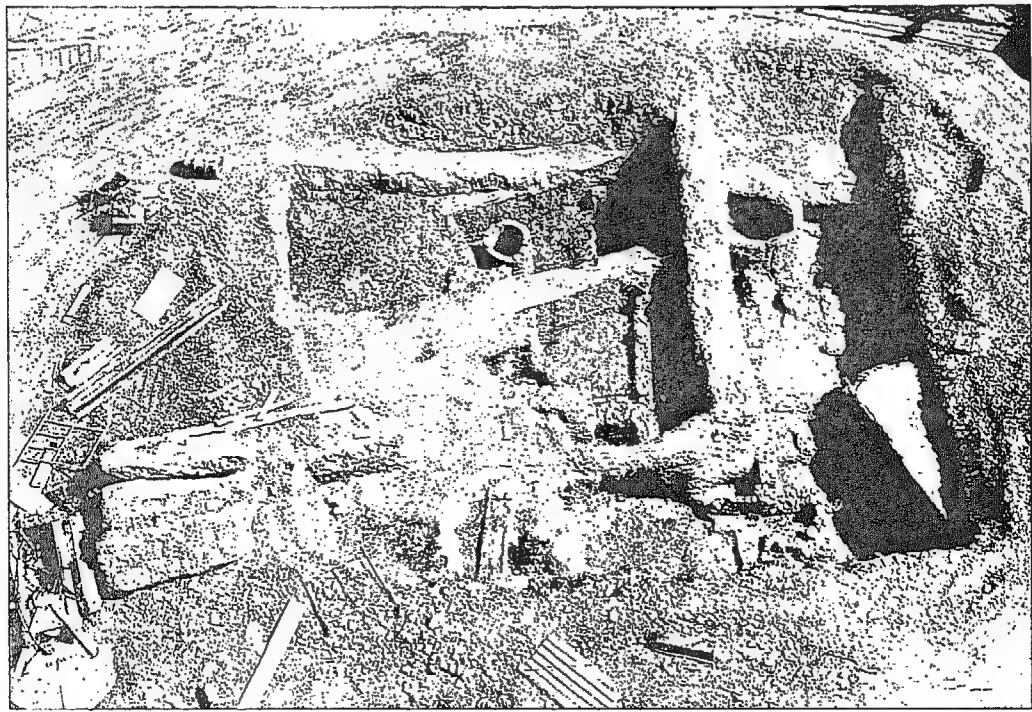
الشطرنج* بين العرب حين طرده اخوه عن العرش والبلاد ، فلجأ الى العرب الذين اكرموا وفادته وملكوا عليه نفسه ، لقد عامله (يحيى بن مأمون)** ملك (طليطلة) كأحد ابنائه وابقاه عدة سنوات في قصر خاص به .

وعندما احتل (الفونس السادس) طليطلة عام 1085 م ساهم معه في الاستيلاء على المدينة العربية وحصارها فرسان المان وايطاليون وفرنسيون ، بل ان اول اسقف لها كان فرنسيا . . واندمج الجميع بسكان المدينة العربية ، وظلت مدرسة المدينة بمجموعاتها الهائلة من الكتب العربية تجذب الآف الاوربيين من مختلف البلدان⁽⁷⁾ وتسمى ملك (قشتالة) بعد ان احتل طليطلة (بأميير الملّتين) .

وحين بدأت نذر سقوط (طليطلة) كان حاكمها (القادر بالله ابن يحيى بن ذى النون) ينظر في اسطراب ليحدد الوقت الذي يرحل فيه⁽⁸⁾ .

(طليطلة) لاتزال تحاول ان تظل على البال وفي مقدمة الاحداث بصرف النظر عن كنه وطبيعة وجدية وخطورة وجدوى تلك الاحداث .

-
- 1 - الدولة العربية في اسبانيا . ابراهيم بيضون دار النهضة العربية - بيروت / الطبعة الثانية 1980 - ص 75 .
 - 2 - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب / ابن عذارى المراكشى - الدار العربية للكتاب « ليبيا - تونس » الطبعة الثالثة 1983 م الجزء الثالث ص 93 .
 - 3 / 5 - تاريخ الادب العربى / عمر فروخ / دار العلم للملايين - بيروت / الطبعة الاولى 1982 م / ج 4 ص 392 - 505 / 582 وما بعدها .
 - 4 / 7 - شمس العرب تسطع على الغرب / زيفريد هونكة / تعريب : فاروق بيضون وكمال الدسوقي / المكتب التجارى - بيروت / الطبعة الاولى 1964 م ص 152 .
 - 6 - الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس / محمد عبد العزيز مرزوق / دار الثقافة - بيروت ص 43 .
 - 8 - الادب الاندلسى موضوعاته وفتونه / مصطفى الشكعة / دار العالم للملايين - بيروت / الطبعة الرابعة 1979 ص 513 .
- * يقول عبد الواحد المراكشى صاحب « المعجب » :
« وكان العليج [الفونسى السادس] مولعا بالشطرنج ، فلما لقي ابن عمار سأل : كيف أنت في الشطرنج ؟ وكان ابن عمار في طبقة عالية ، فأخبره بمكانه فيه . . « انظر ص : 119 - 121 » .
- ** الصحيح أنه لجأ الى طليطلة في ايام « القادر بن ذى النون حفيد يحيى »



مجريط* : القرية الغاطسة

في خضم الحركة الدائبة التي لا تكاد تهدأ في أية مدينة كبيرة يصبح الحديث عن الماضي من قبيل احلام اليقظة . . والحديث عن (مجريط) يأتي من هذا القبيل
ومع علمي بأن (احلام اليقظة) ربما تتحول الى مرض عضال فأننى لم اهرب منها لاسباب كثيرة .

لست من الذين يفتنون بالمدن الكبيرة .
كما اننى لست ممن ينهرون بما تحويه تلك المدن .
الا اننى وتحت الحاح كلمات صادقة سمعتها في مبنى بلدية مدريد اضطررت للعودة بذاكرتى الى تخيل المدينة حينما كانت مجرد (بلدة بالاندلس) كما وصفها (ياقوت الحموى) في حين كانت شهرة اشبيلية وقرطبة وغرناطة تطبق الافاق .
وها هى (مجريط) تصبح عاصمة وتكاد ستائر النسيان تلف غيرها من المدن .
وهذه هى سنة الحياة .

ولكن هل ثمة اسباب خاصة ساهمت في هذا الوضع ؟!
هذه أمور اقرب الى اهتمام المؤرخين وعلماء الاجتماع فهم المعنيون اكثر من غيرهم بدراسة مثل هذه الظواهر وحتى لا يفسر الامر على غير المقصد ابادر بالقول بأن ما ذهبت اليه لا يعنى بأى حال أن (مجريط) أصبحت على ما هى عليه الآن بشكل غير منطقي أو مقبول ، لا ، فهذا أمر لا يدخل من قريب أو بعيد في دائرة اهتمامي .
(مجريط اليوم) لا تختلف كثيرا عن كل مدن العالم الكبرى بحداثتها وضوضائها وازدهارها ،
وان كانت لها ملامحها الخاصة فهى بلا ريب ناتجة عن خصوصية تاريخية تمتد عبر مئات السنين .
تنوع وثراء واندماج بين عدد من الانماط شكل في مجموعه مدينة نعرفها اليوم باسم (مدريد) .

صحيح انها كانت مجرد بلدة يقال عنها بأنها تبعد عن (طليطلة) بمسافة 70 كيلو مترا ،
وصحيح أن (طليطلة) الآن هى التي يقال عنها بأنها تبعد عن (مدريد) بذات المسافة وهو أمر له اكثر من معنى .

ومع ذلك لم تتخلف (مجريط) عن المساهمة ببضعة أوراق في كتاب تاريخ الاندلس ، اوراق رغم قلتها تتصف بالثبات والعمق ** .

من تلك الاوراق ان أحد أبنائها كان استاذاً لعدد من النابغين امثال: (الزهراوى وابن خلدون) وهذا الاستاذ نسب اليه بعض المؤرخين كونه واضع رسائل (اخوان الصفاء) ونعنى بلا شك : مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطى (ت 398 هـ 1007 م) رياضى فلكى قال عنه القاضى (صاعد الطليطلى) في كتاب (طبقات الأمم) بأنه كان امام الرياضيين بالاندلس ، واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وحركات النجوم واوسعهم احاطة وكان يلقب بالحاسب ، مولده ووفاته بمجريط .

من كتبه : (ثمار العدد) في الحساب يعرف بالمعاملات ، و (اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني) و (رتبة الحكيم - خ) . . وعنى بزيج (محمد بن موسى الخوارزمي) فنقل تاريخه الفارسى الى التاريخ العربى وزاد فيه جداول حسنة ، الا انه - كما يقول القفطى - اتبعه على خطئه ولم ينبه على مواضع الغلط فيه .

وقد أنجب تلاميذ لم ينجب عالم بالاندلس مثلهم فمن اشهرهم : ابن السمع وابن الصفار والزهراوى والكرمانى وابن خلدون ⁽¹⁾ .

ورجل آخر من مجريط هو :

هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسى الاديب القرطبي المجريطى الاصل ، يكنى : ابا نصر ، سمع من (ابي عيسى الليثى) و (ابي على القالى) روى عنه (الخولانى) ⁽²⁾ .

ربما لم تكتف (مجريط) بدورها القديم والذي من نتائجه انجابه لعدد من النابغين في الاندلس فها هى تستلم زمام الامور لتصبح عاصمة اسبانيا وهذا ليس غريبا عن أية مدينة يرتبط فيها الحاضر بالماضى فى تناغم وتوافق ملموسين .

ومنذ أن وصلتها (الدعوة الاسلامية) عن طريق الدعاة الاوائل ابان انتشار الاسلام فى الاندلس وهى تساهم فى كل مرحلة من مراحل تاريخ الاندلس وعلى الرغم من انها لم تستول على اهتمام كبير الا انها - شأنها فى ذلك شأن كل مدن وقرى الاندلس - لم تتخلف عن المساهمة فى نقل اوربا من ظلمة العصور الوسطى الى نور العلم والمعرفة والحرية والعدالة وغدت بفضل العروبة والاسلام مدرسة تُشدُّ الى علمائها الرحال لما عرفوا من اطلاع واسع وتنوع واحاطة بعدد من العلوم والفنون .

وهذا الامر يذكر بأهم صفة من صفات الاندلس ونعنى بها ان المتتبع لتاريخ هذه المنطقة حينما كانت تعيش في رحاب الاسلام سيلمس ان النبوغ لم يكن من اختصاص المدن الكبرى . . ودون مبالغة يمكن القول بأن الاندلس بكامله تحول الى مدرسة عربية اسلامية استوت في ذلك القرى والمدن والجزر ، وكان لكل منها اسهامها المتميز في لوحة الاندلس العلمية والثقافية والفنية .
واذا كانت قرطبة وغرناطة واشبيلية استطاعت ان تستولى على مساحة واسعة في سجل تاريخ الاندلس فان احدا ليس بإمكانه ان يسقط من الحساب أية بقعة شهدت «لا اله الا الله محمد رسول الله» بلسان عربى قويم .

(مدريد) اليوم لا تزال وفيه لـ (مجريط) الامس ، وفاؤها لا يتجسد في مجرد المحافظة على الاسم ، بل يتعداه ليشمل عددا من المظاهر الاخرى ، ثمة اثر من معمار ، وأثر من فن ، وأثر من تقاليد عريقة لا تزال بادية ، وبشيء من التبصر يمكن الاستدلال على كل ذلك وغيره شرط الا يسمح المرء لمظاهر الحياة في نهايات القرن العشرين أن تسلب له أو تبتلعه !
 وفاؤها كمدينة لا يقل عن وفاء أبنائها ، ويتجلى ذلك في حديث خاص للسيد مانويللو ارتونيو امين العلاقات العامة ببلدية مدريد حيث قال :

يسرنا أن نستقبلكم في بلدية مدريد التي هي في الحقيقة بيت كل أبناء مدريد ، هذه المدينة التي تفوح من جميع جوانبها روائح الماضي التليد ، التاريخ العربى الاسلامى ان اسمها الحالى والمحور عن (مجريط) هو كلمة عربية ، وهى مدينة تتبدى فيها بوضوح اثار الحضارة والثقافة العربية الاسلامية .

ويضيف السيد / مانويللو :

ان كل حجر في هذا المرتفع الذى أقيمت عليه هذه البلدية ينطق بملامح تلك الحضارة التى سادت في ربوع هذا البلد ، اننا حينما نتجول في ربوع هذه القرية العربية وحول نهر (مانتا نارس) الذى يشق هذه المدينة سنتذكر بالتأكيد ما كانت عليه مدريد سابق عهدا .

ويبدو ان مسئول العلاقات العامة قد ادرك ما يمكن ان يطرحه زائر مدريد من تساؤلات بهدف المقارنة بين الماضى والحاضر ، بين (مجريط) التى كانت مجرد بلدة في منطقة (وادى الحجارة) كما اسماه العرب وكما يعرف اليوم و (مدريد) المدينة الحديثة والعاصمة الاسبانية . . ولذا بادر السيد / مانويللو بالقول :

صحيح ان مدريد حاليا قد تضاعف عدد سكانها ، وكثرت مبانيها واتسعت رقعتها بشكل

غريب وملفت للانتباه ، وصحيح انها مدينة عصرية وحديثة مليئة بالحركة والعمران والضجيج ، وهذا من شأنه ان لا يمكن الانسان من التقاط خيط الذكريات وامجاد الماضي ، الاننا ومع كل ذلك نحاول ان نستقطع جزءا من الزمن والوقت الذى هو عصب الحياة الحديثة لتتجول فى الربوع القديمة والاحياء التاريخية كى نتذكر ماضى هذه المدينة ولتتمكن من استعادة شريط التاريخ القديم .

ان ما أدلى به مسئول العلاقات العامة الذى نثبته فى هذه الورقة الاندلسية لم يكن من قبيل المجاملة كما أنه لم يكن من قبيل ما يطرأ على الذاكرة . . ان ما يقوله يأتى فى سياق عمل مستمر منذ فترة ليست بالقصيرة وأكد ذلك بقوله :

ان صديقنا (البروميتشردوم) يعرف كيف حاولنا ومنذ تسع سنوات مضت فتح مدينة مدريد من جديد وهو عمل بدأه العميد السابق فى شكل عدد من الاجراءات والاصلاحات بهدف اعادة الملامح التاريخية لهذه المدينة لم يكن العميد السابق صديقا لابناء المدينة فحسب بل كان صديقا لكل ابناء الشعب العربى .

ولم ينس محدثنا ان يؤكد لدعاة (جمعية الدعوة الاسلامية العالمية) العاملين بأوربا والامريكتين الذين قاموا بزيارة لمبنى البلدية - لم ينس ان يؤكد لهم أن اجتماعهم فى (مدريد) فى ملتقاهم الثالث له طابع خاص بقوله :

اننا نحاول ان تكون هذه المدينة مدينة للجميع مدينة تستقبل كل من يفد اليها بغض النظر عن جنسه أو معتقده أو ثقافته .

وأكاد اجزم بأن هذه الفقرة لا تتحدث فقط عن (مدريد) اليوم بل انها فى الواقع تختزل تاريخ المدينة منذ بداية تاريخها الاسلامى . . لقد كانت مجرى مدرسة تعلم فى ربوعها كل من وفد اليها دون تمييز بين جنس أو لون أو معتقد ، تعلم بها ابناء أوربا الطب والفلك والرياضيات والموسيقى والادب على يد اساتذة عرب مسلمين ثم عادوا الى بلدانهم ليضعوا اللبنة الاولى فى صرح النهضة الاوربية الحديثة .

ويضيف محدثنا :

اريد ان اطمئنكم بأننا نسير على ما بدأناه منذ تسع سنوات واننى أعتقد بأنكم اخترتم هذه المدينة لللتقاكم لانها مهياة لهذا النوع من العمل ولهذا النوع من الجهد الذى تقومون به ، واننى ادعو الله بأن يكمل اعمالكم بالتوفيق ، ان مدينة مدريد ستستفيد حتما من النشاط الذى تقومون به وسيعود

عليها بالخير .

تحدث السيد / مانويلو كثيرا عن العلاقة بين الحاضر بكل ابعاده والماضى بكل ثرائه ، وكانت كلماته امام دعاة (جمعية الدعوة الاسلامية العالمية) في رحاب بلدية مدريد أو (مجريط) كما عرفها التاريخ دعوة الى المزيد من ربط الصلات لان التاريخ وفي اغلب الاحيان عامل مهم من عوامل فهم الواقع ، وليست الدعوة الاسلامية غريبة عن مدينة كهذه ، وليست (مجريط) من تلك المدن التي ربما تتعامل بحذر مع العمل الجاد الهادف الى ربط الصلات المتميزة التي تسعى الشعوب الى تنميتها فيما بينها خاصة عندما يسعفها التاريخ بالدروس والعبر المستقاة من ان العلاقات بين الشعوب كانت دائما - ويجب ان تظل - علاقات ايجابية من أجل التعاون .

ولا يجب ان ننسى ان الاسلام الذي عرفته (مجريط) عندما كانت تعيش في رحابه هو الاسلام الذي تعيش (مدريد) اليوم على اعتابه ، وهى بسبب تاريخها لا تهاب المسلمين الذين عرفت فيهم نبل المقصد وحسن النية ، وهو أمر أكدّه الاخ امين مكتب الدعوة الاسلامية بجمعية الدعوة الاسلامية العالمية حين القائه كلمة في الدعاة بمبنى بلدية مدريد بحضور لقيف من موظفي البلدية وعدد من المسلمين الاسبان حيث قال :

(ان المسلم الحقيقي هو المواطن الصالح لبلده وأمتة في اى مكان من العالم ، ونحن ننتهز هذه الفرصة لتوطيد العلاقة بالشعب الاسبانى الصديق وربط جسور التعاون من أجل رفاهية الانسانية ونشر السلام والمحبة بين البشر) .

وفي معرض اشارته للتاريخ المشترك في منطقة الاندلس ومساهماتها في نشر العلم والثقافة قال امين مكتب الدعوة :

(انها فرصة طيبة ان نطلع على حضارة الشعب الاسبانى العريق والتاريخ المشترك الذى يربطه بالعرب والمسلمين ، ونحن نفخر بالشعب الاسبانى الذى قدم لاوروبا اساسيات العلم الحديث والحضارة ابان بداية النهضة الاوربية ، بل ان النهضة الاوربية بدأت من هنا : من الاندلس) .

لقد حاولت أن اسجل مشاعر الدعاة وهم يتجولون في مبنى البلدية فوجدت ان ثمة ألفة بينهم وبين كل ما حولهم ومن حولهم ذلك انهم على اعتاب المدينة القديمة التى لا تزال كما عرفها الدعاة الاوائل .

نعم امور كثيرة حدثت عبر قرون عديدة لكن مجرد وجود هؤلاء الدعاة في هذا المبنى المقام

على ربوة من روايى (مجريط) فى نهايات القرن العشرين يمكن ان يكون بداية حوار توقف منذ قرون !

تساءلت : هل يمكننى أن أتصور بأننا نقف الآن حيث وقف احد الدعاة الاوائل ؟! ثم قلت فى قرارة نفسى : ولم لا يكون ذلك كذلك ؟!

وليسمح لى القارىء الكريم ان لم أحدثه عن (مدريد) التى يسمع عنها أو يعرفها كما لم أعرفها لأننى - وللمرة الاولى - لم أسمح لهذه المدينة العصرية أن تلتهمنى .

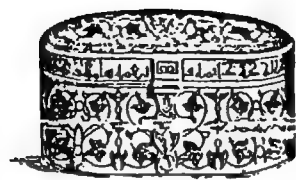
وفى حوار حول السفر والترحال - رغم قلته بالنسبة لى - قلت لبعضهم : مازرت مدينة كبرى الا وغادرتها وأنا فى خشية من غد مجهول تسير نحوه تلك المدن . . وكان الرد : لكن زيارتك لهذه المدينة (مدريد) ستختلف عن سابقاتها ، وهذا ما حدث بالفعل . . لقد كنت مشدودا فى كل شوارعها التى رأيتها - وهى قليلة جدا - الى أى ملمح تاريخى ينبىء عن ارتباطها بالماضى العربى الاسلامى ورأيت كما سمعت فى مبنى بلديتها ما كنت أبحت عنه ، وقلت لبعضهم أيضا : لقد أصبح لهذه المدينة طابع خاص فى ذاكرتى لعدة اسباب من اهمها فى هذا المجال اننى احطت بها من خلال مبنى بلديتها ، ومن خلال مظاهر عمل عربى اسلامى لازمنى حتى لحظة مغادرتها .

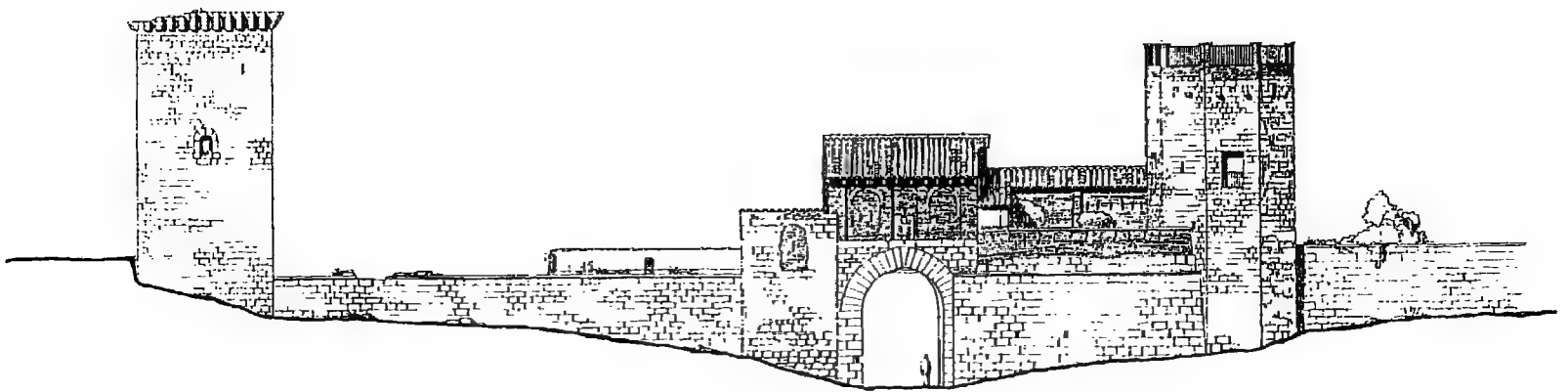
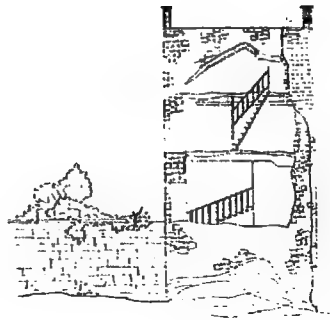
* مجريط : ذات المجارى والقنوات العديدة .

- 1 - الاعلام / خير الدين الزركلى / دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة 1980 - الجزء السابع ص 224 - عمود « أ » وانظر ايضا : طبقات الاطباء - ابن ابى اصبيحة - دار مكتبة الحياة - بيروت - شرح وتحقيق نزار رضا - ص 483 وما بعدها .
- 2 - معجم البلدان - ياقوت الحموى - دار صادر - بيروت 1979 م المجلد 5 ص 58 - عمود « أ » .

** البرومتشردوم : اسباني يعرف باسم : احمد عبد الله ، وهو رئيس جمعية مسلمى إسبانيا ، له نشاط صحفى . ألف كتابا عن الثورة فى ليبيا .

للدكتور / عمود على مكى كتاب بعنوان « مدريد العربية » دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة « د . ت » تناول فيه باسهاب نشأة المدينة وتسميتها العربية ، ودورها الدفاعى واعلامها .





تيرويل : نافذة على الفن المدجن

الفن المدجن ، سر قسطة ، السهلة ، بنورزين : ان ذكرت مجتمعة أو متفرقة فانها بلا ريب ستجعل الحديث يمر بتيرويل Teruel .

فهى من المدن باقليم أرجون التى تحتفظ بملامح الفن المدجن في ابراجها والنقوش التى تزين مبانيها ، وفي سقوف ومداخل كنائسها ، وفي ذاكرتها .

وهى احدى المدن الواقعة ضمن منطقة « سر قسطة » وسر قسطة ليست مجهولة في تاريخ الاندلس .

أما السهلة الاسم المحفور في سفر تاريخ الاندلس فان « تيرويل » أقرب ما تكون الى عاصمة « السهلة »* البراثين Albarracin .

و« بنورزين » هم الذين استقلوا كغيرهم من ملوك الطوائف بمنطقة « السهلة » وأسسوا ما يعرف اليوم بمدينة « البراثين » . . وتيرويل على مرمى حجر من هناك .

اذن فتيرويل ليست اسما عابرا المدينة تقع شمال شرق الاندلس « اسبانيا اليوم » .

الابحار في كتب التاريخ بحثا عن « تيرويل » ليس أمرا صعبا وهو ما أكدده السيد « أنخل سولار بيانويا » أحد رجال الكنيسة وأول من تعرفت عليه من سكان تيرويل حيث لحق بى وزميلي « خليل حسن صدقة » حين توقفنا برهة من الزمن فوق جسر المدينة لنقرأ ما كتب عن المهرجان الذى تحتضنه المدينة .

ولم تمض دقائق حتى وجدنا انفسنا ندخل المدينة من أوسع ابوابها .

وغدا السيد « أنخل » يقول لكل من يلتقيه من سكان المدينة : هذان صديقاي من ليبيا وفلسطين . . كان الود باديا على محيا كل من التقينا بهم .

أبحرنا مباشرة صوب تاريخ المدينة ، سؤال منى وترجمة من زميلي « خليل » واجابة ضافية من رجل كنيسة تيرويل .

قال عن مدلول كلمة « المدجنين » بأنها تطلق على الذين ينحدرون من عائلات اعتنقت الاسلام وعاشت فترة من الزمن من عصر حركة المد المسيحي .

و « الفن المدجن » هو ذلك العمل المبدع الذى قدمه المعمارىون والفنانون المسلمون لمدينة

تيرويل حينما طلب منهم القيام بذلك نظير استمرار بقائهم في المدينة .

تاريخ المدينة ضارب في اعماق الماضي ، لكن ما هو مدون في كتاب تاريخ المدينة العام الذي لا يزال مخطوطا يتحدث عن الفترة التي تبدأ منذ القرن الحادى عشر .

وثمة فقرات من ذلك المخطوط مكتوبة على قاعدة النصب الذى يرتفع كرمز للمدينة من بينها فقرة تشير الى ان تاريخ استيلاء « الفونسو الثامن » على المدينة تم سنة 1171 م .

ومما قاله السيد « انخل » حين توقفنا في احدى ساحات المدينة الجديدة : يعتقد البعض أن برج « سان بيدرو » هو أول برج شيد وفقا للنمط المعروف بالفن المدجن .

تتميز المدينة بوضوح معالمها الاثرية ، واحتفاظ تلك المعالم بطابعها ونقوشها التي لم تتأثر كثيرا بعوامل الزمن ومن بين أسباب بقائها : دقة وقوة ما تم تشييده .

وتتضمنى الابراج على الازقة والشوارع ظللاً من الهيبة ، ذلك أن عددا من الازقة والشوارع تنتهى بممرات من تحت تلك الابراج .

ولذا اعتبرت هذه الابراج وكل آثار الفن المدجن ثروة انسانية عالمية من قبل منظمة اليونسكو شأنها في ذلك شأن مدينة غدامس بالجماهيرية العظمى .

ولقد احتضنت المدينة المؤتمر الثالث للفن المدجن الذى أكد على ضرورة المحافظة على كل نقش وكل قطعة خزف تنتمى الى تلك المرحلة الاسلامية الثرية .

تيرويل تعيش في رحاب التاريخ بشكل متصل ، ومع أنها تطل كغيرها من المدن على العمارة الحديثة الا ان ثمة من يؤكد على ضرورة المحافظة على النمط التاريخي وهذا النمط في الواقع هو بطاقة تميزها وبطاقة انتهائها لحضارة الاندلس العربية الاسلامية .

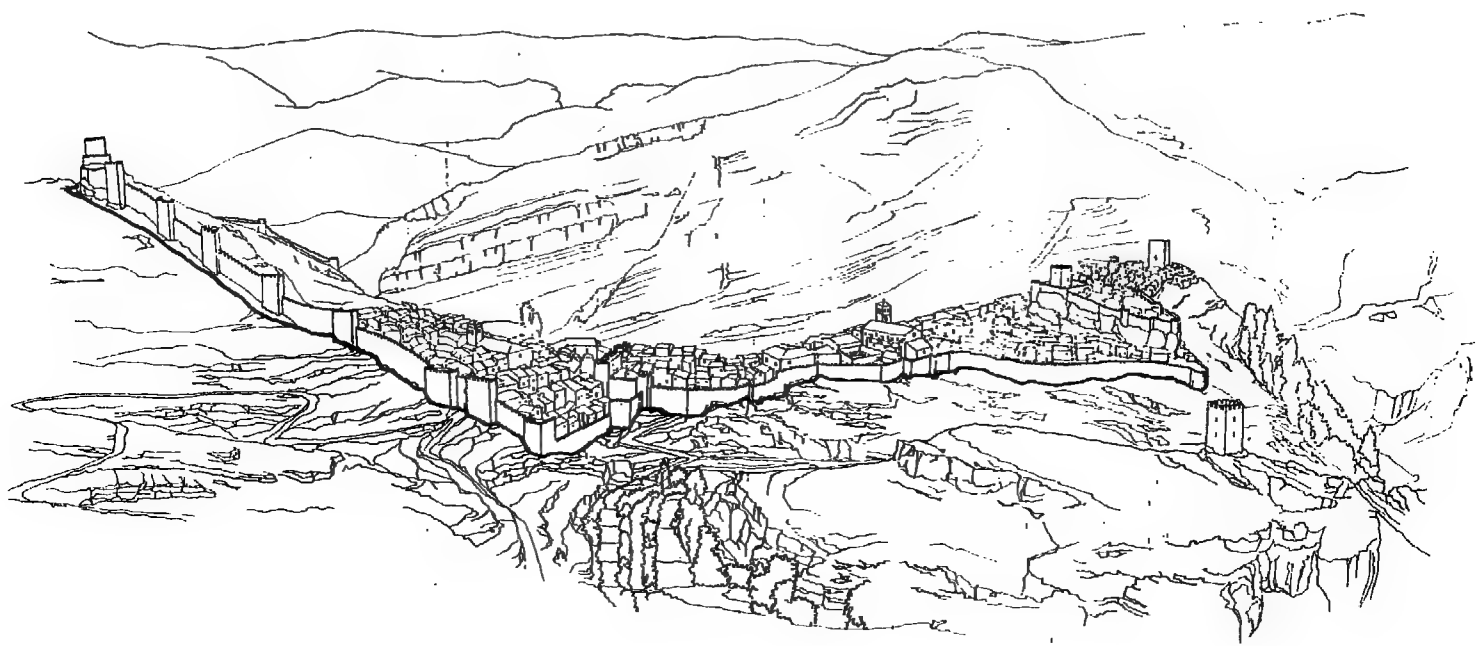
يبلغ عدد سكان المدينة حاليا (سنة 1988) 30,000 نسمة وتبلغ مساحتها كمحافظة 142,000 كيلو متر مربع .

بها دراسات جامعية متوسطة والسنوات الثلاث الاولى من الدراسات الجامعية المتقدمة .

يغلب عليها الطابع الخدمى ويقول السيد عميد بلديتها بأن العمل يجرى حاليا لتطوير المدينة وتحقيق توازن صناعى وتجارى وزراعى .

عاشت المدينة اياما لا تنسى ، صحيح أنها تستيقظ كل يوم على ما يميزها من فن معمارى جذاب ، وصحيح انها تحاول ان تفتح ابوابها لكل القادمين بترحاب واضح ، الا انها وجدت نفسها تعيش اياما حافلة جعلتها قبله انظار العديد من أبناء المناطق الاسبانية المختلفة فشدوا اليها الرحال ليطلقوا من خلال نوافذ ابراجها ومن خلال المهرجان الثانى الذى نظمه المعهد الغربى للثقافة الاسلامية على مراحل تاريخية متعددة .

* عرفت عند العرب كذلك باسم : شتيمرية الشرق / بنى رزين ، تميزاً لها عن شتيمرية الغرب على الساحل الجنوبي لاقليم الغرب بجنوب البرتغال



يوم فك ضيافة « بنك رزين »

من مدن « الثغر الاعلى » ثمة منطقة لا ينطبق اسمها على رسمها بأى حال ، منطقة كل شيء فيها محدود : اماكن البناء ومناطق الزراعة ، سميت « السهلة » وهى فى الحقيقة النموذج المثالى لاصعب المدن طبيعة وتحصينا .

وحين كنا فى طريقنا اليها من مدينة (تيرويل) أو (طرويل) كما سماها العرب قال اكثر من واحد : اين تكمن « السهلة » التى يشير اليها الاسم ؟ واذا كانت المدينة قد عرفت قديما بأنها « السهلة » فان المرء ليس بإمكانه ان يتصور اى معنى من معانى الصعوبة . الطريق ذاته يجعل من كلمة « السهلة » محل نظر ، ورغم اننا جميعا منيئنا أنفسنا بالوصول الى مدينة سهلة بأى مقياس من مقياس السهلة فان الأمر لم يحدث على الاطلاق ، وتحطمت كل امانينا على صخور ومرتفعات « السهلة » !

المدينة بكاملها ليست بها اية مساحة ارضية مستوية ، فانت ومنذ وصولك اليها بين صعود وهبوط وانعطاف ، واذكر ان بعض الزملاء وصفها بأنها : المدينة التى تهزم المدخنين ! . ورغم محاولات البحث عن سبب مقنع لوصف أو تسمية هذه المدينة بالسهلة فان الامر ظل غريبا مما جعلنا - اراحة لبالنا - نفتنع بما اعلنه أحد المختصين فى محاضرة تاريخية عن المدينة بقاعة متحفها حيث قال بأن المدينة بسبب صعوبتها تتميز بأن الدفاع عنها يعتبر سهلا للغاية حيث انها تقع على مرتفع صخرى يصعب الوصول اليه ، ويحيط بها من جانب آخر نهر ليس من السهل اجتيازه . أهمية المدينة تنبع من موقعها الجغرافى ، وفى محاولة لتفسير ما ذهب اليه « الشترينى » حين وصفها بأنها موسطة ما بين الثغر الاعلى والادنى . . وليس فى بلد الثغر اخصب بقعة من « السهلة » المنسوبة الى بنى رزين فى محاولة لتفسير ذلك نقول نقلا عن ورقة أعدها احد الباحثين عن مدينة « السهلة » تقع المدينة فى منطقة يمكن تسميتها بمنعطف تتقاطع فيه كل جغرافية اسبانيا ، حيث ينبع منها العديد من الانهار الاسبانية مثل : تاجه ، الخوكار ، النوريا ، الخيروكا . وهى انهار تصب فى المحيط الاطلسى والبحر الابيض المتوسط .

المعلومات المتوفرة ترجع تاريخ تأسيس هذه المدينة الى مرحلة القوط الثانية على ان هناك مؤشرات اكتشفت خلال الحفريات توحى بوجود مركز سكانى فى هذه المنطقة ابان عهد الرومان ،

وهذه المعلومات استقاها الباحثون الاسبان من المراجع العربية .
فتح العرب المسلمون هذه المنطقة في المرحلة الاولى اثر فتح غرناطة على يد إحدى كتائب جيش « طارق بن زياد » .
والمعلومات عن المدينة نادرة بشكل واضح ابان المراحل الاولى للفتح لكنها ومنذ القرن العاشر الميلادى بدأت تأخذ مكانة متميزة في تاريخ المنطقة وتاريخ الاندلس بشكل عام حيث عرفت منذ بدايات القرن العاشر الميلادى بأنها حاضرة « بنى رزين » .
وتقول المراجع الاسبانية بأن العرب لم يعمدوا حين فتحهم للمدينة الى تغيير أى شىء بالمنطقة « وهو مما يبرهن على التسامح الذى امتازت به الثقافة العربية الاسلامية » ولم يضطر السكان الذين يقطنون المدينة الى مغادرتها أو حتى مجرد التفكير في تغيير معتقدتهم .
بقيت « السهلة » تابعة لقرطبة فترة من الزمن ، لكن سقوط الخلافة الاموية وظهور ملوك الطوائف اضافة الى ما تتميز به « السهلة » من طبيعة تتسم بالعزلة اتاح « لبني رزين » أو « بنى الاصلع » اعلان استقلالهم بعد تقلب بين قرطبة وطليلة .
وامتد سلطان « بنى رزين » في القرن الحادى عشر ليشمل كل محافظة « تيرويل » وتذهب بعض الاراء الى اطلاق اسم « السهلة » على المنطقة بكاملها « وربما يعود ذلك الى المنطقة السهلية التى تقع في الطريق الواصلة بين البراسين هو الاسم الاسبانى للمدينة نسبة الى « بنى رزين » وبين تيرويل .
بدأ اسم المنطقة يأخذ مكانه في صفحات كتاب تاريخ الاندلس ابتداء من العام 1013 للميلاد حين تم اعلانها كامارة على يد « هذيل بن رزين » الذى لم يتجاوز العشرين من العمر ، يقول عنه « ابن حيان : واما ابو محمد هذيل بن خلف بن لب بن رزين المعروف بابن الاصلع صاحب السهلة . . . « فانه » سحا لاول الفتنة الى اقتطاع عمله ، والامارة لجماعته ، والتقى لجاره اسماعيل بن ذى النون في الشرود عن سلطان قرطبة ، فاستوى له من ذلك ما أراد هو وغيره من جميع من انتزى في الاطراف « وبايعه اهلها سنة (403 هـ) فأحكم نظامها وابتعد بها عن خوض الفتن فأمنت في عهده » .
وعلى الرغم من ان « هذيل » هذا كان ممن عملوا على توسيع رقعة الانشقاق ومن ثم المساهمة في كتابة الاسطر الاولى من قصة انهيار الاندلس المؤلة ، على الرغم من ذلك فانه - وحسب شهادة بعض المؤرخين العرب - كان « جميل العشرة ، ظاهر المروءة . . مع طلاقة لسانه ، وحسن توصله بالكلام الى حاجته دون معرفة ! ، وكان مع ذلك أرفع الملوك هممة في اكتساب الالات والكسوة » .

وكان مولعا بشكل خاص بالاداب والفنون ، ومن بين من ضمهم بلاطه ، امرأة كانت بحق من أهم مميزات عصر « هذيل » ومن اوصافها انها كانت « واحدة في وقتها لانظير لها في معناها ، لم ير أخف منها روحاً . . ولا أجود كتابة ، ولا أملح خطا ، ولا أبرع أدبا ، ولا أحضر شاهدا على سائر ماتحسنه وتدعيه ، مع السلامة من اللحن فيما تكتبه وتغنيه ، الى الشروع في علم صالح من الطب ، ينسبط بها القول في المدخل الى علم الطبيعة وهيئة تشريح الاعضاء والباطنة وغير ذلك مما يقصر عنه كثير من متحلي الصناعة، الى آخر ما ذكره « ابن حيان » من أوصاف .

بقى « هذيل » يحكم المنطقة حتى توفي وخلفه ابنه « عبود » فاقتفى طريق والده الى ان مات . وفي عام 1045 م تولى « ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن عبود بن هذيل » ولم يذكر صاحب « الاعلام » عبود بن هذيل معتبرا ان عبد الملك هو ثاني امراء بني رزين ، استمر عبد الملك في الامارة زهاء 48 عاماً وكان سياسيا محتكا تمكن من المحافظة على استقلال دولته على الرغم من الضغوطات التي تعرض لها ليس فقط نتيجة للتوسع المسيحي بل من قبل جيرانه ايضا مثل الفونسو السادس و « السيد الكنيطور » ، وللسيد هذا حكاية قد لا يتسع المقام لذكرها* .

وصفت شخصية « عبد الملك » بالتناقض حسب تعبير احد المختصين في تاريخ المنطقة ، وذهب المؤرخون في وصفه مذاهب شتى يستخلص منها انه كان بطاشا . . « لايناجي المذنب عنده الا الحسام الصقيل » كما يقول « الفتح ابن خاقان » الذي ينقل عنه « المغرب » وصفه له بأنه كان « منتهى فخارهم وقطب مدارهم » يعني « بني رزين » ، ثم قال : « وربما عاد انعامه بؤسا وانقلب ابتسامه عبوسا ، وذلك في مجلس شرابه ، ومع هذا فانه كان غيثا في الندى وليثا في العدا » ويقول « الشنتريني » عن عبد الملك بأنه كان من المتأدبين مثبتا بعضا من نثره وشعره .

فمن نثره يخاطب « ابن طاهر » امير مرسية المخلوع : « من عرف - اعزك الله - الايام وصروفها ، وخلقها وصنوفها ، وخبرها على مناقلها ، في وجوه تداولها ، وحل محلك في التمييز ، والسبق والتبريز ، لم تزده شدتها الا معتبرا ، وشكرا لله وتدبرا » ، ووصف صاحب « الاعلام » شعر « عبد الملك » بالسخف ، وقال عنه « الشنتريني » : « وكثيرا ما رأيت في شعره وشعر غيره ممن سلك هذا المسلك ، يبداء مضلة لاتسلك ، واغاليط لاتستدرك . وبالجملة فلو جرى ذو الرياستين على عفوه ، وعرف منتهى شأوه ، لكان شاعرا مجيدا ، وناثرا معدودا » .

وقد اثبت له بعض الابيات في الفخر والوصف والغزل صاحب « الذخيرة » ، ومما جاء في « المغرب » قوله للوزير « ابن عمار » :

ضمان على الايام ان ابلغ المنى اذا كنت من ودي مسرا ومعلنا
فلو تسأل الايام من هو مفرد بود ابن عمار لقلت لها : انا
فان حالت الايام بيني وبينه فكيف يطيب العيش أو تحسن المنى

ولعل شعر وزيره الكاتب ابي بكر بن سراري قد ارتقى الى مستوى أفضل مما جعل
« الحجارى » يقول في « المسهب » : ان له شعرا أرق من نسيم السحر ، واندى من الطل على
الزهر .

استمر « عبد الملك » في الامارة حتى وفاته سنة 1103 م حيث تولى بعده ابنه « يحيى الملقب
بحسام الدولة الذي لم يستمر في الامارة الا سنة واحدة » .

وهنا دخلت المنطقة مرحلة جديدة . بسبب زيادة الضغط الذي كان يقوم به المسيحيون .
وبوصول « المرابطين » انتهت اماره « بني رزين » كالعديد من امارات ملوك الطوائف ،
وتمكن المرابطون من احكام سيطرتهم على « السهلة » وفي مقدمتها حاضرة « بني رزين » التي
اصبحت من أعمال « بلنسية » . ثم سقطت في يد المسيحيين عام 1170 م .
كان ذلك ابصارا ، او ان شئت سفرا في ذاكرة الزمن حاولت من خلاله أن اتعرف على تاريخ
المدينة ، ولا حرج في ان اسوق للقارىء الكريم بعضا من اللحظات التي تجولت خلالها في ازقة
وشوارع وحصون المدينة .

وأول مايمكن ذكره انني التقيت وتعرفت على أحد الاخوة العرب المشاركين في فعاليات
المهرجان المنتظم بمدينة « تيرويل » بمبادرة من المعهد الغربي للثقافة الاسلامية . . ولا اخفى عليكم
انني سعدت كثيرا بالتعرف على هذا الاخ الكريم لانه ذكر لي حين تجولنا في حاضرة « بني رزين »
انه من هنا - أعني أنه ينحدر من عائلة كانت هنا - وبشكل دقيق : ينتمى الى عائلة « بني رزين »
التي جاءت مع « طارق بن زياد » واستقرت ماشاء الله لها ذلك ، وهامي اليوم تعيش في تطوان
بنفس الاسم الذي حفظه التاريخ « بني رزين » .

ولأنني وزميلي خليل حسن صدقة اخترنا أو آثرنا التعرف على المدينة بطريقتنا الخاصة والتي
اثبتت جدواها أكثر من مرة شد انتباهنا محاولة احدى السيدات اللهاق بنا . وقد استطاعت . .
وكانت على ما يبدو تريد التحدث معنا ، وقد فعلت فقالت : سمعتمكم تتحدثان بلغة ليست غريبة
عني ، وبادرها الزميل خليل بالقول : نحن عربيان من فلسطين وليبيا . ارتسمت على وجه السيدة

ملاح الاطمئنان وحاولت ان تسترد انفاسها بسبب عامل السن وقالت بأن ابنها يشبهنا كثيرا حتى ان بعض اصدقائه يسميه بالموريسكي ، وهو أقرب في ملامحه الى العرب منه الى اهل شمال اسبانيا . زار أحد الاقطار العربية ، حاولت السيدة أن تعبر قدر استطاعتها عن عميق ارتياحها وتقديرها للعرب ، ويبدو انها تذكرت اننا نقف في وسط الزقاق فقالت بابتسامة عريضة وأدب جم : ان يقي يقع في هذا الزقاق وقد تركته مفتوحا وتمنت ان نلبي دعوتها ونقوم بزيارة بيتها ، كانت تشبك كلتا يديها وتضعهما على جبينها لتقول بين الحين والآخر بأنها سعيدة للغاية لأنها سمعتنا نتحدث العربية وأنا عرب ، وبسبب البرنامج المكثف والذي يحتم علينا زيارة المدينة بكاملها في وقت قصير ابلغنا هذه السيدة اعتزازنا بترحابها البالغ آملي ان تتمكن من تلبية دعوتها الكريمة لولا ظروف السفر ، وحين عودتنا الى ساحة متحف مدينة (بني رزين) اذكر ان احدا منا قال : لو أننا فقط نعطي اهتماما ولو ضئيلا لمثل هذه المدن والقرى التي لاتزال ترتبط بالعروبة والاسلام بألف سبب ومظهر . ولا أذكر بقية ماتبقى من كلمات .

شوارع المدينة وأزقتها الضيقة اضافة الى اساليب البناء تدل على انها احد رموز المعمار الاسلامي ، ويبدو انها اصررت على ان تبقى وفيه لتاريخها العربي الاسلامي في كل شيء ، فهي اضافة الى ابنتها وشوارعها لاتزال تحتفظ بنمط الحداثات العربية الاسلامية الى اليوم كما ان اساليب الري والزراعة لاتزال مطبقة حتى الآن ، اضافة الى ان المساحات الزراعية المحدودة لازالت تعطي الخير الوفير منذ ان استصلحها العرب المسلمون منذ قرون . في مدينة (بني رزين) حكايا كثيرة واذا كانت كل الحكايا لايمكن ان تروى لا لأي سبب عدا ضيق المساحة وخوف الاطالة فان بعضها جدير بأن يشار اليه .

لقد رحبت المدينة من خلال قاطنيها وزوارها ذات ليلة من ليالي شهر الفاتح (سبتمبر) 1988 م بأطفال من فلسطين كأجل مايكون الترحاب ، مبدئين اعجابهم وتقديرهم لهؤلاء الاطفال الذين غنوا للتحرير والعودة في حماس منقطع النظير ، كانت رقصاتهم المعبرة وصوت وقع اقدامهم على خشبة المسرح المفتوح في أحد ميادين حاضرة (بني رزين) مثار اعتزازنا نحن الذين ندرك بعمق معنى مايحدث وكانت في ذات الآن بصمة لن ينساها سكان وضيوف المدينة الذين لم يتركوا وسيلة تعبير عن مدى الاعجاب والاستحسان الا وابدوها .

وفي ذات الوقت الذي كنا فيه نتابع اللوحات الفنية المعبرة والانشيد القوية المدوية في سماء

المدينة اذ بي اسمع احدا يلقي على سؤالاً بلغة عربية سليمة عما اذا كان هؤلاء الاطفال اعضاء في فرقة فنية ، وقبل أن اجيب سألت بدوري : هل تتقنون جميعاً اللغة العربية وتحدثونها بطلاقة ؟ قالت واحدة من الحضور : ليس هذا فحسب ، بل انني اقوم بتدريس اللغة العربية في بلدي (اليكاني) واسمها العربي : لقنت ، وقالت ثانية : لقد زرت بعض البلدان العربية بهدف تقوية لغتي العربية ، وقال ثالث : اننا نقبل على تعلم اللغة العربية بشوق بالغ ، وجميعنا تعلم هذه اللغة في الجامعات الاسبانية وفي بعض المعاهد المتخصصة . . تشعب الحوار كثيرا لكن بعض الحضور أعاد السؤال عن اطفال فلسطين ، ليفتح بابا من الحوار ظل مفتوحا طيلة يومين .

لم يجد أحد سكان المدينة بدا من القول بأنه وللمرة الاولى في تاريخ المدينة يرى عربا يتجولون في أزقتها ، فقلت : ولكن الازقة ذاتها بنيت من قبل العرب ، قال مستدركا : اقصد العصر الحاضر حيث انه لم يشاهد أو يلتق من قبل بزائر عربي في هذه المدينة .

قلت لنفسني : ولماذا تأتي الى هنا ؟ الى قرية صخرية نائية ليس فيها الا التاريخ ينتصب شامخا ، فهي ليست مدينة كبيرة وليست قرية من أية مدينة كبيرة ، انها قرية تنام منذ الغروب في هدوء تام بين سلسلة من المرتفعات العملاقة .

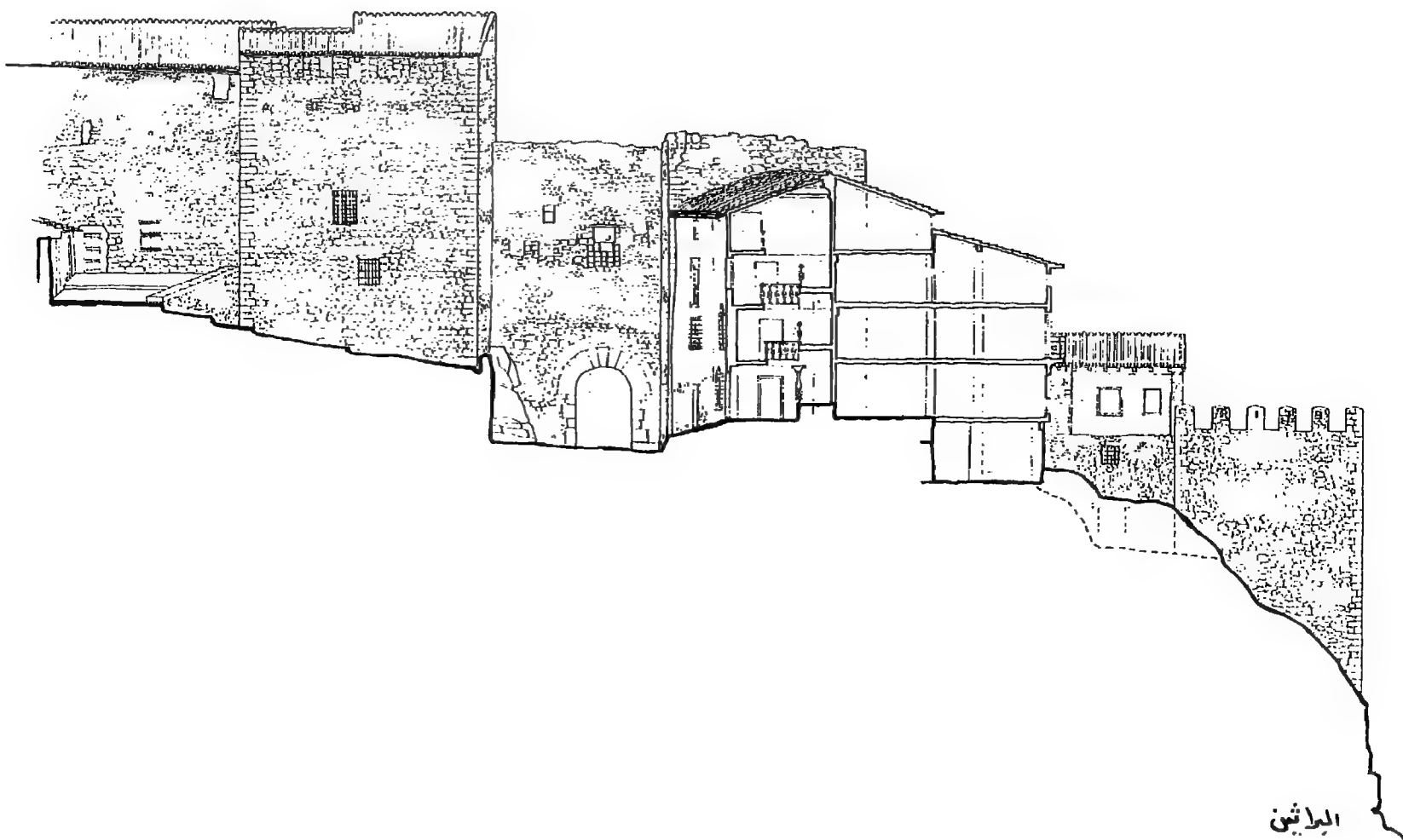
واتذكر ان احداً من الذين كانوا يجتسون الشاي في مقهى صغير بالمدينة قال : مالم يكن المرء باحثا أو مؤرخا أو عالم آثار فما الذي سيحفزه على المجيء الى هنا ؟!

قالت احدها وهي تطلق العنان لبصرها عبر سماء المدينة الهادئة : مالم يكن المرء عاشقا للاندلس فانه لن يجد امامه حافزا واحداً يحثه على تسلق هذه المرتفعات .

اتمنى الا يظن أحد من القراء انني اكتب من الذاكرة وأحمل الاحداث غير الحقيقة ، وما أقدمه لك أيها القارئ الكريم ليس الا سردا واقعيا لاحداث وحكايا تتابعت طيلة اليوم الذي قضيناه في ضيافة (بني رزين) في مدينتهم التي تعرف اليوم باسم (البراسين) وينطقها الاسبان (البراثين) .



-
- 1 - الاعلام - خير الدين الزركلي دار العلم للملايين / بيروت الطبعة الخامسة 1980 - المجلد الرابع ص 166 والمجلد الثامن ص 79 و 155 .
 - 2 - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة - ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني - تحقيق احسان عباس - الدار العربية للكتاب / ليبيا تونس م 1981 - القسم الثالث المجلد الاول ص 113 .
 - 3 - المغرب في حلى المغرب - حققه وعلق عليه شوقي ضيف - دار المعارف بمصر 1955 - الجزء الثاني ص 428 وما بعدها .
 - 4 - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب / لابن عذارى المراكشي - الدار العربية للكتاب - الطبعة الثالثة 1981 - الجزء الثالث ص 181 وما بعدها - الجزء الرابع ص 43 .
- * وللمزيد عن هذا الفارس القشتالي ، انظر ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم الثالث ، المجلد الاول ص : 95 - 101 .



المراشيق

ملاحظات من وحى الاوسكريال

من المعالم التى لا يمكن اغفالها حين الحديث عن الاندلس « مكتبة الاوسكريال » ، فهى الى جانب كونها من أشهر مكتبات العالم تعتبر محطة مهمة لكل باحث أو متحدث عن الاندلس أو زائر له .

كنت أتوقع قبل زيارتها اننى سأجد مكتبة بحجم الشهرة التى تتميز بها مكتبة الاوسكريال الا اننى علمت وشاهدت أن الشهرة لم تكن نابعة من حيث الاتساع والفخامة بقدر ما هى ناشئة من احتواء هذه المكتبة عددا غير قليل - وليس كثيرا بالطبع - من المخطوطات النادرة ، اضافة الى ان « الاوسكريال » ليست مكتبة فقط فهى تحوى بجانب المخطوطات ما يعتبره الاسبان تاريخا متكاملًا غير منقوص لبلدهم خلال حقبة مهمة .

اننى وان كنت لست معنيا - فى هذه الورقة - بالتاريخ العام للاوسكريال الا انه لا ضرر من اعطاء لمحة موجزة مختصرة .

« الاوسكريال » ليست مكتبة فقط ، فهى بوصف عام مجموعة من المباني تقع فى قرية بذات الاسم على بعد 41 كيلو مترا الى الشمال الغربى من مدريد ، شيدها « فيليب الثانى » ما بين عامى 1563 و 1589 للميلاد كقصر له عندما نقل عاصمته من طليطلة الى مدريد .

والاوسكريال تشتمل على قصر ودير وكنيسة ومتحف ومكتبة غنية بالمخطوطات العربية كما تشتمل على اضرحة معظم الملوك الاسبان .

واذا كانت الاوسكريال ترضى نهم الباحثين والزوار من حيث تعدد وتنوع محتوياتها وطبيعة أبنيتها وحدائقها ، فانها بالنسبة لنا كعرب ومسلمين تعنى الكثير .

ولانها حلقة لا يمكن تجاهلها حين التحدث عن فترة من تاريخنا فان مبرر الحديث عنها لا

يستحق كبير عناء .

كما ان الاحداث المهمة التى مرت بها تعينا لأنها - ايضا - تتعلق بجزء من تاريخنا وحضارتنا فلا مفر من الاشارة الى بعض من تلك الاحداث التى نتج عنها ضياع جزء مهم من كتبنا ومخطوطاتنا المكتوبة بلغتنا وبأيدى علمائنا وتتناول : عقيدتنا وفقهنا ولغتنا وأدبنا وكل شأن من شئون الاندلس تقريبا .

وأود أن يتقبل القارئ الكريم تداخلا كان لابد منه والذي قصدت من خلاله التنبيه الى ملاحظة ارتسمت في ذهني حين اطلعت على التاريخ العام لمكتبة الاوسكريال .
يقول الكتاب « الاعلاني » عن الاوسكريال بأن « فيليب الثاني ساهم شخصيا ومن مكتبته الخاصة بما مجموعه 4000 مجلد من مختلف الاحجام وهذه المجموعة تعتبر المخزون رقم « 1 » بالمكتبة حاليا .

يقول الكتاب ايضا بأنه بعد سنة 1609 م تم اغناء المكتبة بمجموعة عربية نادرة من الكتب والمخطوطات العربية من مجموعة كتب « مولاي زيدان سلطان المغرب » ويفوق عددها 3000 مخطوط اسلامي نادر .

الا ان الغريب - والذي أود الإشارة اليه - هو ان الحريق الذي شب في المكتبة عام 1671 م والذي التهم اكثر من 5000 مخطوط نادر قد أتى على معظم المخطوطات العربية وفي المقابل لم يلحق الاذى اى مخطوط من تلك المخطوطات التي زودت بها المكتبة من قبل « فيليب الثاني » .
أليست مفارقة غريبة ان يحدث ذلك ؟!

بعد ذلك الحريق تعرضت المكتبة لضياح آخر خلال عامي 20 - 1823 م وذات الامر حدث للمرة الثانية ، ضاع بعض المخطوطات العربية النادرة وبقيت مجموعة « فيليب الثاني » .
وبعد مرحلة من عدم الاستقرار تعرضت لها المكتبة بلغ عدد محتوياتها من المخطوطات عام 1859 م حوالى 30,000 مجلد ثم اضيفت اليها مجموعة اخيرة خلال القرن الثامن عشر ليصبح العدد 40,000 مخطوط تقريبا .

وثمة عدد لا بأس به من المخطوطات العربية لم تتم فهرسته بعد ، ومنذ القرن الثامن عشر لم يتم تزويد المكتبة بأى مخطوط .

وخلال تجوالى بالمكتبة صحبة الصديق الدكتور على الحلو التقيت أحد المشرفين ودار بيتنا حوار علمت خلاله أن فهرسا خاصا بالمخطوطات العربية قد انجز مؤخرا يحوى الفئ عنوان ، وهو مصور وبه بعض التعليقات بخط اليد وعلمت ان سبب ذلك يعود الى ان العمل في هذا الفهرس قد توقف بسبب تقاعد من قام باعداده والاشراف عليه ، وحين طلبت نسخة من هذا الفهرس علمت بأن النسخ التي تم طبعها وتجليدها لا تتعدى العشر ، ولا ادري ان كان ذلك من باب الترغيب أو هو الحقيقة بعينها ومع ذلك فان الحصول على نسخة كان الهدف الذي لابد منه خاصة عندما حاولت ان

اقنع نفسى بأن عدد النسخ محدود جدا !
تتميز المخطوطات المفهرسة بأنها مجلدة بطريقة موحدة وبجلد مغربى فاخر ، ومعرضة
بطريقة تتميز بها فقط « مكتبة الاوسكريال » من بين جميع مكتبات العالم ، حيث ان كعب المخطوط
لا يكون في مواجهة الزائر .

من بين المخطوطات المعروضة للزوار مصحف مكتوب بخط متقن ومزخرف ببهاء الذهب ،
وكان حين زيارتنا مفتوحا على سورة « طه » ، وحين سألت : هل يتم تقليب صفحات المخطوطات
المعرضة دوريا حتى لا تتأثر بعوامل الاضاءة وغيرها قيل بأن ذلك يتم سنويا ، لكن احدى
المشرفات على المكتبة لم تؤكد ذلك .

ولاننى كنت قد اطلعت قبل زيارتى لمكتبة الاوسكريال على واحد من احدث الكتب أصدرته
اللجنة اليهودية الاسبانية بعنوان « سفاراد 92 » والذي كرس لتشيت الادعاء القائل بأن الحضارة
الاندلسية لا تعود الى العرب والاسلام بقدر ما تعود الى « اليهود » لذلك عقدت العزم على معرفة
عدد المخطوطات العربية وعدد المخطوطات اليهودية بهذه المكتبة التى طبقت شهرتها الافاق ، أردت
ذلك لا لأعقد مقارنة أو لأؤكد من صحة دعوى باطلة من أساسها ، ولكن لألمس مدى التقصير
الذى نوليه لتاريخنا ، وكانت النتيجة ما يلى :

عدد المخطوطات الموجودة حاليا يفوق 40,000 مخطوط منها :

2000 مخطوط عربى نادر .

2090 مخطوطا لاتينيا .

580 مخطوطا باللغة الاغريقية .

72 مخطوطا عبريا / بالعبرية لا غير .

واذا كان عدد المخطوطات العربية فى الاوسكريال يفوق الالفين « لم نضع فى اعتبارنا
المجموعة التى لم تفهرس بعد » فكم يا ترى هو عدد المخطوطات العربية فى المكتبات الاسبانية
الاخري وفي الاديرة والكنائس ونضيف الى ذلك مع بقاء السؤال مفتوحا - المخطوطات المكتوبة
بالاحرف العربية وبلغة اسبانية والمخطوطات التى كتبها المستعربون والموريسكيون والمدجنون ؟!
كم يا ترى سيكون العدد الثروة ؟!

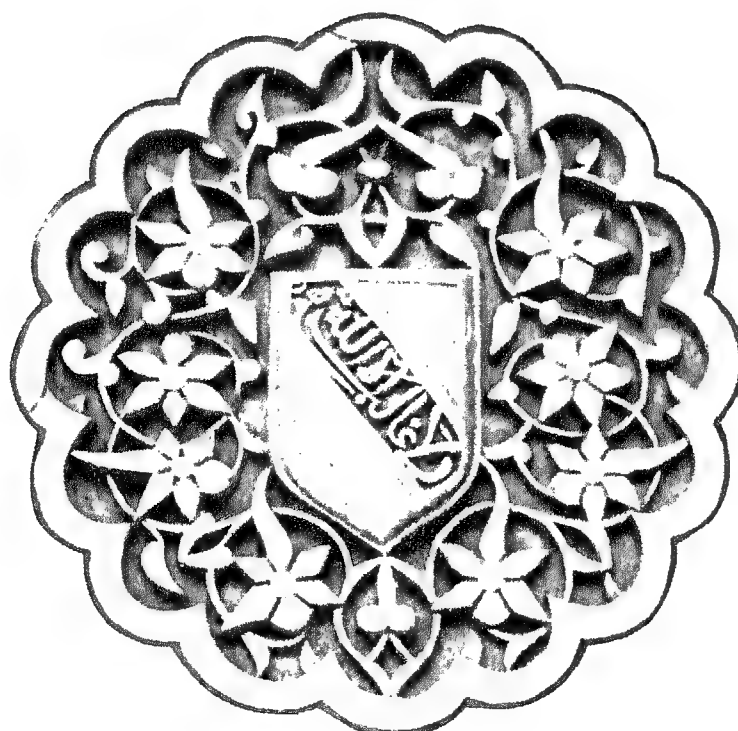
والى اى مدى سيصمد الزعم الآخر ؟
الا ان الزعم الآخر سيظل قائما ما لم يطلع الواقفون على طرفى القضية على حقائق الامور .
اننا لا يمكن ان نقبل الهروب من تاريخنا والتناكر له والا فان الزمن الذى سنقدم فيه باعتبارنا
غزاة ليس ببعيد ، عندها لن يجدى اصرارنا على الحقيقة التى تقول بأننا كنا حملة حضارة ورسلا
هداية .



56

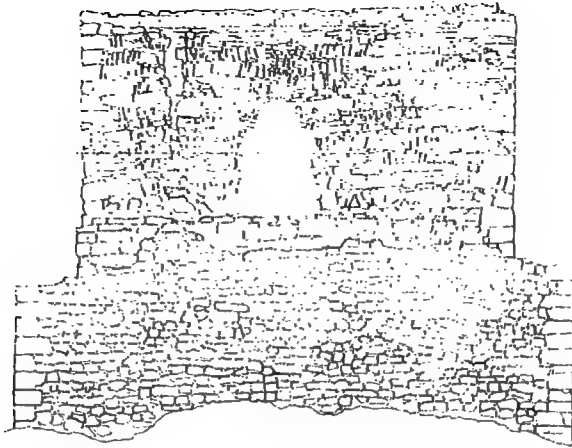
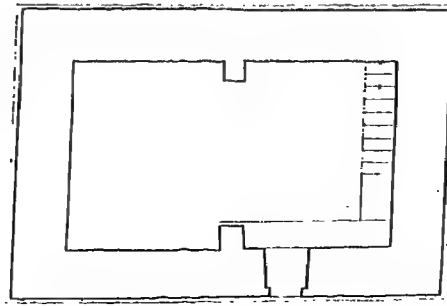
Union of the Alexandria Library (UOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie







القسم الثاني



الاندلس 1992: محاولة أولى للاقتراب

عام 1992 للميلاد أريد له ان يكون عاماً متميزاً ، وتشير التوقعات إلى انه سيشهد جملة من المتغيرات الدولية والاقليمية على مختلف الاصعدة .

وإن كانت المتغيرات المتوقعة تهمنا باعتبارنا جزءاً من هذا العالم فإن درجة اهتمامنا تتفاوت بنسب مختلفة ، وما لن نراه جديراً بالاهتمام ربما يكون بالنسبة لغيرنا أهم مايمكن ان يحدث ، الاختلاف يرتبط بمدى تأثير هذا الحدث أو ذاك على هذا الجزء من العالم أو ذاك .

وعام 1992 للميلاد هو المناسبة الاحتفالية الكبيرة التي يمكن خلالها الالتفات نحو (الاندلس) بشكل ملحوظ وفعال ، وإن كنا قد اضعنا في خضم مانعشه على مستوى الوطن العربي والعالم الاسلامي مناسبة مرور 500 عام بالتقويم القمري للاهتمام بالاندلس فيها هو التقويم الشمسي يمنحنا الفرصة الاخيرة - بالنسبة لجيلنا ولعدة اجيال بعده - وأملنا أن لاتضيع هذه الفرصة التاريخية التي من خلالها ربما نستطيع ترميم جسور الحوار والتواصل مع منطقة تمتعت بعمق وثراء ومثالية الحضارة العربية الاسلامية .

(الاندلس 1992) يعني مرور 500 عام على تسليم مفاتيح (قصر الحمراء) من قبل ابي عبد الله محمد الصغير لاسبان فجر يوم 2 / 1 / 1492 م . وكانت عملية التسليم تعني : مغادرة المسلمين نهائياً لآخر مدينة تمتعت بفضل العروبة والاسلام بدرجة رفيعة من التقدم جعلها قبلة العلماء والفنانين ، وجعلها مثالا يُحتذى وانموذجاً تمت كل مدن اوروبا محاكاته .

ولم يكن تسليم المفاتيح مجرد نهاية لمعركة بين (مملكة قشتالة المسيحية) وبين (غرناطة العربية المسلمة) إن الامر في حقيقته كان اعمق من ذلك ، انه وحسب وجهة نظر الصليبية المتعصبة انتصار اوروبا الكاثوليكية على العروبة والاسلام اثر فشل الحملات الصليبية على مشرق الوطن العربي . ولذا فان مهاجمي (غرناطة) لم يكونوا اسبانيين فقط ، لقد كانت الجيوش الزاحفة نحوها مكونة من كل الامم الاوروبية وكانت مواقف البابا المحرصة تساند هذه الحركة التي وصفت بأنها (حركة استردادية) .

عام 1992 يعيد الى الازهان ايضاً حركة المد الاوروبي المسيحي نحو العالم الجديد (امريكا) حيث ابحرت السفن بقيادة الاسبان حملت ايضاً خليطاً من كل شعوب اوروبا جاعلة هدفها

الاساسي : تنصير (الهنود الحمر) ونشر المعتقد الكنسي في تلك البلاد وكأن الحملة كانت ايضاً تعويض كل الذي خسره اوروبا في حملاتها الصليبية على الوطن العربي .
إن تمثال ملكة اسبانيا (ايزابيلا) وهي تبارك باسم البابا قائد الاسطول الاسباني الاوربي المتجه نحو (امريكا) والمنتصب في احد ميادين (غرناطة) يعني الكثير ، فبعد ان اجبر الاسبان الاندلسيين المسلمين على ترك بلادهم ومغادرة (غرناطة) هاهي القوة العسكرية الصليبية تعقد العزم على تكرار التجربة مرة ثانية على الشاطئ الآخر للمحيط الاطلسي .
ليس هذا مدخلا للحديث عن قضية تطل على عالمنا المعاصر في نهايات هذا القرن ، انه مجرد نقاط تراءت لي فاحببت ان اثبتها توطئة لنشر حديث مبتور بسبب ضيق الوقت وحصار الزمن الذي لا يرحم احدا ترمى به الاقدار ذات يوم في احدى المدن الاوربية التي يطحنها الوقت بلا هوادة .
هذا الحديث شارك فيه بعض الاخوة الذين حاولوا جاهدين تلافي عدد كبير من (القضايا الحساسة) وهم يتحدثون عن قضية (الاندلس 1992) اكثر القضايا حساسية وتعقيداً .
وسأحاول جاهداً عرض وجهات النظر كاملة دون اللجوء الى اسلوب الحوار الذي ربما يكون على حساب الاسترسال .

يقول الاخ / هارون أمين جمعية مسلمي غرناطة :
« هذا موضوع حساس جداً ، ويجب التنبه التام حين تناوله . . لقد حاولنا ان ننشر تقريراً عما سيتم خلال عام 1992 باعتباره الذكرى المثوية الخامسة لاكتشاف امريكا ، وهو في الوقت ذاته الذكرى المثوية الخامسة لسقوط آخر دولة اسلامية في غرناطة .
ومبعث التنبه الى ضرورة اخذ الحيطة والحذر يعود الى ان المؤسسات الاسبانية ربما لاتنوي الاحتفال باخراج العرب من الاندلس ، أو بالاحرى ربما ليس في نية تلك المؤسسات الاحتفال بانتهاء الدولة الاسلامية في غرناطة .

ربما تكون القضية بكاملها مجرد احتفال باكتشاف امريكا .
قلت محاولاً الخروج من سياق الاحتمالات : لكن للقضية جانب آخر .
تابع الاخ / هارون :

نعم ، لقد اتضحت بعض الابعاد الخطيرة خاصة ماقامت به الحركة الصهيونية في محاولة منها الى استخدام هذا التاريخ وكأنه تاريخ لطرد (اليهود) من اسبانيا !
ويبدو انه من داخل الاحتفالات المزمع اقامتها ستحاول الصهيونية تسير دفة الامور في ذلك

الاتجاه .

ويضيف الاخ / هارون :

إذا كانت الاحتفالات ستتضمن ما من شأنه الإشارة الى ان القائمين عليها ومنظميها والمشاركين فيها يحاولون التأكيد على انها احتفالات مضاعفة تتضمن ايضاً احياء الشعور بطرد المسلمين من اسبانيا فاننا لانملك الا الوقوف بحزم في محاولة منا للحيلولة دون ذلك التوجه .

يضيف الاخ / هارون :

اننا نحاول كخطوة اولى ان نتحصل من الجهات والسلطات المسئولة عن هذه الاحتفالات على بيان صريح ومحدد يؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك على أن الاحتفالات عام 1992 م يجب الا تتضمن وبأى شكل من الاشكال التذكير بالقضاء على الدولة الاسلامية في اسبانيا . . . اننا في ظل الوضع الراهن لانملك أكثر من ذلك .

ولابأس اذا نحن نبهنا الى ان عدداً من المسلمين الاندلسيين قد طردوا من بلادهم !

ومع كل ذلك فاننا نأمل ان تعتبر هذه المناسبة فرصة طيبة لاعادة اللقاء بالاسلام من جديد .

ومن بين ما اقدمت عليه لجنة تنظيم الاحتفالات قيامها باصدار كتابين ، الاول بعنوان :

(الاندلس 1992) وهو مجرد كتاب مصور عن الآثار الاسلامية .

الكتاب الثانى « سفاراد 92 » وهو كتاب وضعه اليهود وعنوانه بلغتهم يعنى « اسبانيا

1992 » مما يدل على انهم يحاولون من خلال هذا العنوان اثبات ان تأثيرهم كان شاملاً لاسبانيا بكاملها بينما لم يتعد تأثير الحضارة العربية الاسلامية منطقة الاندلس ، ان « اليهود » ومن خلال هذا الكتاب يحاولون اعتبار « طليطلة » عاصمة تاريخية لهم لانها تتوسط اسبانيا وعلى مقربة من مدريد « 70 كيلو مترا » .

ولا مفر من التنبيه الى هذه القضايا نظراً للحساسية المفرطة التى تحيط بها لقد أعطيت لكتاب

« سفاراد 92 » أهمية خاصة ومن خلاله حاولت الصهيونية التأكيد على ان الحروب التى شهدتها

اسبانيا كانت دائماً بين المسلمين والمسيحيين بينما حاولوا اثبات ان التعايش لم يحدث الا بين اليهود

والمسيحيين ، وهم بهذا الادعاء تناسوا حقيقة تاريخية مهمة هى ان أى تعايش شهدته اسبانيا اiban

اعتناقها للاسلام كان بفضل ورعاية الاسلام ، اننا اذا تحدثنا عن « السلطة » التى ترسخ مبدأ

التعايش فى كنفها كانت « سلطة » اسلامية سنت القوانين والقواعد المستمدة من الدين الاسلامى

الحنيف الذى يكفل وبشكل قطعى مبدأ الاستقرار ، اما الادعاء بأن « التعايش » كان من قبل اليهود

فانه امر لا سند له وهو محض ادعاء .

شارك الاخ / خليل حسن صدقة وهو عربى من فلسطين في هذا الحوار بالقول :-
اليهود بما جبلوا عليه من تزوير وتمويه يحاولون دائما - خاصة خلال الفترة الاخيرة اى منذ
« تطبيع العلاقات الاسبانية الاسرائيلية » - تصوير تاريخ اسبانيا في اهم مراحلها وكأنه تاريخ من
صنع اليهود ، ويحاولون ان يسندوا كل عمل وكل اثر حضارى عربى اسلامى الى تأثيرهم كيهود !!
وكمثال اسوقه في هذا الاطار أود الاشارة الى الاحتفال الالفى « لابن ميمون » ذلك الاحتفال
الذى تم بمشاركة واسعة وبشكل لم يسبق له مثيل وهو امر ما كان ليحدث لأى شخص آخر غير
يهودى والاغرب من كل ذلك انه في ظل الاحتفال « بابن ميمون » لم يذكر اى من اساتذته
العرب المسلمين في قرطبة .

اننا ما لم نبادر بتحرك سريع للحيلولة دون تزوير التاريخ العربى الاسلامى والاسبانى المشترك
فاننا سنكتشف بعد فوات الاوان أن هذا التاريخ في اسبانيا خلال تلك الفترة قد لحقه التزوير
والتحريف .

المساهمة الثالثة في هذه الورقة الاندلسية كانت للاخ / جابر ، الذى أثار نقطة تميزت
بالحساسية التى كنا نحاول جاهدين الابتعاد عنها .
قال / جابر :-

ان اسبانيا ستحتفل سنة 1992 بتاريخ انتصارها على الاجانب ، سواء كانوا (الهنود الحمر)
في امريكا أو العرب المسلمين في غرناطة ! اننى اقول هذا انطلاقا من ان الشعوب لا تحتفل الا
بانتصاراتها .

الاتجاه نحو امريكا لم يكن بدافع غير نشر المعتقد المسيحى ولا يجب ان ننسى ان الذين حاصروا
(غرناطة) سنة 1492 م . كانوا ينتمون الى مختلف القوميات الاوروبية وان الذين اتجهوا نحو
(الهنود الحمر) كانوا ايضا من مختلف القوميات الاوروبية وفي كلا الحالتين كانت (بركات البابا في
روما) تدفعهم الى الامام !
ان ماتم في غرناطة ثم في امريكا هو من وجهة نظر الكثيرين كان مجرد معركتين في حرب
واحدة .

انني ارى - الحديث لا يزال لجابر - ان الاحتفالات التى ستعظم سنة 1992 ستكون عبارة عن
تناول الجميع نخب انتصار المسيحية على الاسلام في غرناطة وعلى الهنود الحمر في امريكا .

قلت للمتحدثين :

إذا كانت احتفالات 1992 م واضحة المعالم فيما يتعلق بحركة الكشوفات وانطلاقها فانها ليست واضحة بدرجة كافية فيما يتعلق بالاندلس .

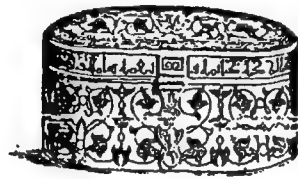
وإذا سلمنا بأن ثمة من يرى أن عام 1992 م هو مناسبة للاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة للانتصار في معركتين اعتبرتا من ضمن حرب واحدة فاننا سنلمس ان مايعتبر انتصارا قد يحىي مأساة حفرت بقوة وعمق في ذاكرة الاندلس .

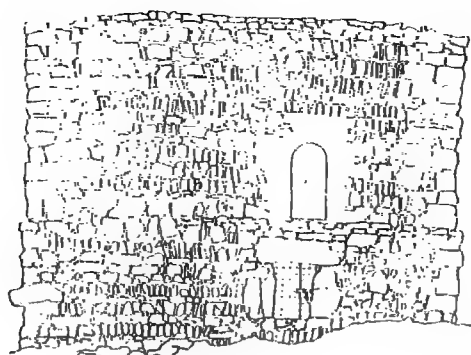
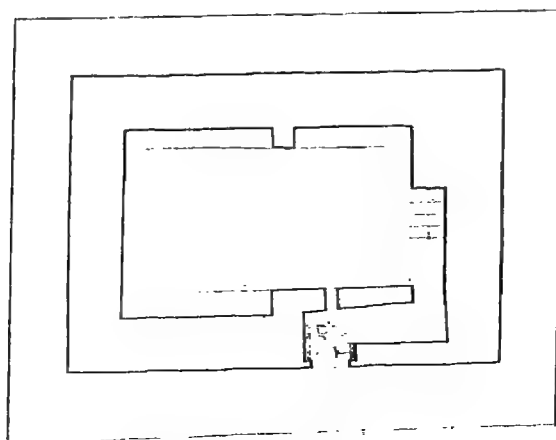
وللاندلس ذاكرة حافظة بلا ريب .

اوليس من المجدي البحث عن طريقة ما تؤكد على ضرورة احياء التواصل بين الاندلس والعرب والاسلام ؟!

إن القضية التي نطرحها اعتباراً من الآن تتطلب مساهمات جادة وفعالة من أجل اخراج الاندلس 1992 من عنق الزجاجة ، والمسلمون في الاندلس يتمنون ذلك ، لكن الاماني وحدها لاتصنع التاريخ ولا تصحح الاخطاء ولا تحول دون الاخرين ومحاولة العبث بأهم مظهر من مظاهر التأثير والتأثر الحضاري في منطقة لاتزال وستبقى مهوى افئدة عشاق الحضارة العربية الاسلامية ولانعني في هذه الورقة غير : الاندلس .

ثمة وثائق كثيرة ومواقف متعددة متباينة أو متكاملة حيال (الاندلس 1992) وقد تمكّنتنا الظروف من متابعة مايتسنى لنا الاطلاع عليه أو ماينمى الى علمنا . وكل ذلك في اطار مهم أحب ان يعلمه القارئ الكريم واعني به ان من بين ميزات الحضارة العربية الاسلامية انها لاتغمض اعينها عن كل القضايا ، بل هي قادرة على تناول اعقد القضايا في اخرج الاوقات وبشكل متواز تماماً .





الاندلس 1992 : ومحاولة أولك للفهم!

حتى يمكن فهم « الاندلس 1992 » بشكل صحيح وقريب من مجريات الامور فان الاستماع لوجهة النظر الاسبانية ونشرها وتوثيقها والبحث من خلالها عن نقاط الالتقاء من الامور التي أرى انها ذات جدوى في هذا الاطار الذي نتحدث من خلاله .

والاندلس 1992 م . من وجهة نظرنا مناسبة يمكن من خلالها تصحيح عدد من المفاهيم الخاطئة والمشوهة التي الصقت بالتاريخ العربي الاسلامي في ربوع الاندلس .
واذا كان تغيير وجهات النظر من الامور الصعبة على المستوى الشخصي فان ذات العمل يتصف بالصعوبة والدقة حينما يتعلق الامر بوجهات نظر تشكلت عبر مئات السنين ، وهو ما يجعل قضية الاندلس 1992 م ذات أهمية خاصة .

ومن المهم أن ندرك أن اي عمل يتعلق باعادة قراءة التاريخ يتطلب بادية ذي بدء فهما عميقا وناضجا بهدف عدم الوقوع في ذات النقاط السلبية التي تتعلق بتفسير التاريخ .
ويزداد الامر صعوبة ودقة حينما يتعلق الحديث بتاريخ مشترك لطرفين اجتماعا وتفاعلا في منطقة تميزت منذ مراحل الاندماج الاولى بخصوصية لا تزال محل دراسة وتحليل وانبهار .
ان محاولة فهم « الاندلس 1992 م » تتطلب - فيما يبدو - وضوحا في المواقف المتخذة حيال بعض الوقائع التاريخية التي يتغير تكييفها تبعا لتغير زاوية الرؤية .

اننى هنا لا ادعى أنني أوضح كل ما يحتاج الى ايضاح أو فهم فتلك مهمة تنوء بحملها المؤسسات ذات العلاقة فكيف برأي لم يقدر لصاحبه بعد أن يحدد ولو بشكل تقريبي أحد أبعاد قضية بدأت تشد اليها الاهتمام !

ومع هذا فان المحاولة تظل موقفا ايجابيا قورنت - أو لم تقارن - بعدم الالتفات نحو هذه القضية .

من جانب عربي اسلامي لا خلاف في أن الحدث موضوع هذه الاوراق الاندلسية يفرض نفسه . . لا فرق حياله بين المتخصص أو بين المؤرخ والاديب وكاتب مقال سيار وسائح .
وعلى الرغم من اختلاف طريقة الاهتمام فانها تظل على كل حال وقفة ايجابية نحو حدث من المؤكد ان الايام لن تمكننا جميعا من معاشته مرة ثانية حتى ولو دعوت للجميع بطول العمر !!

جاءت قضية « الاندلس 1992 م » في سياق التحضير للاحتفالات بمرور 500 عام على اكتشاف الاوربيين بقيادة الاسبانيين وبعض العرب للعالم الجديد .
والاندلس 1992 م تظاهرة على هامش الاحتفالات الرئيسية التي بدأ التحضير لها منذ فترة ليست طويلة ، وان كانت الفكرة اساسا ليست بالجديدة .
ولا بأس من اعطاء القارئ الكريم فكرة موجزة عما اصطلح على تسميته في اسبانيا بـ « لجنة الاندلس لعام 92 » وهي معلومات مستقاة من تقرير معد للعرض على الامين العام لجامعة الاقطار العربية من قبل رئيس بعثة الجامعة العربية في مدريد واعضاء السلك الدبلوماسي العربي في اسبانيا .

يقول التقرير :-

« لجنة الاندلس 92 :

تم انشاء هذه اللجنة في عام 1986 م ، وقامت منذ ذلك التاريخ باعداد الاستراتيجية العامة لاعمالها المستقبلية ، وفي شهر يوليو 1987 م تم اعلان غرناطة عاصمة للثقافة العربية بحضور السادة سفراء الدول العربية ورئيس اللجنة الوطنية السيد لويس يانييس ، وتم اختيار الاستاذ اميليو غارسيا غوميث رئيسا شرفيا لها باعتباره من كبار المستعربين الاسبان ، ولكن لكبر سنه لم يستطع متابعة اعمال اللجنة وتم تكليف مدير المعهد الاسباني العربي للثقافة السيد ماريانو الونسو بورون بمتابعة اعمال اللجنة تحت الاشراف المباشر لرئيس اللجنة الوطنية مع الابقاء على الرئاسة الشرفية للسيد غوميث اسما ، كما وجهت اللجنة الوطنية الدعوة لمشاركة بعض المديرين العامين ليتولى كل منهم اختصاصاته الثقافية المنوطة به ، كما استطاعت اللجنة ضم رؤساء اقسام اللغة العربية بالجامعات الاسبانية لتغطية فروع اللغات العربية كآداب اللغة والفنون والثقافة والتاريخ وغير ذلك » .

واضح أن القضية تحظى باهتمام بالغ في الاوساط الاسبانية من خلال الشخصيات المشاركة والتي من المتوقع ان يكون لها اسهام واضح في تحقيق اهداف اللجنة التي تحاول « ابراز الدور الذي لعبه العرب في اكتشاف امريكا وكذلك التأثيرات العربية التي نقلها الفاتحون الاسبان الى القارة الامريكية ، كما تهدف اللجنة الى تأكيد ان اسبانيا هي ثمرة سنوات طويلة من التعايش الثقافي العربي الاسلامي المسيحي » « التقرير المذكور » .

ان اهداف اللجنة ليست بسيطة وهي في بعض النقاط تحاول فهم العلاقة التاريخية في اطار يحاول قدر الامكان الوقوف امام ما تدعيه الحركة الصهيونية واذرعها الضاغطة في اسبانيا من أن

الوجود العربي الاسلامي في اسبانيا لم يكن كما عرفته الدنيا بأسرها ، بل انه وجود ارتبط - حسب وجهة النظر اليهودية - بالتنافر وعدم الاستقرار .

ولعلها من الفرص النادرة التي تتاح للعرب والمسلمين في هذا العصر للوقوف بحزم وقوة مع اطراف اخرى تقدر بفهم عميق ، حقائق التاريخ أمام الصهيونية التي بدأت ومنذ فترة دق طبول التخريب والتشويه والدس والتزوير .

فهل من المؤمل أن يحدث في اسبانيا وبمناسبة « الاندلس 92 م » ما لم يحدث في غيرها من البلدان الاوربية ؟!

أعني هل ستمكن من جعل الآخرين يطلعون على حقائق التاريخ وعدم الانسياق وراء جوقة الافتراء الصهيونية ؟!

الواقع الذي نعيشه ، وعمليات الرصد الاولى التي تتابع مجريات الامور لا تمدنا بما يجعلنا نطمئن ولو قليلا الى كسب هذه الجولة !!

وربما من قبيل وضع العصي في الدواليب نشرت صحيفة « الباييس » الاسبانية في عددها الصادر في 23 / 2 / 1988 م خبرا جاء فيه حين الحديث عن « الاندلس 92 » مانصه : « . . . أوساط دبلوماسية تعترف بان هذا المشروع لا يسير في حالة متقدمة » والسبب كما ارجعته الصحيفة يعود الى أن العرب المعنيين بهذه القضية « عشرون دولة على الاقل وعليهم ان يتفقوا بشكل مسبق » !!

وهنا « مربط الفرس » كما نقول نحن العرب !
الاسبانيون يتمنون أن نساهم بشكل فعال لكن واقعنا يجعل الامر صعبا .
أوليس مهما ومحزنا أن يتمنى الآخرون لنا وحدة رأي على الاقل في مناسبة ستشهد - كما تعلمون جميعا - ميلاد احداث كبيرة في مقدمتها : أوروبا موحدة ؟!

لنخرج من عنق الزجاجة هذا ، ودعوني أحاول فهم « الاندلس 1992 م » وفي اطار ما تم انجازه من قبل لجنة « الاندلس 92 م » ذكر السيد لويس يانييس في لقائه بالسفراء العرب ان الاجتماع الذي انتظم بهذا الشأن « وافق على عدة مشروعات مهمة للمدى القريب والبعيد . . ومنها :
كتاب عن الاسلام في اسبانيا الذي تم طبعه باللغة الاسبانية وتجري حاليا ترجمته للانجليزية والعربية .

كتب اخرى مثل كتاب عن ملوك الطوائف .

معارض حول مساهمة العلوم العربية في اكتشاف امريكا .
معرض حول الاسلام في بلنسية وخاصة المعرض الكبير الذي سينظمه المجلس الاوربي في
مدينة غرناطة عن التراث العربي وتأثيره في أوروبا .
برامج ولقاءات ومؤتمرات علمية حول الحضارة العربية في اسبانيا .
عدة مشاريع أخرى .

ومن أجل انجاح تلك التظاهرات تمنى السيد يانيس مساندة ومعاونة الجامعة العربية
والاقطار العربية ، وركز في حديثه على انه من « المهم ان تكون هناك برامج مشتركة تشارك فيها
الاقطار العربية والجامعة العربية . . وتقدم السيد يانيس ببعض المقترحات في هذا المجال ومنها على
سبيل المثال :

1 - اقامة نظام دعوات للمثقفين والصحفيين ورجال السياسة والكتاب والبرلمانيين والمفكرين
والفنانين الاسبان لزيارة الجامعة العربية وعواصم الاقطار العربية ، وكذلك قيام شخصيات عربية
من نفس المستويات لزيارة اسبانيا .

2 - تنظيم لقاءات بين السفراء العرب وما يسمى بقيادة الرأي العام الاسباني « التعبير للسيد
يانيس » .

3 - دراسة وبحث كيفية جعل وسائل الاعلام الاسبانية وخاصة التلفزيون في الصورة الحقيقية
حتى يكون الخبر والتعليق الصادر عما يتصل بالعالم العربي اقرب الى الحقيقة من الان .

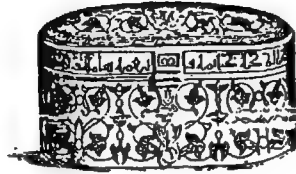
4 - بحث اقامة اتصالات أكثر فعالية مع التلفزيون ووضع خطة عمل مركزة .

5 - هناك الكثير من الامكانيات متوفرة لدى الجانب العربي ونحن « الحديث للسيد يانيس » على
اتم الاستعداد لفتح كل المجالات لتحقيق الوصول الى اعطاء صورة أحسن للعالم العربي وفهم
أوضح للقضايا العربية » .

ان الجانب الاسباني يحاول مد جسور التعاون وبشكل أصبح يحاول ترميم جسور الحوار
المشترك ، وثمة اصرار واضح على انجاح محاولة الفهم المشترك لخصوصية العلاقة مع الوطن
العربي .

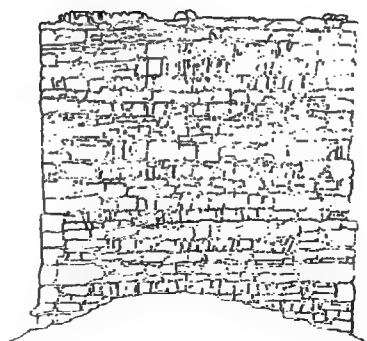
الا ان محاولة الفهم تصطدم بين الحين والآخر بخصوصيات الجانب العربي ، ومن تلك
الخصوصيات اضافة الى عدم الاتفاق العام بطء التحرك الفاعل والمتابعة الدقيقة والرصد المتصل .
وتجدر الاشارة الى ان التقرير المرفوع الى امين جامعة الاقطار العربية كان خطوة بديلة

لاجتماع حالت ظروف معينة دون انتظامه .
الحركة في الجانب الآخر لا تهدأ ، والاستعدادات لم تتعثر ومن المهم التنبيه الى ضرورة تلافى
ما ينتج عن اضاءة الفرص المتاحة . . . وقد يضطر العرب الى « الملمة » في اللحظات الاخيرة وهي
ان حدثت ستكون موسومة بطابع الاستعجال والارتجال .
تبقى على البال عدة اسئلة :
ما هو الموقف الحالي ؟
ما هي المساهمات المتوقعة من الدول الاسلامية ؟
كيف يمكن ان تساهم المنظمات الاسلامية في تظاهرة « الاندلس 92 » وفي مقدمة تلك
المنظمات : منظمة المؤتمر الاسلامي ؟!
ما الذي يمكن أن نصل اليه من نتائج منذ الآن وحتى 1992 م ؟!
ما هي الاثار المتوقعة والمنشودة من خلال المساهمة في هذه التظاهرة ؟
إن القضية كما اسلفت تفوق قدرة الفرد وتتطلب عملا كبيرا على مختلف المستويات .

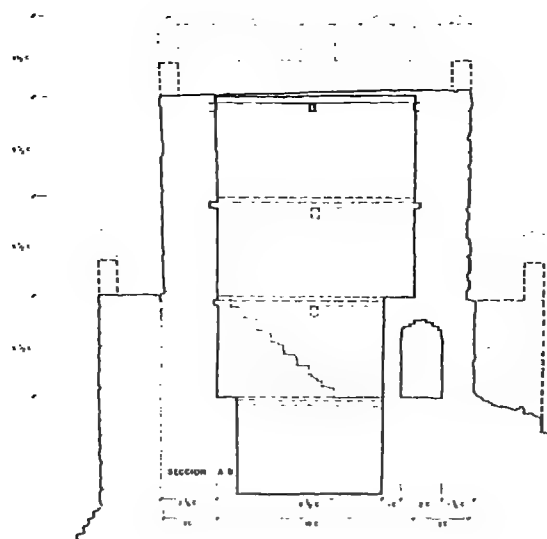




ALZADO N° 771



ALZADO N° 772



الاندلس 1992 : ومحاولة أخيرة للإيضاح !

موقفان متناقضان تماما تحاول اسبانيا التوفيق بينهما بهدف انجاح احتفالاتها التي ستبلغ الذروة عام 1992 م

الموقف العربى الذى يجد سنداً قويا : تاريخيا وحضاريا وجغرافيا واقتصاديا ، الامر الذى حدا بالسيد « لويس يانييس » كاتب الدولة للتعاون الفنى ورئيس اللجنة الوطنية للاحتفالات بالذكرى المثوية الخامسة لاكتشاف أمريكا الى مخاطبة السفراء العرب صبيحة الاربعاء 21 / 10 / 1987 م بالقول : « أريد أن أؤكد مرة أخرى ان السياسة الاسبانية تجاه القضايا العربية مازالت ثابتة ، ونحن سواء أعضاء الحكومة أو أعضاء الحزب الاشتراكى بحكم تكويننا والبيئة التى عشنا فيها نحس بتقارب تلقائى مع الشعوب العربية » .

الموقف الصهيونى / النقيض يجد سنداً من قوى الضغط الاسبانية خاصة والاوربية بشكل عام مع جهود سفارة الكيان الصهيونى بمديره والذى وجد الفرصة السانحة من خلال كلمات وردت في خطاب للملك « خوان كارلوس » ألقاه في « الكنيس اليهودي » بمدينة « لوس انجلوس » بولاية « كاليفورنيا » الامريكية خلال جولته بها عام 1987 ، وكان مما قاله امام أعضاء جمعية اليهود البالغ عددهم 650 عائلة ينحدر اصل الاغلبية منهم من اسبانيا : « ان اسبانيا تتحمل مسئولية ما ارتكبته في حق اليهود تاريخيا وذلك بكل وعى وضمير وتعترف بالاطغاة السلبية التى اقدمت عليها » .

موقفان متناقضان جذريا تحاول اسبانيا الجمع بينهما في فترة اتضحت فيها ابعاد ومواقف لايمكن بأى حال تجاوزها .

في الجانب العربى :

قوة اقتصادية « ورؤوس أموال عربية تستثمر في اسبانيا ، لكن هذا القطاع لا يستعمل للضغط في اسبانيا » كما قال السيد « الفونسو غيرا » نائب رئيس الحكومة في حوار مع أحد الوزراء الاسبان طالبا منه نقل هذه الملاحظة وغيرها الى الجانب العربى .

« هناك حملة اسرائيلية شديدة تكتسح اسبانيا وخاصة في وسائل الاعلام » والكلام هنا لكاتب الدولة للتعاون الفنى في الحكومة الاسبانية .

ويبدو من خلال هذين المؤشرين ان قضية « الاندلس لعام 1992 ستلقى صعوبات جمة .

وما دامت هذه الورقة الاندلسية هي المحاولة الاخيرة للايضاح بعد محاولة أولى للاقتراب ، ومحاولة أولى للفهم فلا بد والحال كذلك من تكثيف جملة من القضايا حين عرضها على امل ان يجد القارئ الكريم صورة واضحة ولو بشكل نسبي .

لم تترك الحركة الصهيونية العالمية ووسائلها الامور تسير حسبها يتمناه الاسبانيون ، ويشير الى ذلك تقرير دبلوماسي خاص وضعته احدى الادارات المختصة بالشأن الاوروبي بالقول : « ان صراعاً يدور حالياً بين المشرفين الاسبان على تنظيم المهرجان الدولي الذي سيقام في عام 1992 بمدينة اشبيلية الاندلسية لاهياء الذكرى المثوية الخامسة لاكتشاف القارة الامريكية على ايدي الاسبان حيث يصر بعض منهم من المدعويين من قبل الصهيونية الدولية على ابراز دور اليهود الذي لعبوه تاريخياً » .

وفعلا استطاعت الصهيونية ان تطرح الورقة الاولى في اطار اهدافها ، فاصدرت من خلال اللجنة اليهودية الاسبانية التي تشكلت اثر اقتراح من الملك « خوان كارلوس » كتاب « سفاراد 92 » وهي التسمية العبرية لاسبانيا وبه عنوان فرعى يقول بالحرف « اسبانيا اليهودية » وعملت على اعلان « طليطلة » مدينة يهودية مما يوحي بأن الصهيونية اعتبرت اسبانيا - ومنذ مئات السنين - مجرد « جيتو يهودي » الامر الذي لم يجد له الاسبانيون انفسهم اى سند تاريخي .

بعض وجهات النظر تذهب في تفسير الامر الى ان الحركة الصهيونية تحاول من خلال مثل هذا العمل استحداث نقاط ارتكاز ودوائر ضغط في عدد من بقاع العالم .

ان وصف الملك « خوان كارلوس » ما تعرض له اليهود على أيدي الملوك الكاثوليك عام 1492 م بأنه « قضية غير عادلة وحكم جائر » يثير في الذاكرة عددا من التساؤلات في مقدمتها بلا ريب : وضع الاسبانيين والعرب الذين طردوا من كل مدينة اسبانية تصل اليها الحملة الكاثوليكية والتي استمرت بعد سقوط غرناطة في ذات العام 1492 م لاكثر من مائة عام .

وثمة في العديد من بقاع العالم وخاصة في المغرب العربي مئات الاسر الاسبانية التي ما فتئت تحلم بيوم العودة الى ارضها ، ومنت الانفس بأن يشار اليها باعتبارها تعرضت ايضا لعملية طرد على ايدي الملوك الكاثوليك يمكن وصفها - اعني عملية الطرد - بأنها « قضية غير عادلة وحكم جائر » تعرض له ابناء اسبانيا .

ثم .

هل بدأت عملية تصحيح التاريخ الاسباني فيما يتعلق باليهود فقط ؟!

وهل أن حركة المد الكاثوليكية في كل اسبانيا على حساب الاسلام يمكن أن توضع على بساط البحث ؟!

ثم .

كيف يمكن وصف « الانتصارات الكاثوليكية في حركة « الاسترداد » التي ساهمت فيها كل جيوش أوروبا كما ينعتها المؤرخون الاوربيون » بأنها ارتكبت « احكاما جائرة » في حق اليهود فقط ؟ ونحن : عربا ومسلمين واسبانيين نعلم ان محاكم التفتيش شملت كل من لم يكن كاثوليكية ؟!

ثم .

لماذا طرد اليهود - ان سلمنا جدلا بأنهم طردوا - من اسبانيا في ذات الوقت الذي طرد فيه المسلمون ؟!

فلماذا الاعتذار لليهود فقط ؟!

الجانب العربي لا يزال حذرا في حين ان الجانب الصهيوني لم يرعَ للتاريخ حرمة ولم يحترم ما للاسبانيين من تميز منحهم اياه الاسلام طيلة ثمانية قرون .
الجانب العربي - وبكل علله وعيوبه - مطالب بأن يقول رأيه وهو مؤهل لذلك لانه جانب يمتلك مفاتيح الحوار ، وييده جملة من الحقائق والوقائع التي ان طرحت بهدوء وعمق سيكون لها اكبر الاثر في وضع الامور في مسارها الصحيح .

الجانب الصهيوني حاول ان يقدم للاسبانيين فصلات مجتزأة ومشوهة من التاريخ وهو يعلم ذلك ، لكنه يراهن فقط على المبادرة ، وفي المبادرات الصهيونية عادة يتم القفز على كل حقيقة تاريخية لا تتمشى والاهداف الرئيسية للحركة الصهيونية ، وفي كتاب « سفاراد / سفرعاد 1992 » عدة نقاط تتصادم وبشكل صارخ مع حقائق التاريخ .
ولكن .

لماذا طرد اليهود مع المسلمين - اذا سلمنا جدلا بأن طريقة طرد اليهود لا تختلف عما لاقاه المسلمون بسبب دينهم ؟!

اذا قلنا بأن أوروبا عرفت الاسلام عن طريق العرب ورأت بأعينها ذات المواصفات المعروفة في القرون الوسطى بأن الاسلام ليس الا دين « العرب الغزاة للجنوب الاوربي » فقامت باخراج المسلمين الاسبانيين من ديارهم بسبب هذا التفسير وبسبب الفشل الذريع في الحروب الصليبية على الشرق العربي المسلم . . اذا كان ذلك كذلك بالنسبة للمسلمين في اسبانيا . . فما هو المبرر الذي

رأى العاهلان الكاثوليكيان انه يسوغ اجتثاث اليهود من اسبانيا ؟!
التاريخ لا يقول بأن « اليهود » جاءوا مع الاسلام حتى يخرجوا معه .
والتاريخ لا يقول بأن اليهود كانوا من قوميات اخرى غير الاسبانية حتى تتخذ ذريعة
القوميات « الغازية » لطرد اليهود .
والتاريخ لا يقول بأن الاسبانيين لم يخبروا اليهود الذين عاشوا بينهم وهم من أبناء جلدتهم .
اذا :

ماذا وجد العاهلان الكاثوليكيان في اليهود حتى يجعلوا بعضا منهم يغادر اسبانيا مع كافة
المسلمين ؟! ان للقضية جوانب لم تنضج ، وبشكل ادق لا يراد لها ان تنضج !!
من الثابت تاريخيا ان اليهود الاسبانيين وجدوا في الفتح الاسلامي انقاذا لهم من قسوة
« القوط » فعملوا جاهدين وبطرق مختلفة حفظتها كتب التاريخ من اجل الانضمام للجانب العربي
حامل لواء الاسلام ، ولم يكن ذلك من قبيل الصدف أو مجرد الاستقراء بل ان مراسلات عدة جرت
بين الطوائف اليهودية في الدولة الاسلامية ويهود اسبانيا حيث اكدت تلك المراسلات بأن الاسلام
سيكون أفضل مظلة يمارس من خلالها أتباع مختلف الملل والنحل نشاطهم بحرية مطلقة .
وكان مما حفز اليهود الاسبان الى معاداة النظام القوطي تأثر نشاطهم الاقتصادي ، لذا لم
يتوانوا في اعلان قبولهم بالوضع الجديد .

ولم تحب آمالهم حيث وجدوا في الدولة العربية الاسلامية في اسبانيا ما كانوا يرجونه .
الا انهم في مراحل متأخرة من أيام الدولة الاسلامية خاصة في اقليم الاندلس غيروا حلفاءهم
لادراكهم بأن المد الكاثوليكي لن يتوقف .
لم يكونوا هذه المرة في وضع يمكنهم من اعلان ترحابهم بشكل مطلق ، لكنهم - وبناء على
شهادات تاريخية - اختاروا العمل على كلتا الجبهتين :

يساعدون المسلمين على المغادرة بمقابل .
ويساعدون الكاثوليك على التقدم وبمقابل .
ولم يغادروا جميعا اسبانيا .
ومن بقى منهم ظل يراهن على ما تم ابرامه من عقود صلح بين المسلمين والكاثوليك والتي
بمقتضى نصوصها كان من المفترض ان تحترم كل العقائد .
الا ان الامور لم تسر على ذلك المنوال .

وبدأت محاكم التفتيش .
وأحس بعض اليهود بأن الأمور لن تسير مثلما كانت تسير في ظل الاسلام ، فقرروا المغادرة
بما خف حمله وغلا ثمنه حتى لا تقع اموالهم التي تم جمعها من المغادرين المسلمين ومن الزاحفين من
الشمال الاسباني حتى لا تقع تلك الاموال في قبضة الجند الكاثوليك بحجة تمويل حركة الاسترداد .
اختار بعض اليهود تغيير الحلفاء .
واختار بعضهم تغيير العقيدة وأعلنوا اعتناقهم المذهب الكاثوليكي في انتظار حصول أمر ما .
لم يرتكب « العاهلان الكاثوليكيان » اي حكم جائر في حق اليهود ، لان هؤلاء يدورون
حيث تدور المصلحة الذاتية بعيدا عن أي شعور بالانتماء الا للربا والاحتكار .
ان مغادرة بعض اليهود البلاد الاسبانية في ذات الوقت الذي انحسر فيه الوجود الاسلامي
قسرا على ايدي العاهلين الكاثوليكين لا تعنى بالضرورة ان اليهود وحدهم يحتاجون الى وقفة
لتصحيح موقف ما حيا لهم .
وهنا من حقنا - ان لم يكن من واجبنا - التذكير بالآلاف الاسر الاسبانية التي حملت معها مفاتيح
منازلها واضطرت الى مغادرة البلاد تحت وطأة ما وصفه الملك « خوان كارلوس » بأنه : حكم جائر
وقضية غير عادلة .
ان هذه الحملة تعني ببساطة : حكم بادانة العاهلين الكاثوليكين اللذين قاما بعمل وصف
من قبل الاوربيين جميعا بأنه « حرب استردادية بطولية » تحت رعاية وبمباركة « البابا » في روما .
ان الحكم بتجريم أي فعل من شأنه أن يحفز كل متضرر الى البحث عن طريقة لازالة ما لحقه
من ضرر .
والحكم بادانة العاهلين الكاثوليكين يعني من ضمن ما يعنيه : فتح ملفات محاكم التفتيش
التي استهدفت وبشكل اساسي « تنصير كل من هو غير كاثوليكي » مما نتج عنه تغيير المعتقد بالاكراه .
والحكم بادانة العاهلين الكاثوليكين اللذين تسلموا مفاتيح « قصر الحمراء بغرناطة » يعني من
ضمن ما يعنيه الاستماع وبقلب مفتوح الى اية مداخل أو مرافعة من أي طرف متضرر ، ولا يعني
بأي شكل قصر عموم منطوق الحكم على جزء من كل مع تطابق الوقائع والادلة والنتائج بالنسبة
للكل .
في الجانب العربي لا يمكن ان تتم المراهنة على ما استقر في كتب التاريخ دون القيام بأي عمل
ايجابي مع الطرف الآخر وهم هنا كل أبناء اسبانيا من أجل ربط الحاضر بالماضي .

الاندلس الشاهد الحي !!

« ولا تفرقوا » شعار ندوة علمية نظمتها جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في الثلث الاخير من شهر رمضان المبارك عام 1397 و . ر 1989 م ، شعار تلك الندوة تداعى الى الذاكرة وأنا اكتب هذه الورقة الاندلسية . . صحيح أن ما تحويه هذه الورقة من احاديث سبق الندوة بأشهر ، وصحيح كذلك أن هذه الاحاديث دارت في « مجريط » أو مدريد العاصمة الاسبانية كما نعرفها اليوم ، لكن القضايا الحيوية والحية تتخطى بسبب عمقها وصدق محتواها مسافات الزمان والمكان . ولا أريد أن أقول : إن كانت للزمان مسافات .

وحينما حظيت بشرف حضور اعمال الندوة العلمية « ولا تفرقوا » واستمعت الى الامثلة التي ساقها المحاضرون والمحاورون كتدليل على ما للفرق بكل اشكاله وصوره من عواقب وخيمة قديما وحديثا وفي كل ربوع الوطن العربي وارجاء العالم الاسلامي كنت استرجع ما كان يقوله أبناء الاندلس الذين تحدثت معهم كما كنت استذكر لمحات من تاريخ الاندلس الذي يحوى بين دفتيه الامثلة الملموسة والمقنعة على عمق المأساة التي حدثت بسبب التفرق .

قد يقول البعض - وما أكثر متتقدي هذه الاوراق الاندلسية - بأن الاندلس امر مضى وانقضى ، فلم البكاء على الاطلال الدوارس ؟!

ولم الضغط على آثار جرح خيل الينا انه اندمل منذ قرون ؟!

اننى وان كنت لست مطالبا بوضع اجابات لكل ذلك وغيره الا أننى مضطر للقول : ان الجراح التي تصيب اية حضارة تظل نازقة أبد الدهر ، فكيف بجرح اصاب حضارة بنيت على التوحيد وهو حقيقة نادى بها سقراط والحكماء ؟!

وربطا للحاضر بالماضى ذكر أحد المشاركين في الحديث الذى تتضمنه هذه الورقة الاندلسية واقعة اتحاد « المعتمد بن عباد » صاحب اشيلية بالمرابطين ، تلك الوحدة التي أخرت سقوط الاندلس مئات السنين .

كما سنكتشف من خلال هذه الورقة أن من اكتوى بنار الفرقة والطائفية والتحزب يعلن بملء فيه : ولكم فى الاندلس العبرة لمن اعتبر .

وفى ورقتنا هذه دعوة صادقة من أبناء الاندلس موجهة الينا جميعا لبناء جسور حوار مع شعب كان سيد لغة الحوار بلا ريب . . فهل ستجد هذه الدعوة اذانا صاغية ؟

قلت لمحدثي :-

الاندلس هذا الاسم الضارب في اعماق التاريخ والذي له وقع خاص وله ميزة قل أن يشاركه فيها غيره . . هذه البقعة من الارض التي شهدت تقدما قل نظيره وتشهد الآن رحلة بحث عن خصوصيات خيل للكثيرين أنها فقدتها

كيف يمكننا أن نجد مدخلا للحديث عن الاندلس ؟

قال هارون كارا جويل :

ان قيل بأن التاريخ لا يعيد نفسه فائنا نرى انه من الممكن ان نعيد ايجاد الاندلس شرط أن نتحدث بحكمة ونخطو نحو المستقبل بثبات ، ونسير حثيثا نحو دعوة اسلامية مركزة وسليمة . الحضارة الاندلسية لم تمت ، المطلوب فقط هو إحياء روح تلك الحضارة وبعث الحياة فيها من جديد .

ان صحوة اسلامية بناء على دعوة اسلامية كفيفة بأن تضع اقدامنا في الاتجاه الصحيح نحو إحياء فترة تاريخية حضارية مهمة .

يقول بيلار :

ان لكلمة الاندلس وقع سحري لدى العرب والمسلمين من شأنها ان توقف فينا جميعا روحا من الحماس وتحفزنا للعمل .

الا ان الوجه التاريخي لكلمة الاندلس يعنى ان ثمة مرحلة تاريخية متطورة حضاريا عمودها الفكري بلا ريب الثقافة العربية الاسلامية ، وهي حقبة من اهم حقب التطور الانساني . . الا ان الحضارة العربية الاسلامية الاندلسية انتهت نتيجة الصراع الذي نشب في ذلك الوقت .

والصراع الذي أعنيه هو الصراع بين الكفر والايان قديما وحديثا ، وطالما ان هذا الصراع لا يزال قائما فان المعركة التي تمت بين الاندلس والايان وغيرها « الكفر » كانت وفق هذا المعيار فائنا نستطيع ان نجزم بأنها لا تزال مستمرة بيننا كمسلمين من جهة وبين المشركين من جهة أخرى .

قلت :-

ما الذي يمكن ان نطلقه على عودة الاسلام الى الاندلس أو عودة الاندلس الى الاسلام بشكل أصح . . هل نسميه : عودة أو صحوة أو هو مجرد حنين اكثر منه عودة الى احياء فترة من التاريخ بثرائها لا بشخصها وسليباتها ؟ نعم التاريخ ربما لا يعيد نفسه بذات المقاييس والاشخاص ، لكن

باعتبار الاسلام ثورة متجددة فان ظروف عودته الى الاندلس أو عودة الاندلس اليه مرتبطة بأسباب محددة .

هارون كارا جويل :

هناك عدة أسباب أرى أنها تدفع الناس في الاندلس الى العودة الى الجذور التاريخية .

هناك جذور دينية أو سمها ان شئت : اسبابا دينية .

فالاندلسيون اعتنقوا الاسلام ذات حين وهم الآن حين يعودون اليه فاننا يعيدون استكشاف جذورهم وهناك اسباب ثقافية ذات ابعاد حضارية .

وهناك من يبحث عن مخرج سياسى للازمة التى يعيشها المجتمع الغربى عموما فالاسلام حل مختلف عن الشيوعية والرأسمالية ، والاسلام يتضمن الحل لمختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية .

انا شخصيا اعتنقت الاسلام من هذا المنطلق بعد أن اكتشفت ان الاسلام هو الحل الذى يضعنا فى طريق ثالث أو يقودنا الى نظرية ثالثة .

نعم انه حل يختلف عن تلك النظريات « الشيوعية والرأسمالية » والقائمة فى وقتنا الحاضر . . ولا شك ان الاسلام كفيل بايجاد الحلول الناجمة لمختلف المشاكل التى نعانى منها فى المجتمعات الغربية .

فى هذا الصدد أود أن أؤكد على ان دخول الاسلام الى الاندلس سنة 711 م كان فى الواقع هو الحل الامثل . . الاندلس مثله مثل بقية البلدان الاوروبية الغربية ابان القرون الوسطى : علاقات اجتماعية ظالمة ، انحلال خلقى ، تخلف واضح . . وما ان اكتشف الاندلسيون الاسلام ولمسوا فيه الحل لمختلف مشاكل ذلك العصر حتى اعتنقوه وما ان دخل الاسبانيون فى دين الله افواجا حتى ادركوا انهم غادروا المناهات التى كانت تهمن عليهم لقد كانوا ينشدون العدالة الاجتماعية القائمة على التسامح والمحبة والاخاء ووجدوها فى الاندلس ، بل انهم وبفضل الاسلام ادركوا معنى العلاقات القائمة على المساواة وعدم التمييز وعدم التكبر .

بيلاز :

اتفق الى حد بعيد مع اخى « هارون » حينما أكد ان الاسلام كان حلا شاملا لمختلف معضلات القرون الوسطى فى أوروبا الغربية وأنه انقذ الاندلسيين من ظلمة تلك العصور الحالكة . . الا اننى أريد أن اركز بصفة خاصة على عامل مهم ارى انه من اسباب العودة الى

الاسلام في الاندلس ، وهو العامل الثقافي الذي هو أحد اعمدة الحضارة العربية الاسلامية الاندلسية ، حتى اننا لا نخطيء اذا قلنا ان النهضة الاندلسية كانت ثقافية بالدرجة الاولى .
أود القول باننا في المرحلة الراهنة ونحن نحاول استعادة تقاليدنا وثقافتنا التي كانت سائدة في ربوع الاندلس الاسلامي فاننا نفعل ذلك لتقديمها كهوية متميزة تساهم في اثراء الثقافات الاخرى الموجودة في اسبانيا .

ان الملامح الثقافية التي ننشدها واضحة القسما ولها دورها المهم في الحياة الاسبانية . واعتقد انه من أجل احياء هذا الجانب الثقافي الثرى لأبد من احياء الدعوة الاسلامية من جديد والتي سيكون الجانب الثقافي التاريخي الاندلسي من اهم دعائمها .
ثمة اشياء كثيرة يشعر الاندلسيون انهم قدموها لاسبانيا واصبحت من الصفات الاسبانية العامة لكنها مع كل ذلك تظل اندلسية النشأة والطابع ، والاندلسيون يحاولون ترسيخ المثل والقيم التي اكتسبوها من الحضارة العربية الاسلامية .
إنهم يحاولون المزاوجة بين واقعهم الحالي وماضيهم العريق . . انهم يبحثون بجد عن العادات الاسلامية التي كانت سائدة في الاندلس قبل سقوطه .

قلت :-

ثمة اشكالية يفرضها الواقع الذي نعيشه اليوم . . ويمكن اختصارها على النحو التالي :
من الناحية التاريخية هناك عدة حقائق ناصعة تتجسد في مظاهر التميز في كل مدن وقرى الاندلس في اشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية والمرية وقرطبة وغيرها . . ان جملة تلك الحقائق التي تتجسد في ما ذكرنا تشير وبشكل لا يقبل النقص الى أن الاسبانيين حينما وجدوا في الاسلام الحرية اعتنقوه وانطلقوا دون قيود وأصبحوا مثالا يحتذى ابان العصور الوسطى .

كان الاندلس فريدا في عصره وظل قرونا علامة مضيئة ، ويرجع البعض كل ذلك الى الظروف التي سادت والتي من أهم خصائصها ان العرب المسلمين كانوا يعيشون في أوج قوتهم .
الان نرى ان القضية تختلف من حيث الواقع ، ومع كل مظاهر التخلف التي يعاني منها الوطن العربي والعالم الاسلامي نجد ان ثمة اتجاهات واضحة نحو الاسلام في كل اوروبا الغربية وغيرها من المناطق . وفي الاندلس موضوع حديثنا بشكل خاص .
كيف ترون هذه الاشكالية ؟!

هارون :

نحن الآن نستطيع ان ندافع وبشكل فعال عن ضرورة العودة الى الاسلام بغض النظر عما هو سائد في الوطن العربى . . البعض لا يستطيع وبسهولة التمييز بين ما هو سائد عربيا وبين الاسلام اذا تحدثنا بشكل عام . . هناك وجهة نظر سائدة مؤداها ان ما يشهده الوطن العربى من خلافات وصراعات وتحزب وتحلف هو بسبب الاسلام ! نحن مؤمنون بأن هذا الربط لا يمت الى الحقيقة بصلة .

علينا ان نعمل من اجل اقناع الناس بأن كل الخلافات السياسية والخلافات الحزبية لا علاقة لها بالاسلام ، الواقع العربى بهذه المواصفات لا ينسجم مع الاسلام . ولكن علينا ان لا نسقط (التبعية) من جهة وعدم وضوح الرؤية لدى الكثيرين من ناحية اخرى .

مع كل ذلك فأننى أرى بأن مثل هذه القضايا يجب ان لا تشل مقدرتنا في مجال الدعوة الى الاسلام .

بيلا:

ثمة ناحية اخرى مهمة في هذا المجال ، اننا في الوقت الذى نحاول فيه تفسير الواقع والسائد حاليا علينا ان نلقى نظرة على ما كان واقعا وسائدا في مراحل من تاريخ الاندلس الاسلامى . صحيح ان الاندلس وصل الى مستوى مهم في سلم الحضارة الا ان السؤال المهم هو : لماذا انتهى الاندلس الاسلامى ؟!

اننى ارجع اسباب سقوط او انتهاء الاندلس الاسلامى الى (الطائفية) التى سادت في الاندلس اصف الى ذلك الصراع بين الطوائف وبين الممالك الاخرى .

أعنى ان ثمة انقساماً في صفوف المسلمين ، وهذا جانب ضعف . ثم هناك صراع بين المنتقسمين وهذا جانب ضعف ثم هناك صراع المنتقسمين (كل على حدة) من جهة وبين الممالك غير الاسلامية من جهة ثانية ، وهذا ايضا جانب كرس مبدأ الضعف .

واذا كان الجانب المسيحى قد تقوى في مرحلة من التاريخ فان ذلك ناتج اولا عن ضعف دب بين المسلمين .

قلت :-

بمعنى ان قوة الجانب المعادى للاسلام هى وليدة ضعف الجانب الاسلامى بشكل اساسى ،

أى ان الجانب غير المسلم لم يكن قويا من الناحية الذاتية بل تأكدت قوته من تفرق وتناحر واختلاف (ملوك الطوائف) .

هارون :

نعم ، هو ذاك . . وهو الآن ايضا امر واقع ، وهذا الواقع فى حد ذاته يشكل عقبة امام الدعوة الاسلامية ، اننا لن نستطيع المضى قدما فى الدعوة الاسلامية ما لم نتمكن من تجاوز الواقع الطائفى والمذهبى والحزبى الموجود حاليا .

قلت :

ما هى وجهة النظر العامة حيال الاندلس قديما وحديثا ؟!

هارون :

الكثير يدافع عن الاسلام فى الاندلس من منظور ثقافى فقط . . وليس من كل جوانبه . . مثلا من الناحية السياسية يمكننا القول بأن الانسجام والوحدة سياسيا حالت دون التمزق ، ويمكننى ان اسوق مثلا يوضح تكامل الناحيتين : الثقافية والسياسية فى حياة الاندلس واعنى بذلك فترة حكم (المعتمد بن عباد) فى اشبيلية الذى يحدثنا عنه التاريخ بأنه ابتعد وبشكل واضح عن الاسلام بجوانبه الكاملة المتكاملة ، كان (المعتمد) يتحدث باسم الثقافة والانفتاح ، واقبل على الدنيا باسم التسامح والتعاون والتعايش واهمل بشكل واضح الجانب السياسى ولولا نجدة (المرابطين) له ومساعدته وسد الثغرة السياسية لانهى « المعتمد » واشبيلية سريعا ، نحن مع التسامح والتعايش شرط ان لا يكون ذلك على حساب المبادئ وان لا يكون ذلك ايضا عن طريق التخلي عن المبادئ لصالح الغير .

بيلاز :

ان الحضارة العربية الاسلامية ليست معروفة بصورة حقيقية من قبل الاغلبية الساحقة من الشعب الاسبانى وذلك نتيجة حملة تعميم استمرت قرونا طويلة ، ان الكتب المدرسية التى كانت تدرس حتى عهد قريب فى اسبانيا كانت تخصص صفحة او صفحتين فقط للتحدث عن كل المرحلة الزمنية التى استمرت ثمانية قرون من الحضارة العربية الاسلامية الاندلسية .

ان الحضارة العربية الاسلامية فى الاندلس ليست معروفة حتى عند الاندلسيين انفسهم ولذا يتم تجاهلها ، وما هو مجهول لا يمكن لاحد ان يطالب به باعتباره شيئا يخصه .

نقطة اخرى مهمة تتعلق بتفسير التاريخ على اساس وصف فترة الاندلس الاسلامى بأنها مرحلة

احتلال عربى للاندلس . . وهذه احدى المغالطات ، ذلك ان العرب المسلمين عندما قدموا كدعاة فاتحين وبعد ان نشروا الاسلام فى ربوع اسبانيا واعتنقه الاسبانيون استقر بعضهم فى اسبانيا - أعنى العرب - وغادر بعضهم الى مناطق أخرى باعتبارهم دعاة .

الذى حدث حقيقة هو عملية تحول بحيث اعتنق الاندلسيون الاسلام ، ولذا فان الفترة الاسلامية فى الاندلس هى تاريخ خاص بالاندلسيين وليست تاريخ العرب فى الاندلس كما تحاول عدد من المؤلفات ان تدعى مركزة على ادعاء الاحتلال العربى للاندلس .

وادعاء (الاحتلال) هذا يقودنا الى مناقشة أمر آخر يغلفه التعقيم بشكل متعمد وهو موضوع القبائل التى قدمت الى اسبانيا من شمال اوربا كالوندال والقوط واستقرت بها والتى تقدمها كتب التاريخ على انها قبائل اصلية فى اسبانيا بينما تدعى تلك الكتب ان العرب كانوا محتلين . انهم يصورون القبائل القادمة من اوربا بشكل عادى بل يؤكدون على انها قبائل اسبانية اصلية ولا يصفونها بالغزو او الاحتلال بينما يصرون على وصف العرب بأنهم غزاة ومحتلون . . وهو منطق غير صحيح .

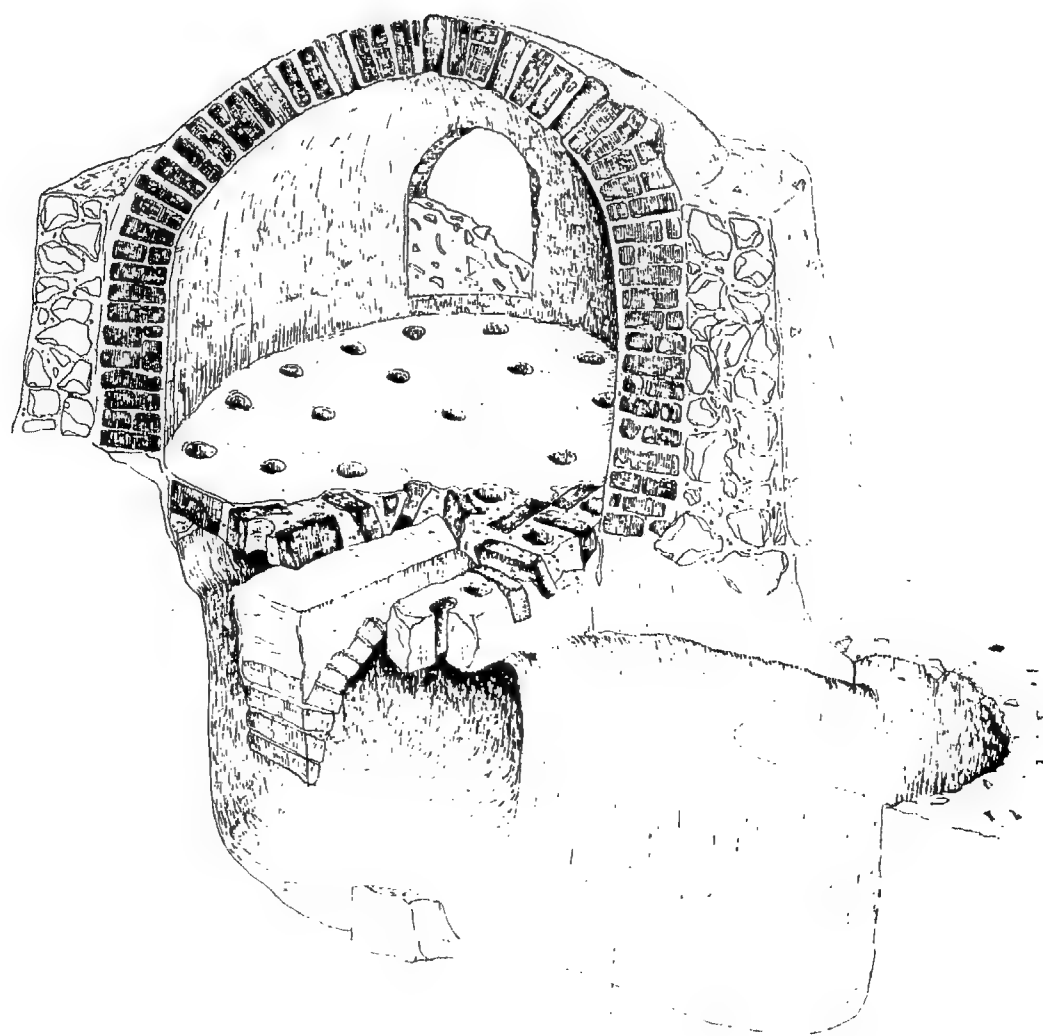
ختاما اختار بيلار ان يضع امامنا التوضيح التالى :

علينا ان لا نغمض اعيننا عن الواقع ونعيش مرحلة انبهار اكثر من اللازم .

ان الواقع هو تجربة ولكل تجربة خصوصياتها . . لها سلبياتها وإيجابياتها .

اننا نظلم التاريخ عندما نقدم مسجد قرطبة او قصر الحمراء مثلا وكأنها اعجوبة ومجرد خيال لا يستند الى واقع تاريخى ، وهذا يجرنا الى منزلق خطير يجعلنا نتوهم ان الدولة الاسلامية فى الاندلس كانت دولة خيالية .

ان الذى ينبغى اظهاره وتأكيدہ ان الفترة العربية الاسلامية كانت واقعا بكل مواصفاته ، وما نراه اليوم فى قصر الحمراء او مسجد قرطبة انها هو اقل القليل من الآثار الدالة على ان الاسلام كان هنا . وما نراه هو جزء من حضارة وليس كل الحضارة لان الحضارة الاسلامية لاتزال وستظل قائمة .



أذا أسقطنا العروبة : لغة وثقافة وحضارة ودعوة :

الاندلس حضارة بلا جذور!!

المتتبع لظاهرة اهتمام الغرب بالشرق على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين سيلمس ان ثمة تغيرا واضحا في الاسلوب بما يكفى لتكوين وجهة نظر جديدة حيال العملية الاستشراقية . كانت الاهتمامات في ما مضى في مجملها محاولات استكشاف ، ثم استيلاء . . ولا احد ينكر ان ما عرف (بالاستشراق) كان مقدمة لما اصطلح على تسميته (بالاستعمار) ، كان الاستشراق مفتاح الشرق امام غزو لم تسلم منه بقعة ، الا ما ندر . ولا يزال الغزو مستمرا .

الآن : تغيرت صورة الاهتمام بسبب تغير التكتيك مع ثبات السوقية الغربية اتجاه الشرق . المستهدفات لم تتغير ، ابعاد ونتائج العملية الاستشراقية باتت اكثر وضوحا . ان المعطيات التي كونت القناعة العامة في الغرب نحو الشرق تستند حديثا الى الفصل بين متلازمين حفظا للشرق قوته وشخصيته طوال فترة امتزاجهما . . وبات لازما من وجهة النظر الغربية العمل على قطع كل اواصر الترابط بين العروبة والاسلام . ولذا لم يعد مستغربا ان تطفو على سطح الاحاديث هاتان القضيتان ، وما يذهب اليه الغرب في هذا الشأن قد لا يعنى المتحدث غير المتخصص ولكن النتائج من شأنها ان تسمى الينا : عربا ومسلمين ، وشرقيين عموما .

ان ما حاول (الاستشراق) ترسيخه في العقل الغربي في كل ما يخص الشرق قد استقر كثوابت سوقية لا تتغير مهما تغيرت الاشكال وانماط الفعل . وفي حديث مع السيدة / انكرنثيون جوتيرز عضوة لجنة التنسيق الاداري بالمعهد الغربي

للثقافة الاسلامية بحضور السيد / رود ولفو رود ريغس المدير الادارى للمعهد والصاديق خليل حسن صدقة حين التقينا في مدريد ، لمست ان المعضلة التى يعانى منها الغرب تكمن في عدم التسليم بالارتباط العضوى - ان صح التعبير - بين العروبة والاسلام . . قالت محدثى :

الدور الذى لعبه الاسلام نرى انه اكبر من الدور الذى لعبه كقومية !! مثل القومية العربية ، لان الاسلام بوتقة صهرت الكثير من الشعوب والعديد من القوميات ، ومن هنا تنبع عظمة الاسلام لانه تمكن من صهر الكثير من الفروق العرقية بين الناس ، وبذلك كون امة عظيمة . محدثى ربما لم تذهب الى ابعد مما قالت ، ولكن بما ان القضية جد مهمة فان من حق الطرف الذى تعنيه ان يذهب في التحليل والايضاح كل مذهب .

ان المطالبة بالفصل بين العروبة والاسلام شكلت خطورة على مر التاريخ العام للوطن العربى والعالم الاسلامى .

والمحدثون عن : القومية العربية والاسلام يقعون في خلط واضح ، وان لم يكن ذلك فان محاولة الفصل تكون من اجل تجاوز المازق الصهيونى الذى جعل من المعتقد اليهودى قومية ، ومن القومية معتقدا ، ولذا بات من الصعب على الكثير قبول الترابط والتكامل بين العروبة والاسلام ، بل ان البعض يذهب الى ابعد من ذلك حين يقرر خطورة الترابط بين القومية والدين . . ونظرا للاستغلال السيئ للدين سواء من المسلمين او من غيرهم تشكلت قناعة محددة تهدف الى الفصل الكامل بين الامرين .

وفي هذا الخضم بات من الصعب اثبات أن الدين الاسلامى والقومية العربية من الامور التى لاترسخ مبدأ الدين الخاص بقومية معينة .

ولعل الخطأ المستشرى بين عدد من الغربيين نابع من النظرة الى الاسلام وكأنه معتقد خاص ، وحتى حينها بدأت الحقائق تجدها مكانا في ادمغة القوم اتجهت المحاولات الى الفصل القسرى بين الاسلام والعروبة . . وفي اشارة منى الى هذه المعضلة قلت لمحدثى :

لاختلاف في ان الاسلام لا يميز بين جنس وآخر ، اننا كمسلمين نرفض اى تمييز بين الاجناس وهو موقف ايمانى ، الا ان (عالمية الاسلام) تتحقق من جانبيين : المخاطبة والتوجه الى البشرية جمعاء .

الايمان الذى لا يكون حكرا او وقفا على جنس دون آخر . لكن الجانب الذى لا يمكن القفز عليه او تجاهله هو ان ثمة من اختير لتعهد هذه الرسالة

الساوية بالدعوة والاعلان .

والتاريخ يزودنا بالامثلة الكثيرة التى تسند ما نذهب اليه . والعرب لا يسمعون الى ان يصبحوا مثل الذين ادعوا انهم (شعب الله المختار) بقدر ما يقومون بمهمة الدعوة .
الامة العربية امة دعوة ورسالة وليست امة تحاول ان تجعل من الدين قومية ، ومن القومية جدارا يحول دون الآخرين واعتناق الاسلام .

ان قضية (الثقافة) ليست صعبة التداول حينما يقدم كل شىء على حقيقته ، ولذا فلا يظن أحد اننا نمارس (الوصاية) الفكرية على الشعوب او اننا نحجب ان نتجاهل ثوابت وحقائق الحياة ، واذا كانت (العملية الثقافية) - ان صح التعبير- لاتتم وفق مسار يحدده اى شعب لشعب آخر فانها فى مجملها (عملية) ترتبط بالتاريخ شاملة :

العادات والتقاليد والعرف وجملة من انماط النشاط البشرى ، ومن المستحيل فى مثل هذه الحال مصادرة كل ذلك لصالح رأى نراه حين تحدثنا عن (الثقافة الاسلامية) .

لكن لنحاول ان نتناول جزئية مهمة لايمكن بأى حال ان يسقطها احد .
(الثقافة الاسلامية) قديما وحديثا فى شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها لايمكن ان تتحقق الا باسسها وروحها ولبها وهو : القرآن الكريم .
والقرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين . ومن هنا فان اى نشاط ثقافى لا يتم الا اذا انبنى فى اهم مراحله على لغة القرآن الكريم .

ورغم هذا التلازم والترابط فان الهجوم على العروبة والاسلام لا يزال مستمرا .
لكن محدثى ترى ان مثل هذا الترابط ليس مهما حيث قالت بأن « فهم الانجازات التى تحققت بشكل عام كانت بسبب الاسلام وتنتسب اليه بغض النظر عن حق تلك الانجازات او المستول عنها » .

وذهبت الى عدم البحث عن « الاسبقية وعدم التوقف كثيرا امام التساؤل عن ابداع وابتكر هذا النمط الحضارى او ذاك » .

ان ما تعلنه محدثى ليس مجرد وجهة نظر ، والقضية بهذا الاتجاه ليست وليدة الساعة ، وانما هى نتيجة واضحة لما سبقت الاشارة اليه من تغير فى جزئيات معينة من السوقية الغربية الموضوعة للتعامل مع الشرق .

وبعيدا عن اطراف هذا الحوار ، وبعيدا ايضا عن آرائهم التى لايمكن ان اطوعها حسب ما

أرى أود ان استرعى انتباه القارىء الكريم الى ان عملية الغزو او الاستشراق ، باتت لاتتعامل مع العروبة والاسلام كوحدة واحدة ، لقد اختارت نمطا آخر .
سياسيا يتم التركيز على (العروبة) من خلال (عملية تفتيت) بترسيخ مبدأ (الاقليمية) ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وتكريس ما ينشأ عن كل ذلك من ظواهر .
عقائديا يتم التركيز على الدين الذى حفظ العروبة بكل خصائصها ومظاهرها وأسباب وجودها .
جانب آخر كان محور هذا الحوار ، ومن بين النقاط التى استرعت الانتباه ما نلمسه من اهتمام ملحوظ وعلى مختلف المستويات بالاسلام ، دراسات وبحوث ، هيئات ومؤسسات وشركات ، علماء وكتب وصحف واذاغات تعمل ليل نهار فى المجتمع الغربى فى اتجاه الاسلام .
وقلت :

الوطن العربى والعالم الاسلامى يعتبران من الناحية التحليلية الغربية من المناطق المتخلفة ، ولقد ركزت الدراسات والابحاث والدعوات الغربية على اعلان ادعاء مؤداه ان سبب التخلف فى هذه المناطق يعود الى الاسلام . لقد قدم الاسلام كعامل رئيسى لتفشى التخلف .
الامر لم يتغير كثيرا بالنسبة للوطن العربى والعالم الاسلامى ، ومع هذا نلمس اهتماما غير عادى بالاسلام .

اضافت محدثتى : « ان الكثيرين من المسلمين يعتقدون ان الدين الاسلامى مجرد عبادات ، ولذلك لم يتعمقوا فى فهمه ليكتشفوا ان هذا الدين ليس مجرد عبادات ، انه فى الحقيقة : معاملة وتصرف وثقافة وحضارة . . اننا نعتقد ان الاسلام بعيد كل البعد عن التخلف ، اما المسلمون فانهم انغمسوا فى متاهات ليست هى الاساس والجوهر . . لقد ادخلت على الاسلام بدع عديدة خاصة فى عهود التخلف وانتجت جملة من الحساسيات .

وتضيف محدثتى : هذا موضوع شائك ، ونحن فى الوقت الحاضر نعانى من ذات المشكلة ، ثمة ظروف تاريخية وموروث تاريخى يحتاج الى تحقيق حتى نتمكن من تشخيص اسباب التخلف فى العالم الاسلامى .

ان ما يعيشه العالم الاسلامى اليوم هو محصلة لعدد من العوامل ادت الى هذه النتيجة (التخلف) . ليست القضية مجرد عامل او عاملين يمكن تفسير اسباب التخلف على اساسهما .

قلت : هل نوصف بالحلم اذا قلنا بأن الاسلام هو دين الغد فى اوروبا ؟
بعد حديث طويل خلصت محدثتى الى القول : لقد قمت بزيارات كثيرة لمختلف ارجاء

اوروبا ، ولاحظت اهتماما كبيرا بالاسلام وبشكل يختلف عن نمط الاهتمام الذي كان سائدا في السابق ، هناك نوع من الاحترام والتقدير لهذا الدين ، على الاقل هناك اهتمام بما يتضمنه هذا الدين ، وهذا بالطبع لايعنى ان كل الناس في اوروبا مسلمون لكنهم يحاولون احترام الاسلام والمسلمين . ومن خلال مجال عملنا - الحديث لايزال للسيدة انكرنثيون جوتيرز - لاحظنا ان محاولات تفهم الاسلام ليست مقتصرة على اوروبا فقط ، انها قضية ملموسة على مستوى عالمي ، ويمكن من خلال هذا الاهتمام وبالمقابل من خلال عمل متواصل ودؤوب يمكن ان نعيد للاسلام مكانته .

وهنا تدخل السيد / رودلفو رود ريغس ليعلق بقوله : اننا نعتز بأن الظروف الحالية في اوروبا مواتية اكثر مما كانت عليه في السابق ، وهذا من شأنه ان يشجع الناس للاقترب من الاسلام حيث اصبحوا على دراية اكثر ومن هنا يمكن ان تتسع دائرة الاطلاع .

في جانب آخر من هذه الورقة الاندلسية تحدثت السيدة انكرنثيون عن الفعل الحضاري للاسلام ، ومن وجهة نظرها ترى عدم جدوى التمييز بين من كانت له سابقة الفعل ومن كانت له بادرة التأثير والجانب المتأثر ، وبما قالته :

ليس من المجدي النظر من زاوية واحدة الى الحضارة الاسلامية ، ذلك لان هذه الحضارة هي عبارة عن تفاعلات وتجارب عديدة انصهرت في بوتقة واحدة وادت الى تشييد الحضارة ، الاسلام لم ينف كل الحضارات والثقافات الاخرى ، بل قام باستيعابها وتطويرها والاضافة اليها . قلت موضعا لامقاطعا : تقصدين الابقاء على كل ما هو صالح من مختلف الثقافات والحضارات .

قالت مسترسلة : نعم ، لكن العرب والمسلمين يحاولون تناسي ذلك ، انهم يعتقدون بأنهم يجب ان يقتصروا على ما هم عليه ، وانا اعتقد ان الاسلام لابد وان يجمع ما بين كل ما هو صالح في مختلف الثقافات .

ان التسامح الذي يمتاز به الاسلام هو الذي ادى الى انتشاره ووصوله الى مراحل من التقدم ونقل الانسانية نقلة حضارية مهمة وملموسة .

لم أشأ ان أقف مترافعا ، فالقضية مرتبطة بثقافة سائدة أهم طرق معالجتها : الحوار ، ان حسن النوايا حينما يقترن بوضوح في الرؤية يمكن مختلف الاطراف من بداية حوار ثقافي او حضاري بوضوح وموضوعية .

وتظل قضية (العروبة والاسلام) من اهم الاشكاليات التي يواجهها الغربي وهو يحاول ان

يتعامل مع العربى ، بالنسبة لنا الامور واضحة بلا ريب ، لكن درجة الوضوح ليست هى ذاتها بالنسبة للآخرين .

وهنا يطل من مدن وقرى وقلاع وحصون وقصور ومساجد الاندلس الحرف العربى ليضيف الى الحوار بعدا مثيرا .

اننا اذا طمسنا كل حرف عربى فى كل جدار أندلسى أو قبلنا بأن يفعل ذلك الآخرون - فما الذى يعطى لهذه المنطقة خصوصيتها ؟ وما هو الوضع الذى سيستج عن ذلك ؟!

نعم ، ما الذى سيبقى من (الاندلس) ان نحن - وبناء على القول بأن ليس للعرب فضل فى الحضارة او الثقافة الاسلامية - قمنا بازالة كل حرف عربى وكل اثر عربى وكل مراحل التاريخ العربى الاندلسى الاسلامى ؟!

ألسنا ان فعلنا كل ذلك او بعضه على الاقل سنضطر الى البحث عن جذور لحضارة الاندلس ؟!

ان الاندلس المدرسة الاولى لاوروبا الحديثة قدم بطاقة متميزة واسهم بشكل فعال وواضح فى نقل البشرية بأسرها من عالم مظلم الى دنيا مضيئة تستنير بنور العلم والعقل والايان .

ان كل ذلك لايعنى اسقاط الجهد الذى بذله الاندلسيون ، لكننا فى المقابل نفى ومعنا حقائق التاريخ ألا تكون للعروبة قدم راسخة وبصمة واضحة فى تأسيس الثقافة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها .

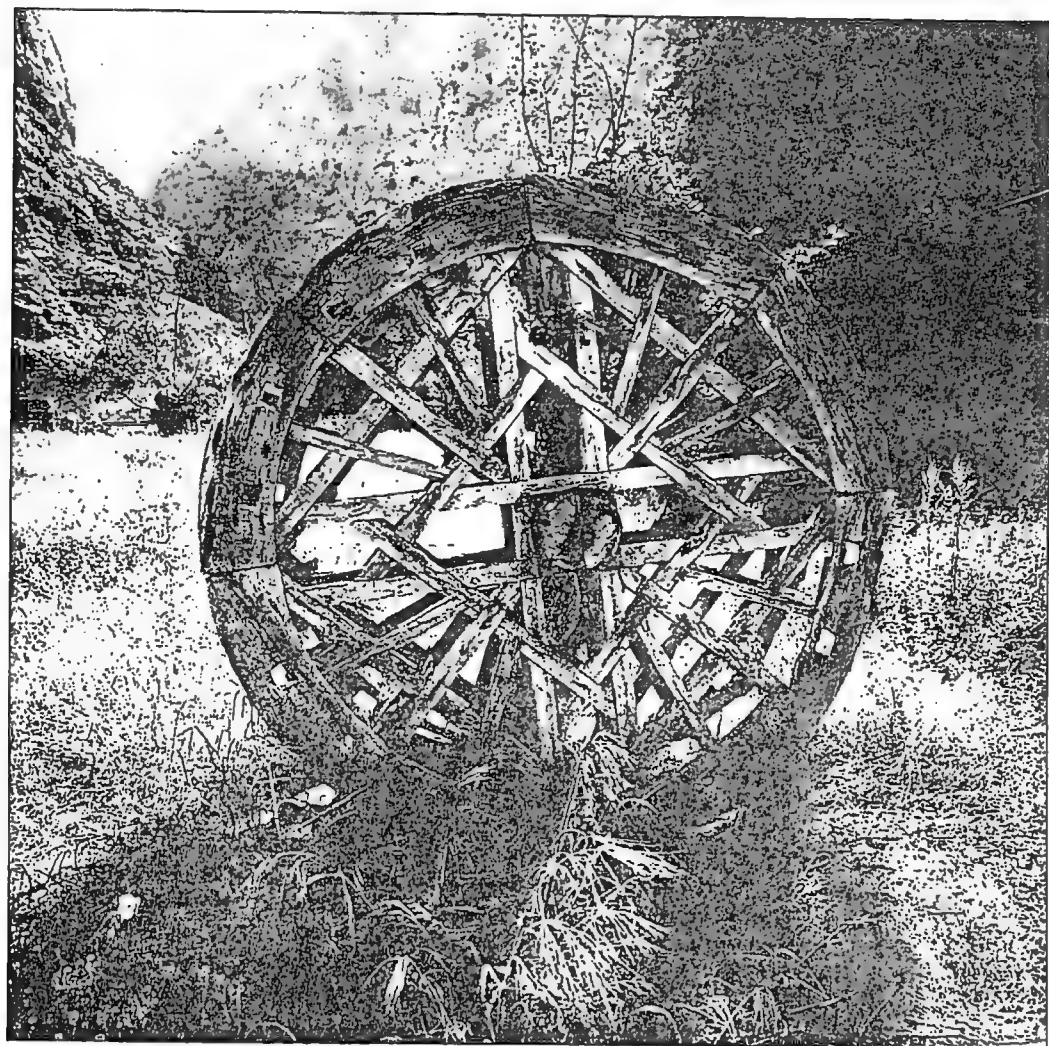
واذا كان الداعون الى فصل العروبة عن الاسلام لا يستطيعون طمس أى حرف عربى فى كل اثر فكيف يستطيعون وبسهولة ويسر التحدث عن الاسلام منفصلا عن العروبة او التعامل مع العرب فى معزل عن الاسلام ؟!

وحتى لا تكون هذه الورقة الاندلسية تبدو وكأنها رد على محدثى اقرر بأن القضية من أساسها ترتبط بسلوك ومنهج بات واضحا للجميع ، ولعل سبب اثاره هذه القضية يعود اساسا الى تسمية المعهد الذى تعمل به محدثى ومحدثكم (بالمعهد الغربى للثقافة الاسلامية) مما جعلني أتساءل فى بداية الحوار عن معنى (الثقافة الاسلامية) والفرق بينها وبين قولنا (الثقافة العربية الاسلامية) .

بقى ان اشير الى ان ما دار من حديث لم تتضمنه هذه الورقة ، وهو امر يدعونى الى الاعتذار من محدثنا ومن السيد / رودلفو ومن صديقنا / خليل حسن صدقة الذى ابلى بلاء حسنا وهو يحاول ان يتعدى مجرد الترجمة الحرفية ليصوغ افكارنا فى قالب ادبى رفيع بلغة وأسلوب متماسكين

وكأنه يتحدث من فيض الخاطر .
محدثنا في هذه الورقة هي السيدة / انكرنثيون جوتيرز هيرنانديز . متخصصة في علم النفس . درست في بريطانيا .
اهتمت بالاسلام من خلال قيامها بدراسة عن التوازن النفسى للفرد في المعتقدات المختلفة . . وحين بدأت بدراستها كانت تود التوصل الى معرفة اى المعتقدات يؤدى الى التوازن النفسى لدى الانسان .
في هذا الاطار توصلت - وحسب تعبيرها - الى قناعة مؤداها ان الاسلام هو أفضل معتقد يؤدى الى التوازن النفسى عند الانسان .
قلت لها : كيف وجدت ذلك ؟!
قالت : ان مبدأ الوحدانية في الاسلام هو المرتكز الاساسى لهذه النتيجة ، الانسان المسلم في كل شئونه يتجه نحو (وحدانية الله) وهذا ليس موجودا في اى معتقد آخر وليس موجودا في الحضارة الحديثة (الرأسمالية او غيرها) التى لاتوفر ولا تتوفر فيها اساسا مبادئ محددة وواضحة .





انقذوا تاريخكم قبل فوات الأوان !

يقول الاسبانيون عن « لجنة الاندلس لعام 92 » : « الاندلس 92 هي احدى مجموعات العمل التابعة للجنة الوطنية المكلفة بتنظيم نشاط احياء الذكرى المئوية الخامسة لاكتشاف أمريكا . . . والمهمة المسندة لهذه اللجنة هي توجيه وتشجيع ودفع وترشيد وتنظيم النشاطات والبرامج المرسومة بمناسبة الاحتفالات بذلك الحدث » .

ويوضح الاسبانيون أهداف « لجنة الاندلس لعام 92 » بالقول : « ان الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة لاكتشاف أمريكا يقترب بذاكرتنا نحو احداث مختلفة ذات ابعاد تاريخية كبرى هي انعكاس لواقع اجتماعي وثقافي تجسد على مدى القرون فيما يسمى بعد ذلك باسبانيا .
ففى عام 1492 م عام الاكتشاف كانت الاندلس تحتتم سيرتها ككيان سياسي مستقل في شبه الجزيرة الايبيرية .

وهدف « الاندلس 92 » هو احياء ذكرى واجتلاب ذاكرة الاسبان اليوم نحو أبرز جوانب تاريخ الاندلس ومساهمة الحضارة العربية الاسلامية في مفخرة كولمبوس .

الاندلس وهو الاسم الذي تعرف به شبه الجزيرة الايبيرية في النصوص العربية كانت خلال زمن طويل الدرب الذي كانت القرون الوسطى الاوربية المظلمة تتلقى منه ضياء المعرفة التي كانت ترد من الشرق . . واسماء كثيرة توحى بالكثير مثل قرطبة وغرناطة واشبيلية وطليطلة وبلنسية كانت مشاغل الثقافة ومراكز جامعية حقيقة كان يتردد اليها - مولعين بالمعرفة - العلماء والباحثون في تلك القرون الاوربية الوسطى .

وليس بالوسع فهم النهضة الاوربية ولا « حقبة الاكتشافات . . . دون العلوم الفلكية للزرقالى أو رياضيات مسلمة المجريطى أو فلسفة ابن رشد أو تطور الاساليب الزراعية في مزارع وبساتين بلنسية والتي مازالت تقاليدھا العربية حاضرة حتى يومنا هذا » .

كانت تلك مقتطفات من أحد منشورات « الاندلس لعام 92 » الصادرة في اسبانيا على طريق التهيئة الاعلامية لجملة من التظاهرات الفنية والعلمية بهدف استشارة الاذهان الى انتظار عام 1992 م .

ان اسبانيا ترغب في حشد كل ما من شأنه ان يجعلها قبلة الانظار طيلة السنوات حتى عام

1992 م ، والتي ستشهد عددا من الاحداث منها على سبيل المثال لا الحصر :

- 1 - السوق الاوربية الموحدة .
 - 2 - أوروبا بلا حدود .
 - 3 - اعلان مدريد عاصمة أوروبا الثقافية .
 - 4 - الالعب الاولية في برشلونة .
 - 5 - اعلان غرناطة عاصمة للثقافة العربية .
 - 6 - اقامة معرض كبير في غرناطة يتعلق بالثقافة العربية في أوروبا مع التركيز على الدور الذي لعبته العلوم عند العرب في المساهمة في اكتشاف امريكا .
 - 7 - الاحتفالات بمناسبة الذكرى المثوية الخامسة لاكتشاف أمريكا .
- ولذا فان اسبانيا :

- 1 - تتصل عن طريق لجنة « الاندلس لعام 92 » بالمتاحف العالمية بغرض الاستفادة من محتوياتها .
- 2 - تنظيم سلسلة من المعارض المتنقلة في كل الاندلس .
- 3 - تنظيم معرض خاص بالفن المدجن .
- 4 - اقامة عدد من الندوات والمؤتمرات حول الاندلس .
- 5 - نشر مجموعة من الكتب تتعلق بمصادر الثقافة الاندلسية ، وقد اختار المعهد الاسباني العربي للثقافة سبعة عشر عنوانا ستنتشر تباعا
- 6 - نشر مجموعة من الخرائط التاريخية تتعلق بالشمال الافريقي لأول مرة .

وفي اطار التنسيق بين لجنة « الاندلس لعام 92 » وجامعة الاقطار العربية قام الدكتور ماريانو الونسو بورون رئيس اللجنة بزيارة الى الجامعة العربية والتقى بالسيد الشاذلي القليبي والدكتور محي الدين صابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . . ولقد تبلور الموقف العربى من تظاهرات 1992 م . بموجب القرار رقم 833 الصادر عن الجامعة العربية بتاريخ 12 / 9 / 1988 والذي اعتبر ايجابيا من حيث كونه اكد على مشاركة الاقطار العربية في معرض اشبيلية الذى سينتظم عام 1992 م .

من جانب آخر يتحرك المجلس الاعلى للبحوث العلمية في اسبانيا في ذات الاتجاه ، ولاقسام الدراسات العربية والاسلامية بالجامعات الاسبانية مساهمة ملموسة في إطار الاندلس عام 92 .

وتشير معظم المستجدات في هذا النطاق الى ان « الاندلس » تاريخيا وحضاريا وواقعا معاشا أصبح مثار جدل واهتمام بالغين ويشير تقرير « دبلوماسي » الى احتدام الصراع بين الاندلس العربي الاسلامي و « اليهود » ومما جاء في التقرير « في اطار الاتصالات الدورية التي يجريها الامين العام لجامعة الاقطار العربية مع الرئاسة الاوربية قام يوم 13 / 1 / 1989 بزيارة رسمية الى اسبانيا ، واجرى مع المسؤولين الاسبان في مدريد محادثات شملت جملة من القضايا كان من ضمنها موضوع مشاركة الاقطار العربية في المعرض الدولي في مدينة اشبيلية حيث عبر رئيس الحكومة الاسبانية « فيليبي غونثالث » في لقائه بالامين العام لجامعة الاقطار العربية عن شكر حكومته وارتياحه لاستجابة الدول العربية بالمشاركة في المعرض الدولي المزمع اقامته في مدينة اشبيلية سنة 1992 م . وكذلك المشاركة الفعالة في الاحتفالات الثقافية والحضارية التي تنوي اسبانيا تنظيمها خلال نفس السنة بمناسبة مرور القرن الخامس على اكتشاف امريكا » .

وفي فقرة مهمة للغاية يقول التقرير : « اشار رئيس الحكومة الاسبانية الى اهمية الدور العربي في الاندلس وتأثيره في عملية الاكتشاف منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، ولمح خلال هذا اللقاء مثلما فعل وزير خارجيته الى ان « اسرائيل » والمنظمات اليهودية المختلفة تعمل لتحويل هذه التظاهرات لطمس الحقائق التاريخية والحضارية للوجود العربي في اسبانيا ، وتجاوب رئيس الوزراء الاسباني في ذلك مع طرح الامين العام « لجامعة الاقطار العربية » الداعي الى ضرورة قيام اسبانيا بتحريك فعال للوقوف في وجه الغزو الصهيوني للحضارة العربية الاسلامية في الاندلس مضيفا ان النوايا « الاسرائيلية » ينبغي ان تكون حافزا لجهود عربية مكثفة لمواجهة والتغطية عليها » انتهى التقرير .

وللحقيقة فان الموقف الصهيوني يحتاج الى وقفة ايضاح وهذا ما املكه وأنا أضع بين يدي القاريء الكريم هذه الورقة الاندلسية .

ولابأس من الاشارة الى انني تناولت الموقف اليهودي من الحضارة العربية الاندلسية في مواضع سابقة ولا اريد هنا أن أعيد ما كتبت ، لكنني أريد التنبيه للمرة الاخيرة الى ضخامة التزوير الذي تتعرض له الحضارة العربية الاسلامية في إسبانيا ، ان تحرك (المجموعة اليهودية) الواضح خاصة بعد تطبيع العلاقات الاسبانية مع « الكيان الصهيوني » يتجه نحو الضغط السافر على عدة نقاط وفي عدة اتجاهات لهدفين رئيسيين :

الهدف الاول : محاولة طمس الدور العربي الاسلامي في الاندلس قديما وفي اسبانيا حديثا .

الهدف الثاني : الدفع بالعلاقات الاسبانية مع الكيان الصهيوني الى عدة مسارات بحيث يكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل تجميد تلك العلاقات .

ولا أظن بأن « المجموعات اليهودية » لم تستفد بشكل واضح من الخطاب الذي القاه الملك « خوان كارلوس » امام حشد من اليهود الامريكيين حين زيارته لامريكا سنة 1987 م والذي اشار فيه الى ضرورة انصاف « اليهود » والاعتذار لهم ! بسبب ما لاقوه من محاكم التفتيش الاسبانية . ولاول مرة تدين اسبانيا وبشكل واضح العاهلين الكاثوليكين على لسان الملك « خوان كارلوس » في ذلك الخطاب .

كان ذلك الخطاب حافزا لتصعيد الدور اليهودي في اتجاه استغلال احتفالات عام 1992 م . لقد تشكلت اللجنة « اليهودية الاسبانية » بناء على اقتراح الملك وفي بداية عام 1988 م قام وفد من المؤتمر اليهودي العالمي بزيارة الى اسبانيا وقابل الملك خوان كارلوس ، ثم أصدرت تلك اللجنة تحت غطاء اللجنة الوطنية للاحتفالات بالذكرى المثوية الخامسة لاكتشاف امريكا كتابا بعنوان « سفاراد 92 » ويهدف ذلك الكتاب الى اثبات أن الحضارة الاندلسية لم تكن مدينة للعرب والاسلام بقدر ما كانت بسبب اليهود !

ثم صدرت خلال العام 1988 م عدة كتب في اطار التحضير الاعلامي لاحتفالات 1992 م من بينها كتاب يحاول البرهنة على ان مكتشف امريكا كان يهوديا .

وأخيرا لا آخرا اقترح اليهود مشروعا واسعا من أجل اقامة « متزه انجيلي » يشمل كل النباتات التي وردت في التوراة . اضافة الى عدة ندوات ومؤتمرات ولقاءات يهودية تعمل على تصعيد حدة التشويه لكل مناحي الحضارة العربية الاسلامية .

وأذكر انني حين تحدثت مع أحد المسئولين الاسبان عن جملة من هذه القضايا قال بأن العرب اكتفوا بملاحقة الجهود الصهيونية وبذا جعلوا المبادرة اليهودية امرا واقعا ، وقال بالحرف تقريبا : انكم « اى العرب » تكتفون بملاحقة « اسرائيل » في زقاق واحد ، ولم تبادروا الى ابتكار طريق آخر تكون لكم فيه المبادرة وتضمنون السبق .

وفي تقرير لأحد أعضاء « مجلس السفراء العرب » في مدريد مؤرخ في 26 / 1 / 1989 م جاء ما نصه : « ولعله من الضروري الاشارة الى انهم « اليهود » وفي فترة زمنية محدودة قد حققوا وجودا ملفتا للنظر بكل أسف مقابل موقف عربي اسلامي لا يمكن وصفه الا بالسلبية وعدم الاكتراث » . ولقد اثيرت هذه القضية امام مجلس السفراء العرب ضمن اقتراح بضرورة التحرك لمواجهة

النشاط اليهودي بشكل ايجابي .
في اطار تصعيد حملة الضغط على الحكومة الاسبانية تسمى « المجموعات اليهودية الى التفاوض مع 8 وزارات اسبانية بهدف التوقيع على اتفاقيات بين الدولة الاسبانية واليهود .
ونشرت صحيفة « الباييز » الصادرة يوم 17 / 12 / 1988 خبرا تقول فيه : « ان اتحاد التجمعات اليهودية في اسبانيا بدأ يوم 16 / 12 / 1988 م مفاوضات مع الحكومة الاسبانية من أجل التوصل الى اتفاقية مشابهة لتلك الموجودة بين الدولة الاسبانية والكنيسة الكاثوليكية » .
ومن قبيل اللعبة اليهودية في أوروبا بادر اليهود بشن هجوم على اسبانيا على لسان « صمويل توليدانو » امين عام اتحاد التجمعات اليهودية حيث قال في تصريح نشرته صحيفة « الباييز » في عددها المشار اليه « ان اسبانيا تاريخيا لم تستطع توفير التعايش لمختلف الاديان » !
وهذه جملة كثيرا ما تستخدمها الصهيونية بهدف اثارة الرأي العام من خلال التشكيك المتعمد في تاريخ هذه الدولة أو تلك .

ويبدو أن سنة 1989 م قد أريد لها ان تكون سنة التحرك اليهودي ويمكننا ان نلمس ذلك من خلال ما أعلنت عنه الصحف الاسبانية من أن 8 وزارات اسبانية ستفاوض مع « التجمعات اليهودية » وفي إطار تحديد ما هو مطلوب من الحكومة الاسبانية لم يكتف امين عام اتحاد التجمعات اليهودية بما نشرته على لسانه صحيفة « الباييز » بل بادر الى وضع النقاط الاساسية لشكل وأسس الحوار مع الحكومة في تصريح اذاعي بثه « راديو ناشيونال » يوم 18 / 12 / 1988 م ، ونظرا لخطورة ذلك التصريح ولكونه يشكل بؤار ما يمكن ان يسمى « دولة داخل دولة » أتمنى ان يسمح لي القاريء الكريم ان اضع امامه نص ذلك التصريح ليطلع على أسلوب العمل والتعامل الابتزازي ان صح التعبير ، وأتمنى ان ينتبه القاريء الكريم الى الكلمات الحادة التي جاءت في صيغة الالتزام وليست في صيغة المقترحات .

قال « صمويل توليدانو »* في تصريحه لراديو ناشيونال : « ان الدولة الاسبانية لا بد لها ان تغير معاملتها للتجمعات اليهودية ولا بد من تغيير النظام الضريبي المفروض على المنشآت اليهودية المخصصة للعبادة .

ولا بد لاسبانيا من أن توفر الضمانات للمواد الغذائية التي يتناولها اليهود مثل الذبح على الطريقة اليهودية والاعلان على المعلومات الخاصة بالمواد الغذائية الخاصة باليهود بانها خالية من الخنزير ومشتقاته . . وان تتمتع هذه المنتجات باعفاءات ضريبية وهذا ليس مهما فقط بالنسبة

لاستهلاك هذه المواد داخل اسبانيا لكن ايضا من أجل تصديرها الخارجى .
وان تعترف الدولة بالاعیاد الدينية اليهودية وتحترمها وان تكون اجازة لليهود . كما يجب على الدولة ان تحترم وتحافظ على الاثار الدينية التاريخية اليهودية . وان تعترف بالزواج الدينى اليهودى وتسجله تلقائيا مدنيا .
وتعرض « توليدانو » في حديثه الى مسألة التعليم وقال : الطلبة اليهود يجب ان تعفيهم الدولة من حضور امتحان يعقد يوم سبت او يوم عيد ديني يهودي وان ينقل هذا الامتحان الى يوم آخر .
وان الجنود اليهود في الجيش الاسباني يجب الا يعملوا ايام السبت ولا يكلفوا بورديات في هذه الايام واذا كان هناك ضرورة يغير يوم السبت بيوم اخر .
وفي ختام تصريحه قال : ان الحكومة الاسبانية لا بد وان تشدد من اجراءات الحراسة حول اماكن العبادة اليهودية لحمايتها من اى عمل تعصبي أو اراهابي .
هذا ما يريده امين عام الاتحاد التجمعات اليهودية من الدولة الاسبانية وهى امور كما يرى القاريء الكريم تشمل جميع مناحي الحياة ، وكأن التجمعات اليهودية في إسبانيا تعد بالملايين وتسعى الى اعلان دولة داخل دولة .
والحقيقة التي لا تقبل الجدل ان هذه الطلبات هي من أجل 12,000 يهودي حسب تصريح « توليدانو » ذاته ، وعلى افتراض ان هذا الرقم دقيق وصحيح رغم ان التاريخ كثيرا ما يقول غير ذلك ، فكم هو يا ترى عدد اليهود الذين يضمهم جيش اسبانيا مثلا حتى تقدم تلك الطلبات بشأنهم بمثل تلك القوة ؟!
ولا يجب ان يغيب عن بالنا فحوى الجملة الاخيرة المتعلقة بطلب تشديد الحراسة على اماكن العبادة اليهودية والتي تعتبر من وجهة نظر بعض العارفين ببواطن الامور الاسبانية تصعيدا لحملة ارايبية حقيقية تحاول الصهيونية ان ترتب لها منذ الان .
في المقابل : كم طلبا قدمه العرب المسلمون الموجودون في اسبانيا ؟ وحتى لا نتهم بأننا نحاول اثاره ذات الطلبات من منطلق « عنصري » .
نقول : كم طلبا قدمه المسلمون الاسبان الى الحكومة الاسبانية بذات الصيغة وبذات الاسلوب .
ولكي ندرك جزءا من الحقيقة لنقارن بين الارقام حتى نستدل - مبدئيا - على حجم الوجود

العربي الاسلامي في مقابل الوجود اليهودي وفي هذا الخصوص يشير تقرير خاص غير منشور الى ان الوجود العربي في اسبانيا يفوق كثيرا المائة ألف مع العلم بأن الوجود العربي من المغرب فقط يقدر بحوالى 60,000 .

وتقول الاحصائيات الرسمية الاسبانية بأن عدد العرب خلال عام 1988 وصل الى 30640 وهم الذين يتمتعون بحق الإقامة القانونية .

ومع التسليم بأن الوجود العربي في اقلية وجود آنى حتمته ظروف اقتصادية الا انه مع ذلك يظل فعلا ومؤثرا ان لم يكن بحجمه فبثرائه الصارخ . لكن يبدو أن العدد والثراء احيانا من الامور غير المجدية في معركة الدفاع عن الحضارة والتاريخ .

من جانب آخر لا يقل عدد المسلمين في اسبانيا عن 175,000 بما في ذلك مسلمو اسبانيا .

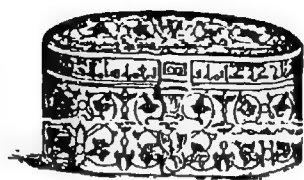
ولا اعتقد ان هؤلاء المسلمين قد تحدثوا الى الحكومة الاسبانية بذات الاسلوب الذي تحدث

به مندوب الـ 12,000 يهودي !

* نشرت صحيفة « فايننشال تايمز » الصادرة بلندن في عددها بتاريخ 23 / 2 / 1990 تقريرا من مراسلها في مدريد جاء فيه :-
« أخيرا اعطت اسبانيا الكاثوليكية الصبغة الرسمية لاعترافها بالحرية الدينية لليهود لأول مرة منذ ان طرد فرديناند وايز ابيلا اليهود من مملكتها المتحدة قبل 498 عاما .

فقد وقع انريق موجيكا Enrique Mujica - وهو اليهودى الوحيد من اعضاء الوزارة الاسبانية - اتفاقية مبدئية تسمح للكنيستين البروتستانتية واليهودية بالاعفاء من اداء الضرائب ، وتمنحها الحق برعاية الجنود اثناء الخدمة ، كما تخولها الانتفاع بنظام الضمان الاجتماعى بالنسبة لرجال الكنيستين وتمهد الطريق لتعليم العقيدتين اليهودية والبروتستانتية في مدارس الدولة .
ومما يذكر ان الكنيستين المذكورتين قامتا في السنوات القليلة الماضية بالضغط على الحكومة للحصول على مثل هذا الاعتراف الرسمى . وقال سامويل توليدانو [الطليطلى] - مسئول الطائفة اليهودية باسبانيا - ان الاتفاقية هى « احقاقى للحق » [!] و اضاف بأن الاتفاقية كانت لديه ذات اثر عاطفى كبير ، « فأبائى طردوا من طليطلة ، ويبدو ان القدر شرفنى بأن أعيد الحقوق اليهودية في هذه البلاد .

ويعيش في اسبانيا الآن نحو 15 ألف يهودى ، والمتدينون منهم نشطوا منذ وفاة « فرانكو » عام 1975 م ، في تعزيز اوضاع الطائفة » .



الاندلس : بيان الإدانة

الحديث عن الاندلس لا يكون دائماً من باب (اجترار الماضي) كما يقول بعضهم ، والحديث عن الاندلس ليس مرتبطاً في كل شؤونه وشجونه بفريقين يقف كل واحد منهما في مواجهة الآخر على الرغم من أن الكثير يجذب هذا التقسيم .

بالطبع ليس هذا فتحاً جديداً أزعم أنني لم اسبق اليه ، ولكنه واقع استطيع أن اقول عنه بأنه لايتضح للكثير . . وتأكيذاً لما ذهبت اليه في « ورقة اندلسية » سابقة من ان أبناء الاندلس يوجهون الينا دعوة صادقة للحوار ها أنذا اضع بين يدي القارئ الكريم هذه الورقة التي أظن - وربما اعتقد - بأنها تأتي تأكيداً لمبدأ الحوار مع كل ماله علاقة بالاندلس .

وتتميز هذه الورقة - ولا أقول تمتاز - بأنها جاءت نتيجة حوار عفوي بدأ صدفة ، واستمر بتلقائية ، وانتهى فجأة . . حوار انطلق من بعض التساؤلات التي رأت السيدة / زيفريد فون ثميل طرحها على أي شخص يحضر اعمال الملتقى الثالث لدعاة جمعية الدعوة الاسلامية العالمية العاملين بأوروبا والامريكتين والمنعقد بمدينة مدريد العاصمة الاسبانية في النصف الثاني من شهر النوار (فبراير) 1988 م ولسبب أو لآخر وجدت صديقنا / خليل حسن صدقة يتجه نحوي ليعرفني بالسيدة المذكورة متمنياً أن اساهم معه في تقديم اجابات عن اسئلتها ، وبسبب الحركة غير العادية التي كانت سائدة آنذاك في المكان الذي كنا نقف فيه رأينا ثلاثتنا البحث عن ركن أقل جلبة وضوضاء فكان ما أردنا ، واعادت السيدة / زيفريد طرح اسئلتها :

1 - ما سبب عدم وجود أي عنصر نسائي في هذا الملتقى ؟

2 - ما معنى التاريخ بوفاة الرسول ؟

3 - لماذا لا يحترم المسلمون المسيحيين ؟

لم اقف موقف الناطق الرسمي باسم الملتقى أو موقف من يلقي بياناً حول تلك النقاط ، بل اخترت أن يكون الحوار بين ثلاثتنا هو أسلوب الحديث .

وغني عن القول ان الحاجة كانت ملحة في البحث عن نقاط توضح الرؤية . . وبدأت اتلمس رويداً رويداً عمق الهوة الفاصلة بين قضايانا الحيوية وبين أسلوب حوارنا حيالها مع الآخرين ، اننا وفي مختلف جوانب حياتنا نسقط من الحساب - عمداً ما في ذلك ريب - أسلوب الحوار والجدل

والمنطق والحجة ، ونجد انفسنا في حرج شديد حينما نعلم أن الآخرين يهتمون كثيراً بقضايانا ومن خلال وجهات نظرهم فقط المتكونة من مزيج غريب من المعطيات المبتورة والمشوهة .
ربما لا تكون الصورة بمثل هذه المواصفات في مستويات معينة من رجال الفكر والسياسة ، لكنها على المستوى الشعبي هي كذلك ، الانسان في أوروبا رهين المحبسين كما نقول نحن العرب ، حياة مادية جافة تدفعه الى الفرق في خضم البحث عن لقمة العيش ، وحياة اخرى (لا أجد لها تسمية محددة) هي عبارة عن لحظات نادرة تجود بها الايام عليه ليتمكن من خلالها من الاطلاع على قضية أو حدث من وجهة نظر واحدة تقدمها وتتحكم فيها وسائل اعلام ليست معنية بالحقيقة بقدر ماهي معنية بتشكيل وصياغة قناعة محددة سلفاً حيال القضية أو الحدث موضوع الاهتمام .
صحيح اننا كمعرب نكتب كثيراً ، ونحن سادة البيان والبديع وفي مجال الكلمة لا يشق لنا غبار ، لكن بلاغتنا واساليبنا ورؤانا مهما كانت رائدة ورائعة ومهوى افئدة البلغاء والفصحاء من لدن عدنان بن قحطان فانها لن تفتح امام رجل الشارع الاوروبي نافذة للحوار معنا .
والاندلس خير مثال على ذلك .

إن اهتمامنا به :

أما ان يكون من قبيل النواح الذي ما أحيا ميتاً ولا ألمات حياً .
وأما ان يكون من قبيل الاصرار على أنه جزء لا يتجزأ من كياننا وتاريخنا الحديث واستعادتنا له ليست سوى قضية زمن .

وكلا النهجين لا يسمن ولا يغنى من جوع .

أعود الى الحديث الذي تم بين ثلاثتنا والذي تشعب كثيراً ليشمل مبدأ الايمان الشامل في الاسلام والذي يميزه كدين عن كل المعتقدات انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ﴾ وموقف القرآن الكريم من (عيسى عليه السلام) و (مريم ابنة عمران التي احصنت فرجها) .

وتداعت الى دائرة الاهتمام مواقف اتباع الكنيسة على تنوعهم واختلافهم من خاتم الانبياء والرسل (محمد بن عبد الله ﷺ) وكان ذاك من قبيل المقارنة بين المواقف .

ودونما ترتيب أو توجيه عرجت السيدة / زيجريد على الحركة الصهيونية العالمية وتأثيرها الملحوظ في أوروبا عامة وفي اسبانيا بشكل خاص . . وسأقت امثلة مختلفة تصب جميعها في سياق واحد هو أن هذه الحركة تتجه وبشكل قوي الى خدمة اهداف وتطلعات تتناقض وأسس الحياة

الانسانية السوية .

ونعت السيدة / زيفريد علينا كعرب ومسلمين كوننا لم نصل بعد الى مستوى التصدي لمخططات وأهداف الصهيونية العالمية ، وكانت بين الحين والآخر تضغط على جملة ترددها بنبرة قوية : انهم اقوياء ولكن الآخرين لايهتمون .

إنهم - تضيف السيدة زيفريد - يتدخلون في كل شيء ، نعم في كل شيء ، وذكرت بتفصيل احدى صور تأثير الحركة الصهيونية في مجالات التعليم على وجه الخصوص .

ونحن في المقابل يبدو أننا لم نتعرف بعد على ما للحركة الثقافية والفكرية من تأثير على المدى الطويل في مختلف بقاع العالم .

فاذا كانت ملامح التخلص من ربة الصهيونية العالمية بدأت تتشكل ، فان التوجه إلى شعوب الارض بلغة حية وبقلوب يغمرها الايمان من شأنه أن يساهم ايجابياً في مساعدة كل من يحاول التخلص من الهيمنة الفكرية الصهيونية العالمية .

السيدة / زيفريد فون ثميل على صلة بحركة تسمى (كريستيان اسلام) ويشار لها اختصاراً باسم (كريسلام) وهذه الحركة نشاط ملحوظ في مجال العمل الفكري والثقافي . . . وسبق لهذه الحركة أن اصدرت بياناً بعنوان (الحاجة الماسة لوضوح في الرؤية) وهو العنوان الذي اخترته لهذه الورقة الاندلسية .

تحدثت الحركة في بيانها عن جملة من القضايا ذات العلاقة بالصراع العربي الصهيوني ، وركزت بالخصوص على مجموعة من النقاط التي تشكل في مجملها قناعة محددة حيال هذه القضية التي هي احدى قضايا العصر بلا ريب .

وإن كنا نختلف مع بعض ماورد في البيان / الوثيقة فاننا ومن باب التأكيد على تنمية الجهود المبذولة في إطار التخلص من الهيمنة الفكرية والضغط بمختلف صوره الذي تمارسه الصهيونية العنصرية ضد الانسانية جمعاء .

إن اختلافنا مع بعض نقاط (الوثيقة) لا يغير من كونها وثيقة إدانة للصهيونية والكيان الذي اصطنعته بتعاون وثيق مع قوى الشر .

الوثيقة تتعامل مع الكيان الصهيوني بشكل لانقبله حتى وإن وجدت المبررات (القانونية) التي تحاول التنبيه اليها . . إضافة الى نقاط اختلاف كثيرة لانتخفى على القارئ الكريم المؤمن بحتمية انتصار العروبة والاسلام ضد كل قوى البغي والطغيان .

والآن دعونا نقرأ النص الكامل :

حركة (كريسلام) ، تمثل تجمعاً من المثقفين والمفكرين ، الذين ينتمون للديانتين الاسلامية والمسيحية ومقرها مدريد ، من بين اهدافها الدفاع عن الانسان ، وعليه ترى من واجبها الاعلان الصريح عن رأيها حول الاحداث التي تشهدها الساحة الفلسطينية ، والذي يتمثل في الملاحظات التالية :

اولاً : (اسرائيل) الدولة الوحيدة في العالم التي لا تملك دستوراً ، فقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في هذا المجال منذ عام 1948 م ، على يد البروفسور (اليو كوهين) ، وعام 1950 م من قبل لجنة من الحقوقيين ينتمون لحزب المابام ، واخرى جرت مؤخراً عام 1987 م ، من قبل فريق من الحقوقيين ينتمون الى جامعة (تل ابيب) .

ثانياً : إن فشل المحاولات الثلاث المذكورة يرجع الى استحالة ايجاد صيغة قانونية لتعريف (الدولة اليهودية) ، نظراً لافتقارها لأي مضمون سوى الصفة الدينية ، أي أن اليهودي هو الذي ينتمي الى الديانة اليهودية . مما يعتبر تناقضاً صارخاً مع المفهوم السياسي (للديمقراطية) التقليدية التي مافشتت اسرائيل تتذرع بها ، بالقول بأنها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تتسم بالديمقراطية .
ثالثاً : تتسم السلطات الاسرائيلية بقدر من الدهاء والحكمة يجعلها تماطل طويلاً قبل الاعلان عن دستور عام ، ينص مبدئياً ، ويجسد نظرياً الواقع العملي السائد في اسرائيل والذي يشهد بأن هذه الدولة هي دولة الشعب اليهودي بناء على الحق (الالهي) الذي يدعي اليهود بموجبه بالسيادة على فلسطين .

رابعاً : من الواضح عدم وجود أي مبدأ آخر يمكن الاعتماد عليه لتبرير وجود اسرائيل الشرعي ، باستثناء المعتقدات اليهودية .

خامساً : لكي تقنع اسرائيل العالم بمبدأ لا يرتكز على القانون والذي يضيفي صفة قومية على دين اليهود ، راحت تبذل الجهود المضللة خلال سنوات طويلة ، بغرض إثبات العلاقة بين الدين والقومية ، كعلاقة تجانس (وهذا لا ينطبق طبعاً إلا على الديانة اليهودية) .

سادساً : استطاعت الدعاية الصهيونية من خلال التكرار الممل زرع هذه الفكرة في ضمير الرأي العام العالمي ، الى أن باتت مقبولة ، حتى من قبل انصار الافكار الانسانية ، حيث اقتنعوا بحق اليهود بالعيش في وطن خاص بهم ، وهذا ما وافقت عليه الامم المتحدة بقرار تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية ، بدون أن تأخذ بالاعتبار أن ذلك يعني الاعتراف بالدين كهوية قومية .

سابعاً : من المتعارف عليه في العالم حتى الآن هو- صيغة الدولة القائمة على أمة - تضم في صفوفها كل المعتقدات الدينية . وإذا ما أخذ بمشروع الدولة الصهيونية ، فإن ذلك يمثل سابقة خطيرة وجديدة . تمكن من إقامة دولة على اساس ديني فقط ، يمكن ان تضم كل القوميات التي تعتنق هذا الدين . حيث ان كل من يعتنق الديانة اليهودية هو مواطن في اسرائيل ، بإمكانه الاحتفاظ بجنسيته السابقة .

ثامناً : نحن لانطعن بحرية العبادات اليهودية في أي مكان يعيشون فيه ، اسوة بغيرهم من المسلمين أو المسيحيين أو البوذيين أو أية ديانة اخرى . ولكننا واثقون من أنه لو تجرأ المسلمون أو المسيحيون أو غيرهم باقامة دولة خاصة بهم ، لاستقبل هذا بالازدراء والاحتقار من طرف العالم .
تاسعاً : لقد تمكنت الدعاية الصهيونية من تشويه سمعة أي شخص يتجرأ على كشف حقيقتها . من خلال إتهامه بالحال بأنه نازي ، ومن انصار محاكم التفتيش ، ومن انصار اللاسامية وعليه فان كل ما يصدر عنه لاقيمة له ، ولا مجال لاعتارته أي اهتمام .

عاشراً : لايسعنا إلا ان نوجه دعوة ملحة وعاجلة الى العالم بأسره ، لشد انتباهه الى المخاطر التي تترتب على الرضوخ للضغوطات ، التي تمارسها الايدلوجية الصهيونية ، في كافة أوجه الحياة اليومية ، بصفتها ايدلوجية توسعية تتحكم بالاغلبية الساحقة من البشر ، وتسير عواطفهم ، وتغير القيم الخلقية ، وتجبر الجميع للانصياع التام لما تمليه عليهم ، وفي هذا المجال لايسعنا إلا ان ندعو لنظرة تأمل لمراعاة مايلي :

1 - بأن الصهيونية تمكنت من اقناع اتباع الديانات السماوية الاخرى وبشكل خاص المسيحية ، بعدالة مطلبها باقامة دولة لمعتنقي الديانة اليهودية ، في فلسطين ، بناء على الادعاء بحق إلهي ، أو وعود ربانية ، أو حق تاريخي . إلى ان بات الجميع ، يتقبلون بدون نقاش ، مبدأ بعيداً عن أية منطقية يقول « بأن إلهنا عنصرياً يشرع اقتراف الجرائم بحق شعب آخر » وهو في هذه الحالة الشعب الفلسطيني .

2 - تمكنت الصهيونية من إقناع اولئك الذين لا يؤمنون بالدين (الذين يعتمدون على التحليلات العلمية للاحداث) ، بأن الاعمال الاجرامية التي اقترفتها النازية ضد اليهود تكفي لوحدها كذريعة وحجة ، لاقامة دولة يهودية يعيش فيها حتى اولئك اليهود الذين لا يؤمنون بدينهم ، وبات من المقبول الآن ، بدون مناقشة ، أن تستغل الدولة اليهودية (حقها بالوجود) لتحول الشعب

الفلسطيني الى غرباء داخل بلادهم بدون ادنى الحقوق المدنية . . لقد تمكنت اسرائيل من اضافة صفة الشرعية على نفسها على الخريطة فقط ، لأن الشرعية امام القانون الدولي تتطلب توضيحاً مسبقاً لهوية هذه الدولة لكنها تعتبر الفلسطينيين بمثابة اراييين لأنهم يدافعون عن حقهم المقدس باقامة دولتهم المستقلة ، وجعلتهم عرضة وهدفا دائما لكل اعمال القمع والتعذيب والتشرد والسطو على اراضيهم وممتلكاتهم .

3 - لقد تمكنت الصهيونية من إقناع اليهود ، بأن الوضع الجنوني الذي يعيشونه الآن هو صلب العقلانية ، واوهمتهم بأنهم شعب ، يعيش بانتظار (النبي) ، وبناء على ذلك فلهم الحق بالمطالبة بأرض اجدادهم ، لكي لايبقى ضحية لكل الاحقاد التي تكنها لهم بقية شعوب الكرة الارضية . فقد بات اليهود يقبلون بدون نقاش بأن الاله قد يكون كما تصوره الصهيونية .

مايحدونا نحن المثقفين المسلمين والمسيحيين للتذكاري بهذه البدييات ، هو حقيقة أن العالم بات يتجاهلها بالكامل وخير دليل على ذلك بأنه لم يمارس الضغوطات الكافية على اسرائيل لتكف عن اعمالها الوحشية ضد الفلسطينيين ، مما يبرهن على مدى خضوع الانسان للخداع والتزييف ، وهذا يمثل الطامة الكبرى التي تهدد بجعله فريسة سهلة ولقمة سائغة ، تفتقر الى التحليل المنطقي المجرد . ويتقبل الدعاية والرضوخ للواقع بدون معارضة ونقاش .

واخيراً :

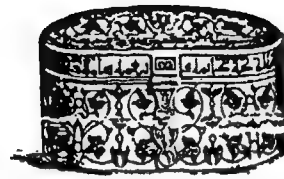
إن صحوة عالمية بدأت تتضح في مواجهة التحريف والتزوير الذي تحاول القوى الصهيونية جعله حقيقة رغم كل مظاهر الخطأ .

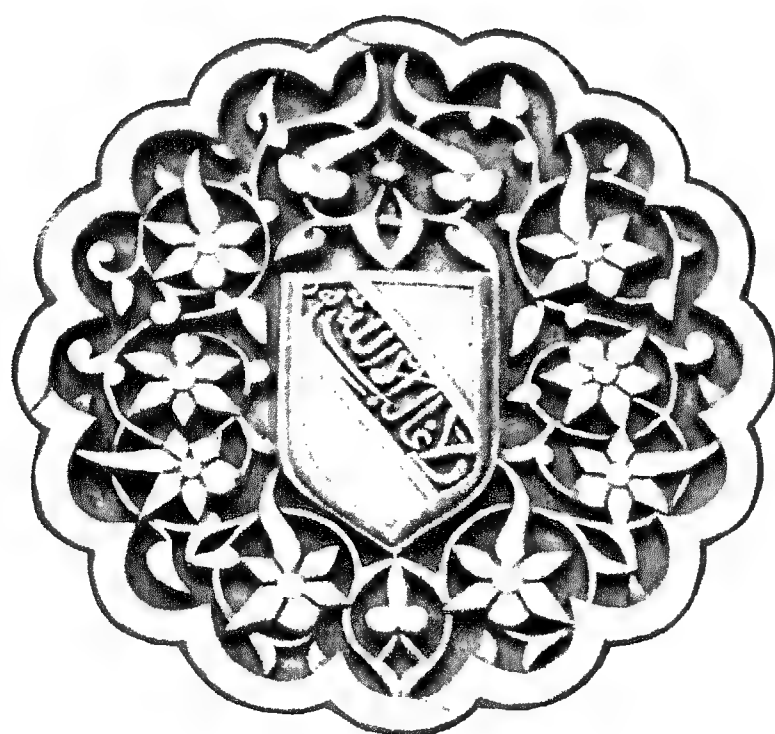
والصحوة العالمية لم تأت مصادفة . . . إنها وليدة الشعور بالذنب تجاه شعب شرد من أرضه وتكالت عليه قوى لا ترحم ضعيفاً ولا تقبل قوياً في الحق .

وإذا كانت اسباب العداء المتنامي ضد الصهيونية في عدد من بلدان العالم تتركز في اساسها على العداء الانساني الطبيعي ضد كل ماهو شر وفساد فان ثورة ابناء فلسطين منذ سنة 1987 استطاعت أن تنقل الانسان في أوروبا نقلة واضحة نحو فهم وادراك حقائق وثوابت الاشياء . لقد وزعت هذه الوثيقة في بداية العام 1988 الذي شهد تطوراً ملحوظاً وملموساً في مواجهة الآلة الحربية الصهيونية العنصرية . . . وبدأ العالم يستيقظ من سبات فرض عليه .

فهل نحن على استعداد لايضاح الرؤية بشكل لاينقص من قيمة حضارتنا ولا يكون على حساب مقوماتنا الشخصية ولا على حساب ثورة الحجارة المباركة والصدمة التي اعادت للانسانية رشدها ؟!

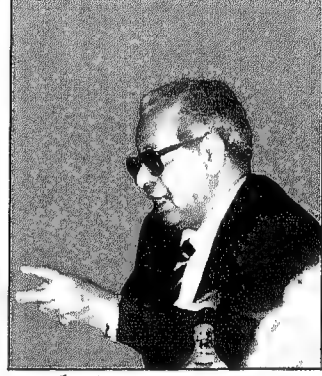
هل نحن على استعداد لكل ذلك أو لبعضه على الاقل ؟!





القسم الثالث

أبحار عبر تاريخ الأندلس



د . محمود على مكى .

الدكتور محمود على مكى استاذ الادب الاندلسى والمغربى ورئيس قسم اللغة الاسبانية في كلية الاداب بجامعة القاهرة .

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

قام بتحقيق كثير من المخطوطات الاندلسية من بينها : ديوان ابن دراج القسطلّى . نشر كتاب « نظم الجمان » لابن القطان المراكشى حول تاريخ الاندلس والمغرب في عصر المرابطين وأوائل عصر الموحدين .

نشر قطعة من تاريخ « ابن حيان » : المقتبس حول التاريخ المبكر للاندلس .

له عدة مؤلفات باللغة الاسبانية حول نفس هذه الموضوعات . امتد نشاطه الى الأدب الاسبانى حيث ترجم عددا من الاثار الادبية الاسبانية ، ثم امتد نشاطه الى آداب امريكا اللاتينية حيث ترجم عددا من الاثار الادبية .

يهتم بالثقافة المقارنة خاصة فيما يتعلق بالتأثير العربى الاسلامى في كثير من مظاهر الحضارة الاوربية خاصة في اسبانيا ، يستعد حاليا لاصدار كتاب عن التأثير العربى في ظهور أول بواكير الشعر الغنائى في أوربا وهو شعر « التروبادور » .

لهذه الاسباب ولأسباب أخرى لمستها حين الحوار معه حول عدد من القضايا التاريخية القديمة والمعاصرة رأيت ان القضايا التى يمكن ان يشملها الحديث عديدة ومتنوعة وشائكة .

لتكن البداية من خلال الموقف حيال الاحتفالات سنة 1992 م .

د . محمود على مكى : اشتراك البلاد العربية والاسلامية في احتفالات 1992 م .

كان مثار جدل ، وقد شاركت فيه وقلت رأى بصراحة وهو انه ينبغى علينا ان نشارك لاعلى اساس ان ذلك بمناسبة سقوط غرناطة في ايدي المسيحيين وانما على أساس أن عام 1492 م كان نهاية حقبة تاريخية وبداية مرحلة أخرى .

اننا في الوطن العربي في كثير من الاحيان ندير ظهورنا للاشياء ، وهذا ليس في صالحنا لاننا حين نترك هذا الميدان فاننا نتركه للآخرين يعبثون بالتاريخ كما يريدون ويفعلون ما يشاءون ، ولنتذكر أن تاريخ 1492 م اذا كان هو تاريخ سقوط غرناطة في أيدي العاهلين الكاثولكيين فانه أيضا هو التاريخ الذي صدرت فيه أول مراسيم طرد اليهود فاذا نظرنا الى ما يفعله الجانب اليهودي فانه يحاول ان يستغل هذه المناسبة لكي يرسخ هذه الفكرة التي يدعون اليها الان وهي ان اسبانيا وحضارة اسبانيا في العصور الوسطى لاتعود الى المسلمين بقدر ما تعود الى اليهود ، ان انعزلنا عن الاحداث وترك الميدان لغيرنا من الامور التي تلحق بنا الضرر ، علينا ان نثبت دائما في المواجهة ، وعلينا أن نثبت ما قدمه الاسلام والعرب لاسبانيا ، وأعتقد ان الارضية مهياة والظروف مواتية لنا تماما لان لنا قاعدة قوية بين ابناء الشعب الاسباني الذي يرحب بذلك ترحيبا كبيرا ، لا اعنى فقط الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام وانما اعنى الاسبان بصفة عامة .

هناك فكرة عامة تسود كثيرا من المثقفين في اسبانيا وهي الاعتراف بفضل العرب والاسلام . ان عدم مشاركتنا في احتفالات 1992 م ليس الا عملا سلبيا ولقد اعلن الاسبان أنفسهم ان الاحتفالات ليست موجهة ضد العرب .

اننى لا افهم أبدا سببا واحدا لعدم اشتراكنا كعرب ، ان كانت بعض الآراء تقول بأن ذلك يمثل ذكرى حزينة بالنسبة لنا فاننى اقول : لتكن ذكرى حزينة ، ولكن علينا ان نثبت ان الاسلام بعد ان قضى ثمانية قرون في اسبانيا ثم بعد ذلك بعدة قرون اخرى استمر فيها الاسلام في صورة المورسكيين والمدجنين حتى القرن السابع عشر علينا ان نثبت انه بعد ذلك كله لم ينقطع التاريخ الاسلامي في اسبانيا .

لكل ذلك فاننى ضد مقاطعة هذه الاحتفالات وقد كتبت عن ذلك وقلت بأن الدعوة التي اعلنها البعض وقالوا انه ينبغي علينا كعرب عدم الاشتراك هي دعوة خاطئة تماما لان معناها اننا ننسحب من الميدان لكي يصول ويجول فيه الآخرون واعدائونا بصفة خاصة . قلت :-

ذكرتم ان عددا من المثقفين الاسبان المعاصرين يعترفون بفضل العروبة والاسلام : هل هذا تقييم للمرحلة الحالية للتوجهات الثقافية الاسبانية ؟

د . محمود على مكى : الفكرة التي كانت سائدة حتى اوائل هذا القرن كانت هي الفكرة الموروثة من العصبية القديمة ضد العروبة والاسلام ، ولكن ابتداء من المدرسة الاستشراقية الحديثة

التي بدأها « كوديرا » ثم استمرت من خلال « خوليان رييرا » و « آسين بلاثيوس » تغير ذلك التوجه ، ولاننسى ان هناك توجهها أو اتجاهها آخر في الاستشراق الاسباني هو الذي يهتم بقضايانا الحديثة والمعاصرة ، هذا التيار يتزعمه الاستاذ « بيدرو مونتاث » وفي اسبانيا الان عدد كبير جدا من الشباب المقتنع تماما بهذه القضية ، والذي يعمل على اعادة النظر في تاريخ اسبانيا وعلى ان يكون الاعتراف اعترافا حقيقيا بدور العروبة والاسلام ، وعلى انه لا يمكن فهم تاريخ اسبانيا الحديث أو فهم كثير من منجزات هذه التاريخ الا حينما يوضع في الحسبان تلك الخلفية العربية الاسلامية الاسبانية .

من أجل هذا أؤكد على ان الارض مهيأة والجو العام موات تماما بسبب وجود عدد من الاعماليات ، والذي لم يكن يقال منذ سنين أصبح يقال من قبل عدد من الباحثين بصراحة مطلقة ، واذكر على سبيل المثال كتابات « خوان كوتى سولو » وغيره كثير جدا من الباحثين والمفكرين الاسبان الذين يؤيدون قضايانا سواء في القديم أو في الحديث . هذه قاعدة ينبغي ان نستغلها وان تكون منطلقا لنا لكى نوثق العلاقات بهذه المجموعات الكبيرة فضلا عن مجموعات من الاسبانيين الذين اعتنقوا الاسلام . قلت :-

نغادر قليلا عصرنا الحاضر ونعود بالذاكرة الى الوراء ولنضع أمامنا كلمة « الاندلس » باتساعها الجغرافي رغم عدم الاتفاق حول أصل التسمية ، حينها سنرى ان التسمية لم تعد تشمل شبه جزيرة ايبيرية بل غدت تطلق فقط على الجزء الجنوبي من اسبانيا ، وعميد بلدية تيرويل قال لى : اننا ننتمى الى الاندلس .

د . محمود على مكى : هذا الوضع من الناحية التاريخية له ما يفسره ، نحن نعرف ان الوجود الاسلامي استمر في المنطقة الجنوبية اكثر مما استمر في الشرق او الشمال أو الغرب ، وهذا هو السبب في ان لفظة « الاندلس » التي اطلقها العرب المسلمون على كل شبه جزيرة ايبيرية بل التي كانت تتجاوز ذلك الى ما وراء جبال البرانس في وقت من الاوقات قد أصبحت تطلق الان على المقاطعات الشمانى الجنوبية .

ولكن من غير شك فان الاثر الاسلامي العربي واضح تماما لا في هذه المناطق الجنوبية فحسب وانما موجود ايضا في شرق الاندلس ويمتد الى طرطوشة والى جزء من قطالونية من منطقة « برشلونة » ويمتد بعد ذلك الى كل الثغر الاعلى والى جبال البرانس ، وفي الغرب يمتد الى ان يشمل كل دولة

البرتغال الحالية ، كل هذه المناطق تنتمي الى الاندلس ، وما سقتموه على لسان عميد بلدية تيرويل يتفق تماما مع الحقائق التاريخية .

علينا ان نعيد للاندلس معناها القديم وهى انها لاتعنى فقط المناطق الجنوبية وانما تشمل بالإضافة الى ذلك شبه جزيرة ايبيرية تقريبا .

حتى المناطق المتبقية وجد فيها من سموا بالمستعربين ، ومن هم المستعربون ؟ هم المسيحيون الذين احتفظوا بعقيدتهم وتأثروا بالاضاع الحضارية الاسلامية والعربية ولذلك فاننا نجد طرزا من العمارة على سبيل المثال وعددا كبيرا من الكلمات الاسبانية في الشمال من اصول عربية . كيف يفسر ذلك ؟ يفسر عن طريق هؤلاء المستعربين الذين رأوا في الاندلس حضارة أسمى وارقى بكثير من حضارتهم ، نجدهم يتخذون أوضاع العرب والمسلمين في كل شىء حتى انهم عرفوا تاريخيا بالمستعربين وباللغة الاسبانية « موثارابس Mozarabes » .

قلت :-

تحدث كتب التاريخ في اشارات غير واضحة بصورة كافية عن محاكم التفتيش التى شملت المسلمين ، وكانت تتناقض تماما مع ما تم ابرامه من عقود ومواثيق بين المسلمين والكاثوليك . محاكم التفتيش مسئولة فيما أظن على ضياع كثير من الكتب وكثير من المعالم والاثار الاسلامية ، ونما الى علمى مؤخرا ان ثمة دراسات يحاول من خلالها اصحابها استجلاء حقيقة الاوضاع في تلك المرحلة .

د . محمود على مكى : من غير شك ، هناك دراسات قد بدأت ، وهناك باحثون يعملون في هذا الميدان .

محاكم التفتيش التى ذكرت انها كانت في الغالب موجهة ضد المسلمين انا اقول انها انشئت بالذات ضد المسلمين ثم امتد نشاطها بعد ذلك لبعض اليهود الذين كانوا اقلية ضئيلة جدا لاتمثل خطرا حقيقيا على اسبانيا ، وامتدت محاكم التفتيش بعد ذلك الى المسيحيين البروتستانت لان الكنيسة الكاثوليكية هى التى كانت ترعى محاكم التفتيش وهى التى انشئت في ظلها هذه المحاكم . اننى اقول ان نشاط محاكم التفتيش كان موجهها في المقام الاول ضد المسلمين ، ولقد افسدت هذه المحاكم - كما قلت في حديثك - وشوهت كثيرا من المعالم الاسلامية سواء فيما يتعلق بالاثار المادية أو الكتب أو غير ذلك حتى ان الكاردينال « ثيئروس » قام بأكبر محرقة للكتب في « غرناطة » احرق فيها آلاف بل عشرات الالاف من الكتب في ميدان غرناطة بعد الاستيلاء عليها .

ولكن هناك اتجاه جديد بين الباحثين الاسبان يدعو الى تأمل هذه الحضارة العربية الاسلامية الى تقويمها من جديد ، هذا الاتجاه أفرز لنا عددا كبيرا من الباحثين يعمل الان في الكشف عن الفظائع التي قامت بها محاكم التفتيش ، وأود هنا ان اشير الى ان هناك عددا كبيرا من الباحثين يهتمون بهذا الموضوع ، ومع الأسف في الوطن العربي لانزال نجهل هذا الموضوع . السبب يعود بطبيعة الحال الى ان وثائق « الموريسكيين » - اى المسلمين الذين كانوا موضعاً لتعقب محاكم التفتيش - كُتبت باللغة الاسبانية بحروف عربية ولهذا فان العمل في هذه الوثائق يقتضى معرفة جيدة وعميقة باللغة الاسبانية . وأعتقد اننا لو انتجنا جيلا جديدا يتقن اللغة الاسبانية فانه يستطيع ان يشارك في هذا الميدان .

ومن بين الباحثين الاسبان المهتمين بهذه القضايا اذكر « خوليو كاروباروخا » الذى اصدر في السبعينات كتابا عن الموريسكيين في غرناطة اعتمد فيه على كثير من الوثائق التى ذكرتها والتى تبين فظاعة الجرائم التى قامت بها محاكم التفتيش والتى كشف فيها كثيرا من تلك المحاكمات التى تعرض لها المسلمون ، والقى « خوليو » بذلك ضوءا كاشفا على أوضاع أولئك الموريسكيين . نحن مازلنا في البداية ، وفي دور الوثائق الاسبانية عدد كبير جدا من تلك الوثائق ، واشير بصفة خاصة الى دير « السيمينكس » الذى يحوى الافا من المخطوطات والوثائق التى لم تنشر حتى الان ونأمل ان تكون موضعا للدراسة من قبل الباحثين الذين يتوفرون على تلك الوثائق وحاليا هناك من يعمل في هذا الاتجاه ومن بينهم الاستاذ « ميدريكو فورنستى » والاستاذ « البدوغوليز فوينتيه » وغيرهما من الباحثين الاسبان . قلت -

التوجه الاوروبى نحو العالم الجديد ، وبالتحديد التوجه الاسبانى البرتغالى الى ماوراء المحيط وما ارتكب في حق مسلمي الاندلس وشمال افريقيا يبدو أنه في احد مساراته استمرار للحروب الصليبية في الشرق وفي مسار آخر كان بهدف نشر الكاثوليكية ، اى أن التوسع الكاثوليكي واستتصال شأفة المسلمين في الاندلس ثم التوسع في بقاع اخرى من العالم يبدو في مجمله كتمويض عما كان يحدث في الشرق ، الا أن البعض لا يميل الى هذا الراى .

د . محمود على مكى : أعتقد ان الكشف عن العالم الجديد والامتداد الاسبانى والبرتغالى ليس فقط في العالم الجديد وانما في افريقيا وآسيا انما كان الهدف الاول منه وهو الهدف غير الظاهر هو

الناحية الاقتصادية ، ولكن تزامن بالطبع مع الناحية الاقتصادية الاستمرار في الحروب الصليبية ، ذلك لان اسبانيا خلال العصور الوسطى وحينما كانت الحروب الصليبية على اشدها لم تشارك في تلك الحروب لانها كانت مشغولة بهؤلاء المسلمين الذين كانوا في الداخل « في الاندلس » ، واذكر ان احد الباباوات أصدر مرسوما اعفى بموجبه الاسبانيين المسيحيين من الاشتراك في الحروب الصليبية ، وعليهم أولا ان يحاربوا المسلمين في داخل الاندلس .
أظن ان هذا هو الوضع الصحيح لهذا الامر .

قلت :-

يبدو أن مساحة الاهتمام بالاندلس لاتزال محدودة على الرغم من أنها أصبحت قضية حيوية تتعلق بتصحيح بعض جوانب التاريخ ، وتتعلق بإزالة كثير من الشوائب التي علقبت بتاريخ الاندلس خاصة فيما يتعلق بالعروبة والاسلام . . الاهتمام لايزال محدودا بشكل عام .

د . محمود على مكى :

هناك عدد من العلماء والمتخصصين والباحثين في سائر انحاء الوطن العربى يهتمون بهذه القضايا ولكنى لاحظ - وهذا نقد ذاتى لانفسنا - ان هذا الاهتمام مازال مقصورا على اقلية من الباحثين .

ان هذه الموضوعات تفرض علينا ان نشارك في ايضاحها بكل قوة لاننا نعرف ان الماضى هو ذاكرة التاريخ واننا لانستطيع ان نقيم بناء صالحا في حاضرتنا وفي مستقبلنا الا اذا احسنا معرفة ماضينا ، ولذا فانا ادعو الى مزيد من الاهتمام من قبل العلماء والباحثين بهذه القضايا لاعلى اساس من المفاخرة والمنافرة غير القائمة على اسس علمية .

قلت :-

ولا على اساس البكاء على الاطلال .

قال :

نعم ، كل ذلك لايقدم ولا يؤخر ، علينا أن ننظر الى كل هذه القضايا بناء على دراسة علمية فاحصة حقيقية .

قلت :-

أخيرا ، هل هناك قضية معينة تود طرحها لم يتناولها هذا الحوار وترى انها مهمة ؟
د . محمود على مكى : اننا ونحن ندرس الدور الذى قام به العرب المسلمون عبر التاريخ

علينا ان لا نقتصر على الادب والثقافة ، هناك ميادين اخرى بطبيعة الحال لست انا الحجة في التحدث عنها : الطب والجراحة والهندسة والكيمياء والفنون ، كل المسارات ينبغي ان تكون جميعها على بساط البحث .

هذا الحديث لم يكن الا في اطار أوراق اندلسية تتسع احيانا لتصبح بمساحة الاندلس تاريخا وحضارة ، وتضييق تارة كما هي المساحة بين حرفين كوفيين في جدار اندلسي .



الانسيلاخ الحضارة



الاستاذ : عبد الكريم غلاب

الحديث عن الاندلس ، ليس مملا حينما يرتبط الماضي بالحاضر ، ولأئنى أبحث من خلال هذه الاوراق الاندلسية عن معلومة وتحليل فائنى لم أترك « الانبهار » بالماضى يحاصرنى ومن ثم يحاصر ما أحاول وضعه بين يدى القارىء الكريم ، صحيح أننى لا أملك القدرة على التخلص وبشكل نهائى من ماضى الاندلس ، وصحيح أن كل باحث وكاتب وأديب لا يملك إلا أن يترك الاندلس تحتل كامل مساحة اهتمامه ولو لبضع ساعات ، الا اننى وأنا أمنى النفس بأن أوفق فقط في وضع معلومة أو ايضاح أو رأى وجدت أن من الصعب ان لم يكن من المستحيل فصل الامور بشكل قسرى .

الاندلس قديما لا يمكن أن ينساه من يتحدث عن اسبانيا اليوم . والحديث عن الاندلس القديم لا يمكن الا ان يمر بأهم قضايا عصرنا الحاضر : العروبة والاسلام .

والحديث عن الاندلس قديما وحديثا في أى اطار يختاره المرء لا بد وأن يقودنا جميعا - شئنا أم لم نشأ - الى قضايا تتشابك وتتداخل مثلما تتشابك وتتداخل نقوش الحمراء وقصور اشبيلية .

كل ذلك يحدث حينما يكتب المرء عن الاندلس ، وقطعا سيحدث ما هو اكثر من ذلك حينما يجاور المرء طرفا آخر ويكون موضوع الحوار هو : الاندلس .

اننى هنا لا ازعم اننى اقدم جديدا وان كنت في الحقيقة اتمنى ذلك ، لكننى - وهذا يكفى في الغالب الاعم - ازعم اننى أقدم ورقات يتحدث من خلالها من في امكانهم ان يضيفوا جديدا أو يصلحوا خطأ أو يوضحوا غامضا .

وضيف « الاوراق الاندلسية » في هذا الحوار هو الاستاذ : عبدالكريم غلاب .

ولا أعتقد اننى سأنصف الرجل فقط حينما اتبع اسمه بسلسلة من التعريفات العلمية والادبية والتاريخية والصحفية .

أعتقد - جازما - اننى أنصفه حينما اقول : الاستاذ عبدالكريم غلاب من المغرب .

كان حوارا قال عنه انه حوار مفيد ، ورغم يقينى بأن ما قاله كاف بحد ذاته لنشر هذا الحوار

الا اننى أتمنى أن يجد كل قارئ هذه الاوراق شيئا مفيدا ، لا اقول ذلك من قبيل الانتقاص مما أدلى به ضيفنا ، وانما أقوله من حيث استطاعى طرح اسئلة ذات قيمة وفائدة .
وكالعادة دائما ، لم أكن أحمل ورقة بها اسئلة محددة وانما حملت « الاندلس » في الذاكرة وبدأت .

قلت :-

الى حد الآن ليس ثمة اتفاق حول اصل كلمة « الاندلس » البعض يرى انها مشتقة من « الوندال » وآخرون يذهبون الى انها مشتقة من اسم جزيرة « اطلانطيكوس » المفقودة ، لكنها - اعنى كلمة الاندلس - رغم هذا الاختلاف تحمل اشارات محبة الى النفس سواء بالنسبة للعرب أو الاسبانيين ، الآن نرى ان التسمية تطلق فقط على الجزء الجنوبى من اسبانيا وهى تاريخيا شملت تقريبا شبه الجزيرة الايبيرية .

عبدالكريم غلاب :

اسم « الاندلس » اخذ معنى حضاريا وثقافيا وتاريخيا اكثر من كونه يرتبط بمعنى لغوى ، ولذلك فان البحث عن اسباب التسمية لا يهمنى كثيرا في هذا الموضوع ، الذى يهمنى هو ما تعطيه الكلمة من دلالات حضارية وتاريخية وانسانية وثقافية .

من هذا المنطلق نرى ان كلمة « الاندلس » يمكن ان تطلق على الاقسام العامة التى عاش فيها المسلمون وبنوا فيها حضاراتهم وكذلك الاقسام التى استلمها فيما بعد اسبان الشمال بالطرق التى نعرفها ، وهى طرق لا تخلو من عنف ومن محن تجرعها المسلمون والعرب عموما في المراحل المختلفة . . . لذلك فانا لا اجيز مطلقا لنفسى أن أطلق كلمة « الاندلس » على القسم الجنوبى فقط من شبه جزيرة ايبيريا وانما تشمل في العرف الحضارى فيما اعتقد القسم الشرقى كذلك كمنطقة « اراغون » وكذلك « البرتغال » التى عاش فيها المسلمون وتركوا فيها آثارا حضارية* .

غير ان بعض الاسبانيين من الجنوبيين يهتمون الآن باطلاق اسم « الاندلس » على الجزء الجنوبى ، ويعتزون بانتهاهم الى هذا القسم حتى ان بعضهم يقول بأنهم ليسوا اسبانين ولكنهم اندلسيون .

المهم عندنا ان كلمة « الاندلس » بمعناها الحضارى والثقافى يجب ان تشمل جميع المناطق التى عاش فيها العرب والمسلمون وبنوا فيها حضارتهم سواء في جنوب شبه الجزيرة أو في شمالها الشرقى أو في غربها مما تشمله الآن دولة « البرتغال » .

قلت :-

في بعض المراحل التاريخية وصف الوجود العربي الاسلامي في اسبانيا بأنه وجود استعماري .
وقدم العرب من قبل بعض المستشرقين في صورة الغزاة ونحن نعلم ان عدة قبائل اجتاحت اسبانيا
من الشمال كالوندال والقوط ، وقبلهم الرومان الا ان تلك القبائل لم توصف بالغزو .
عبدالكريم غلاب :

الواقع ان فكرة وصف العرب بالغزاة آتية من منطلق نصراني صليبي .

قلت : ومتعصب .

قال : بالتأكيد ، لائنا حينما نقول « الصليبي » فانها تعنى : التعصب ، لان فكرة الصليبية
او كلمة « الصليبية » لم تعد تعطى فقط معنى « الصليب » وانما أصبحت تعطى المدلول الحضاري
والتاريخي .

وصف المسلمين والعرب بأنهم غزاة هو وصف صليبي اكثر منه أى شىء آخر .
والواقع ان المسلمين والعرب لم يكونوا غزاة بالمعنى الذى نعرفه للغزو ، ولكنهم كانوا
« انسياحا حضاريا » والحضارات دائما « تنساح » سواء بأفكارها أو بلغتها أو بثقافتها أو بدينها
كذلك .

الذى نعرفه ان العرب لم يستعملوا العنف الذى استعمله الصليبيون عند استرداد
(الاندلس) ، بل ان العرب كانوا مبشرين . صحيح انه في بعض الفترات كان هناك بعض العنف
لكن ذلك من ضمن الظواهر البشرية التي لا تخلو منها أية فترة تاريخية .
لكن الظاهرة العامة هي أن (الانسياح) العربي كان انسياحاً فكرياً يحمل ديناً ويحمل لغة
ويحمل حضارة ويحمل تسامحاً كذلك .

العرب الذين فتحوا شمال افريقيا والذين انطلقوا الى الاندلس وبنوا فيها حضارتهم كانوا
(انسياحاً حضارياً) ، لم يرغبوا احداً على اعتناق هذه الحضارة سواء في جانبها الديني (الاسلام)
أو في جانبها اللغوي والثقافي ، بل كانوا يبشرون ، وكان كثير من المتقبلين من ذوي النفوس المتقبلة
يطمئنون الى هذه الحضارة فاعتنقوا الاسلام ، ومن ثم اتقنوا اللغة العربية ومن ثم كذلك تعاملوا
وتزاجوا واندمجوا مع العرب الذين وفدوا سواء كانوا عرباً أتوا من المشرق أو عرباً أتوا من المغرب .
من هنا نجد ان مجتمعاً جديداً تكون في (الاندلس) شمل العرب والاسبان من مختلف
المناطق ، هناك اسبانيون من الشمال وفدوا الى الجنوب واعتنقوا الاسلام .

هذا المجتمع الجديد هو مجتمع لغوي ، مجتمع ثقافي ، مجتمع حضاري تكوّن لا أقول بمحض الصدفة والارادة ولكن بحكم الانفعال الحضاري الذي لم يكن العنف هو سبيله الاساسي ، قد يكون هناك عنف ، وهذا لا ننكره ولكنه لم يكن هو الظاهرة الاساسية كما نجدها عند عملية غزو الاندلس من الصليبيين من جديد .

قلت : العرب مبشرون ، والامة العربية امة رسالة ودعوة وجهاد في سبيل الرسالة والدعوة ، امة من مهامها الاساسية : التبليغ ، هذا يقودنا الى اثاره قضية قد لا تكون مرتبطة بشكل واضح بسياق هذا الحوار الاندلسي ، لكنها اطلت من خلال استعمالكم لكلمة (الانسياح الحضاري) ومن خلال التسليم بأن العرب مارسوا التبشير واعني بالتحديد ملامح الفصل بين الاسلام والعروبة . هذا الارتباط العضوي بين العروبة والاسلام يتعرض الآن الى التفكيك ، النقطة الاساسية والعمود الفقري (ان صح التشبيه) للثقافة الاسلامية هو القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين والذي لا يقرأ الا باللغة العربية ، هذا الارتباط يتعرض الآن الى محاولات حثيثة للفصل بين جزئيه .

عبد الكريم غلاب :

الحقيقة ان هذا خطأ في التفكير ، واعتقد ان محاولات الفصل بين الاسلام والعروبة - ونحن نتحدث من منطلق ثقافي وفي ميدان ثقافي - تلك المحاولات تسيء الى الثقافة وتسيء الى الفكر بقطع النظر عن ماهو ذلك الفكر . وهي (أي محاولات الفصل) تسيء الى الفكر الاسلامي والى الثقافة العربية .

ان العروبة لم تكتسب معناها الحقيقي والحضاري ومعناها (الانسياحي) الذي تحدثت عنه الا بالاسلام الذي اعطى المدلول الواضح للعروبة .

العروبة كجنس أو كعرق ربما تتعرض لما تتعرض له كل الاجناس التي لم تصمد للتاريخ . فلو ان العرب بقوا عرباً كجنس أو عرق دون ان يحصنهم الاسلام ويسمو بهم الى نطاق حضاري وثقافي وعقدي لانهوا . لأنهم كانوا معرضين - كما هو الحال الآن - لغزوات عديدة ، كانوا معرضين لغزوات من الفرس والروم ، وحديثاً من الفرنسيين والانجليز وغيرهم ، ولذلك فان الاسلام هو الذي حمى العروبة .

كما ان اللغة العربية هي لغة الاسلام وكما تفضلت في حديثك من ان الاسلام في جوهره لا يقرأ الا باللغة العربية ، والقرآن الكريم لا يقرأ ولا يفهم إلا باللغة العربية .

صحيح ان هناك ترجمات (لمعاني القرآن الكريم) ، ولكنها مجرد محاولات تقريبية . وتظل مع ذلك كله اللغة العربية هي الاساس .

ان الارتباط العضوي بين العروبة والاسلام موجود دائماً ، وصحيح ان هناك ظاهرة جيدة وهي ان بعض الشعوب التي لم تكن عربية احتضنت الاسلام وحمته وخدمته بلغاتها المختلفة كالفرس والأتراك والهنود وغيرهم من الشعوب التي استخدمت لغاتها في فهم الاسلام وتقريبه للمفاهيم العامة ، لكن ذلك لم يكن يغنيهم مطلقاً عن اللغة العربية لانهم ما كانوا ليدركوا ما يريدون تبليغه بلغتهم الا عن طريق اللغة العربية ، ولذا نجد ان كثيراً من العجم كما كانوا يُسمَّون من قبل نبغوا كعلماء وكانوا جميعاً يتقنون اللغة العربية . وكثير من علماء اللغة والفلسفة وعلوم القرآن لم يكونوا عرباً ، كانوا يتعلمون اللغة العربية وعن طريقها يتعلمون هذه العلوم وغيرها وينقلونها الى لغاتهم ، ولذلك كانت اللغة العربية هي الاداة الواصلة بين الفكر عموماً في مختلف البلدان التي لم تكن تتكلم العربية وبين الفكر الاسلامي .

قلت : احياناً يقول البعض بأن التاريخ يمدنا بما يستفاد منه ان الحضارات التي تندثر لا يمكنها ان تصحو ثانية ، ويسوقون في هذا الاتجاه جملة من الحضارات التي سادت ثم بادت ولم يكتب أو يقدر لها ان تصحو من جديد ، لكن الامر من وجهة نظري يبدو مختلفاً فيما يتعلق بالحضارة العربية الاسلامية ، لاننا نجد فيها بذرة الاستمرار وهي خصوصية معينة - مع عدم التسليم المطلق بأن الحضارة العربية الاسلامية تلاشت - تلك الخصوصية هي المزاوجة الواضحة بين الجانبين : القومي والديني . . وبين الجانبين : المادي والروحي .

انها حضارة متوازنة لا تنتصر للمادة على حساب الروح ، ولا تنطفئ فيها الروح على المادة ، اضافة الى ما سبق ذكره من ان الامة العربية امة دعوة ورسالة ، بحيث يمكننا ان نقول : مادامت الامة العربية موجودة فان تجدد الحضارة العربية الاسلامية امر ممكن وربما محقق . من هنا أرى ان ما يحاول البعض وصفه بالمقاييس التاريخية ليس قطعياً فيما يتعلق بهذه القضية .
اننا قلنا نجد ان هناك حضارة استطاعت ان تحافظ على هذا التوازن ، واكاد اقول جازماً اننا لن نجد شبيهاً لذلك .

عبد الكريم غلاب :

نعم هذا صحيح تماماً ، ذلك لان سر بقاء الحضارة العربية - ولوانها ضعفت في بعض الفترات التاريخية خاصة في العصر الحاضر - ان سر بقائها وسر قدرتها على استعادة مجدها المستقبلي يكمن في

انها قابلة للتطور وقابلة لان تكون حضارة متفهمة ، لانها مثلما نشرت الاسلام نقلت ونشرت العلوم المتعددة : العقلية والعملية .

الاسلام ليس دين فلسفة وطب انه دين وعى وارشاد وتوجيه وهداية .
اذن سربقاء اللغة العربية ومن ثم الحضارة العربية انها زاوجت بين مفهوم الاسلام وبين المفاهيم العصرية التي عاشتها دائما وفي مختلف مراحل التاريخ .
قلت : الاسلام من حيث المخاطبة هو للبشرية جمعاء ، ومن حيث الاعتقاد هو كذلك للبشرية جمعاء ، لكنه من حيث الدعوة ومن حيث كونه رسالة ينبغي ان تصل الى الناس كافة فانه يدخل من ضمن واجبات الامة العربية ، ومن هنا فان الامة العربية مدعوة لان تمارس هذا الواجب .

عبد الكريم غلاب :

نعم ، هذا من مهام الامة العربية ثم من مهام كل مسلم بحيث لا كهنوتية في الاسلام ، لاوصاية في الاسلام ، لأحد يمكن ان يكون قديسا مثلا او راهبا أو مفتيا أو شيخ الاسلام حتى يبلغ الدين ابدا ، بل وبناء على ما جاء في الاثر ينبغي ان يقوم كل الناس بتبليغ الاسلام .
قلت : عودة الى « الاندلس » وأود هنا ان اشير الى ان ثمة مطبوعات عديدة بدأت تظهر في اسبانيا في اطار الاهتمام والتهيئة للاحتفالات التي ستبلغ الذروة سنة 1992 م . من بين تلك المطبوعات كتاب « سفاراد 92 » . الذي يتحدث عما يسمى « الاثر اليهودي » في اسبانيا ، وهذا الادعاء مقطوع بعدم مصداقيته وصحته تاريخيا من خلال مظاهر الحضارة العربية الاسلامية : لغة وثقافة وعمارة وفنا .

ومع ذلك فان الجانب العربي والاسلامى سيكون امام خيار ين أحلاهما مر كما قال بعض مسلمى الاندلس . يخشى البعض ان ترتبط احتفالات عام 1992 بالذكرى المثوية الخامسة لسقوط « غرناطة » وتسليم ابي عبد الله محمد الصغير مفاتيح الحمراء للكاثوليك الزاحفين من الشمال ، ومن هنا طغت على السطح اشكالية حول المشاركة من عدمها ، اذ ربما توجه الاحتفالات نحو احياء ما من شأنه ان يسيء الى العرب والمسلمين** .

من جهة أخرى هذه مناسبة ربما لن تتكرر بهذا الحجم قبل مرور 500 عام .
الموقف بهذه الصورة لايمكننا من اثاره سؤال محدد . . فقط كل ما يمكن هو استجلاء وجهات النظر .

عبد الكريم غلاب :

أعتقد ان هذه المناسبة تثير شجنا ، وتثير كذلك نقدا ذاتيا : لماذا اخرج المسلمون ؟ ولماذا وصلوا الى هذا الحد الذى طوردوا فيه في كل الاندلس ؟ ولماذا انهارت حضارتهم ؟ لماذا انهارت مقاومتهم للزحف الشمالى الصليبي ؟ كل هذا يثار في هذه المناسبة الا اننى أعتقد انه ينبغى علينا ان نستغل هذه المناسبة لنبنى صرحا من التعاون الحضارى الجديد .

قلت : ومحاولة ترميم جسور الحوار .

عبد الكريم غلاب :

نعم ، ويجب ان نعى تماما ان الماضى بكل تفاصيله لا يمكن ان يعود ولو بقينا نبكى الاندلس طوال حياتنا ، ومن فكر في ذلك فانا لاننكر عليه هذا الصنيع ولا نصادر أحلامه ، ومع ذلك فان الحديث حيال هذا الموضوع يثير شجنا ويدفعنا الى نقد ذاتى ، ولكننا لسنا على ما يبدو في عصر النقد الذاتى أو محاسبة النفس فيما يتعلق باحداث تاريخية معينة مضت عليها خمسمائة سنة . نحن نريد ان ننتهز هذه المناسبة لنفتح صفحة جديدة مع اسبانيا مثلا وهى الدولة الكبيرة التى خرج منها الاسلام وهى آخر معاقل المسلمين في الغرب ، ومع فرنسا التى وصل الاسلام اليها . لنفتح افاق التعاون بين الحضارتين العربية والاوروبية على اسس جديدة . هم يجب ان يلغوا من ذهنهم فكرة الاستعمار وفكرة العنف الصليبي الذى كان سواء في عصره القديم أو الذى تجدد على عهد الاستعمار .

يجب ان نفتح صفحة جديدة اساسها بناء الجسور الحقيقية بين الشعوب ، واساسها كذلك دراسة القدر المشترك بين الحضارتين ، واساسها كذلك التعاون في الميادين العلمية والثقافية . ولان نتعاون بمبادرات مشتركة أفضل من ان يفرض علينا التعاون من جانب واحد وب عقلية واحدة وباستلاب من عقليتنا ومن ارادتنا .

لذلك فان هذه المناسبة « 1992 م » يجب ان تكون مناسبة للتفكير في بناء مستقبل مشترك مع تلك الدول ولا ينبغى ان نتجاهل ان الجغرافيا تتحكم دائما في المصائر . نحن كمغرب وخاصة في غرب الوطن العربى والعالم الاسلامى لا يمكن ان نهرب من ذلك ، التاريخ ذاهب والجغرافيا باقية .

انه لمن الحزى بنا ونحن نفكر في بناء جسر بين افريقيا وأوربا عن طريق المغرب واسبانيا ان نفكر في ان يكون هذا الجسر نفسه جسرا ثقافيا وعلميا وحضاريا .

قلت : قرأت كغيري ما روى عن « عائشة » والددة ابي عبد الله محمد الصغير آخر امراء بني الاحمر في « غرناطة » حين قالت له وهو يغادر قصور الحمراء نهائيا : ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال ، وعلمت حديثا بأن الجملة لم تكن بهذه الصيغة بل كانت حسب رأى البعض كالآتى : لاتبك كالنساء ملكا حافظت عليه كالرجال . وهناك من يعلن بأن الكنيسة الكاثوليكية حرقت هذه الجملة وعملت على بثها بصيغتها التى أصبحت متداولة .
عبد الكريم غلاب :

انا في الحقيقة لا استبعد الرأيين معا ، ولكنه فيما أعتقد ان الجملة « شاعرية وتأثرية » ، والحقيقة انه لم يحافظ على الملك كالرجال لانه تعاون مع الاسبانيين ، الا انه في الوقت نفسه كان رجلا شجاعا محبا لبلده في بعض الفترات . ومع كل ذلك حدث ما نعرفه جميعا ، الذنب ليس ذنب « ابي عبد الله محمد الصغير » وحده ، ولكنه ذنب المحيط الذى كان يعيش فيه . تلك المأساة ليست مأساة ابي عبد الله أو « عائشة » وحدهما ولكنها مأساة اجيال سابقة وذلك حينما تمزقت الاندلس الى دويلات بسبب ملوك الطوائف وأصبح في كل جهة مملكة وامارة الامر الذى وصفه « لسان الدين بن الخطيب » بدقة وبطبيعة الحال انهارت الاندلس .
المهم ان الجملة التى قالتها « عائشة » قد تكون صدرت بهذه الصيغة او تلك ، وهى في كل الاحوال عبارة تأثرية ، وبالفعل ما كان لابي عبد الله محمد ان يبكى ، بل كان عليه ان يكون رجلا يتحمل المأساة .

قلت : الم يصل البحث الى نتيجة ولو مبدئية للسبب الحقيقي الكامن وراء عدم بقاء الاسلام في الاندلس ؟

عبد الكريم غلاب :

الحقيقة انه حتى الآن لايمكن ان نجزم الا بما جزم به التاريخ ، والتاريخ يقول بان الصليبية قامت باعمال شنيعة جدا في مقاومة الاسلام .

كانت تمنع المسلمين او المورسكيين الذين بقوا في الاندلس والمدجنين الذين اختلطوا بالمسيحيين كانت تمنع عليهم التحدث باللغة العربية وتمنعهم من الصلاة .

قلت : رغم اليهود والموائيق .

عبد الكريم غلاب :

نعم ، رغم كل اليهود والموائيق ، وكانت تقتل الرجال والنساء والاطفال ، بل انها كانت

تعرض الابناء على ابائهم مما اضطر البعض الى الصلاة سرا - كما يقول التاريخ - خشية ان يتجسس عليهم ابناؤهم فيبلغون عنهم ، لذلك هناك جيل عاش المحنة ، وجيل رحل الى المغرب العربى عموما ، وجيل آخر بقى يعاني في الداخل حتى انقرض ، الجيل الذى يليه نسى اللغة العربية والاسلام . اما الجيل الثالث فليست له اية علاقة باللغة العربية والاسلام .

الا ان الغريب حقا هو ان بعض الاسبانيين وبعض المثقفين الآن بدأوا يفتخرون بأنهم ابناء ذلك الجيل ، وان اجدادهم ساهموا في هذه الحضارة وانهم - على كل حال - ان لم يستطيعوا اعادة تلك الحضارة فلا اقل من ان يعيشوا على ذكراها .

قلت :- في عام 1987 م خطب ملك اسبانيا معتذرا لليهود ومدينا فترة العاهلين الكاثوليكين « اى فرديناند وايزابيلا » وما قاما به في حق اليهود من طرد كما قال . لكنه لم يشر الى العرب ولا الى الاسبانيين المسلمين الذين طردوا من بلادهم وديارهم . ولك مطلق الحرية في عدم التعليق على هذا .

عبد الكريم غلاب :

أنا لا ارفض شيئا ولكنى ادلى برأى وعلى الآخرين ان يرفضوه اذا ارادوا .
أنا اعتقد ان الموقف ناتج عن الضغط الذى وقع على اسبانيا من « اسرائيل » بل من حليفتها الولايات المتحدة الامريكية ، وحليفة « اسرائيل » لم تطالب ملك اسبانيا بأن يتحدث عن العرب وانما طلبت منه أن يعتذر للاسرائيليين وقد اعتذر .

* القارىء لكتاب « الذخيرة » لابن بسام الشنترينى « ت 542 هـ 1147 م » يلاحظ ان المؤلف جعل الاندلس ثلاثة اقسام : شرق الاندلس « خصص لها مجلدين » ، غرب الاندلس « خصص له مجلدين » ، موسطة الاندلس « خصص لها مجلدين » .

** سقوط غرناطة كان في 1492 / 1 / 2 واكتشاف أمريكا « وهو مناسبة الاحتفالات » كان في 1492 / 10 / 12 م بعد الابحار من بالوس Palos في 1492 / 8 / 2 م



ملامح حضارية متميزة



د . ماريا خيسوس بيجيرا

الدكتورة : ماريا خيسوس بيجيرا « متخصصة في الدراسات العربية والاسلامية » استاذ كرسى في الجامعة المركزية في مدريد باسبانيا ، رئيسة قسم الدراسات العربية والاسلامية بالجامعة المذكورة .

التقيتها وأنا موقن بأن محاورتها ستكون ذات اهمية خاصة ، فهي تجيد اللغة العربية وتتحدثها بطلاقة وحتى لا ادخل في تفاصيل عدة حول اللغة العربية وكيفية اتقانها لها قالت ونحن في طريقنا الى احدى قاعات مركز « الدار البيضاء الثقافي » بمدينة « تيرويل » اللغة العربية لغة بليغة جدا ، وعلى الرغم من اننا لا نتحدثها بطلاقة فاننا كمتخصصين اوربيين نحب هذه اللغة كثيرا ، ولقد تعلمتها في الجامعة المركزية .

والواقع ان اجادة محدثنا للغة العربية تفوق بشكل واضح مستوى عدد من أبناء لغة الضاد ! . ولحرصها على عدم نطق أى اسم بشكل غير دقيق طلبت الى اثناء تسجيل هذا الحوار أن اعيد تسجيل اسم احد الباحثين العرب لانها شعرت بأن نطقها لاسمه قد لا يكون دقيقا . تشعب هذا الحوار كثيرا وكنت في قرارة نفسى أبحث عن البصمات الايجابية للمرأة الاندلسية التى قيل عنها بأنها ساهمت بشكل غريب في انهيار الاندلس من خلال ما تعارف بعض الباحثين على وصفه بالبذخ وحب الامتلاك الذى كانت تغرسه المرأة الاندلسية في نفوس ملوك الطوائف . وللمرة الاولى احتفظ لنفسي ببعض الآراء التى تضمنها هذا الحوار لعدة أسباب من اهمها أن موضوع المرأة الاندلسية سيكون مثار بحث مستقل .

ومن خلال هذا الحوار الذى هو فى بعض اجزائه تكملة لحوار مع الدكتور « محمود على مكى » لمست مدى التقصير أو القصور حيال كم هائل من المخطوطات والوثائق الاندلسية التى لا تزال تنتظر من يوليها اهتماما وعناية ودراسة .

والواقع أن قضية المخطوطات والوثائق والمصادر الاندلسية كانت هى النقطة المشتركة التى

اثارها كل من التقيته من المهتمين والمختصين في تاريخ الاندلس على المستويين العلمى والرسمى .
ومثلما اتفق المهتمون بتاريخ الاندلس على أهمية هذه القضية لابد من الاشارة هنا الى رأى
دقيق قدر لى أن أسمع - وأنا أناقش جملة من النقاط المتعلقة بالاندلس - من أحد الاساتذة من
الجهاهيرية ويتعلق بالتنبيه الى أن جزءا من تاريخ الاندلس سيكون نقطة اهتمام « الصهيونية » بهدف
استغلاله اذا لم يبادر العرب الى اخذ زمام المبادرة !

عودة الى ضيفة هذه « الاوراق الاندلسية » ودعوة مفتوحة للاهتمام والمشاركة والاثراء .
قلت لها :-

الملاحظ أن الاهتمام بتاريخ الاندلس والتاريخ العربى الاسبانى المشترك بات من الامور التى
لا يخططها اى مهتم بمثل هذه القضايا ، وهذا الاتجاه يبدو اكثر اتساعا خلال السنوات الاخيرة
وأصبح يشمل اضافة الى تاريخ الاندلس القديم التاريخ المعاصر .
د . ماريا خيسوس بيغيرا :

فيما يتعلق بدراسة تاريخ الاندلس فان النشاط العلمى في اسبانيا يتركز بشكل واضح في
الجامعات ، وخاصة في جامعة غرناطة وجامعة مدريد الحرة وجامعة مدريد
المركزية ، في كل هذه الجامعات هناك اقسام للدراسات العربية والاسلامية .
ويمكن القول بأنه في اسبانيا الآن ما لا يقل عن 15 استاذاً متخصصين في التاريخ الاسلامى
وخاصة في الاندلس والمغرب العربى .

هذا النشاط اتسع في السنوات الاخيرة لعدة اسباب وأظن أن النصف الاخير من هذا القرن
شهد تبلور وانتشار الثقافة العربية من خلال وسائل النشر ومن خلال القوة المالية العربية ولاننسى
نشاط الطباعة الذى أصبح قويا في الوطن العربى كله ، من هنا أصبح الاوربيون على اطلاع واسع
على المصادر العربية .

وفيما يتعلق باسبانيا فان نشاطنا في هذا الاتجاه أصبح واضحا وملموسا منذ ما يقرب من 15
سنة ويعود ذلك الى ازدياد عدد المتخصصين الشباب ومن الجيل الجديد حيث بدأنا تقريبا في فترة
مقاربة نهتم بهذا الاتجاه من خلال نشر المؤلفات ومن خلال اصدار أربع مجلات ننشر بها جميع ما
نكتبه في هذا الاطار .

وفيما يتعلق بآفاق المستقبل فاننى أرى ضرورة القيام بعمل مشترك يهدف الى تكملة تدوين
تاريخ الاندلس السياسى وكما تعرف فانه لا يوجد في الوقت الحاضر الا كتاب « بروفنسال » عن

تاريخ الاندلس ، وهذا الكتاب انتهى بانتهاء عهد الخلافة في الاندلس « القرن الخامس الهجرى » .

توجد بلاريب بعض الكتب عن تاريخ الاندلس السياسي ولكنها مبثوثة هنا وهناك مما يستدعى العمل على جمعها لتكملة ما لم يكمله « بروفنسال » .
هذا الاتجاه أراه مهما .

ثم علينا اثر ذلك ان نهتم بالتاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للاندلس . . اذن امامنا عمل كبير ومجال بحث واسع .

والحمد لله امامنا مصادر جديدة تكتشف باستمرار ربما في كل سنة يتم العثور على مخطوطات جديدة ومن شأن ذلك ان يساعدنا في مسيرتنا هذه .

ومن خلال المخطوطات التى اكتشفت حديثا خاصة المصادر الفقهية والنوازل والوثائق والفتاوى يمكننا ان نلمس احوال المجتمع الاندلسي بوضوح اكثر .

نحتاج بلا ريب الى تحقيق الكثير من هذه المصادر الجديدة .

قلت : من خلال هذا النشاط ، وهذه المصادر والمخطوطات التى تكتشف تباعا ، ومن خلال دراسة أوجه التاريخ الاجتماعى والثقافى هل يمكن تلمس الوضع العام للمرأة الاندلسية خاصة في مناطق الشمال مثل « اراغون » ؟

د . ماريا بيغيرا :

حسب علمى لاتوجد في المصادر التى اطلعت عليها معلومات كثيرة عن المرأة في الثغر الاعلى « اراغون » ، ولا نستطيع من خلال هذا الوضع تكوين صورة واضحة عن المرأة .

اما بالنسبة لسائر الاندلس فان لدينا معلومات عديدة عن المرأة الاندلسية في المصادر التى أشرت اليها واتذكر من بينها كتاب « المعيار » للونشريسى وهو مصدر متسع ملء بالاشارات والمعلومات عن المرأة الاندلسية . . وهناك أيضا كتاب « نوازل ابن سهل » ونوازل القضاة وفتاوى فقهاء غرناطة .

نحن في البداية نبحت في المجتمع الاندلسى ، ومن ضمن هذا المجتمع « المرأة » .
والى الان فان الدراسات التى انصبت على المرأة كانت فقط من خلال المصادر والمراجع الادبية ، ويبدو أنه من الضرورى الاطلاع على المصادر والمراجع الاخرى حتى نستطيع ان نرسم صورة كاملة عن المرأة الاندلسية .

قلت : المجتمع الاندلسي بما اشتمل عليه من فنون راقية وحضارة تألفت عبر التاريخ ولا تزال محط الانظار ذلك المجتمع لا أعتقد انه كان احادى البناء أعنى لا اظن ان كل ملامح المجتمع الاندلسي كانت فقط من صنع الرجال دون النساء .

د . ماريا بيغيرا :

هذا أمر مؤكد ، وفي هذا الاطار ثمة عدة أسماء اشتهرت في عدد من الفنون ومن بينها الشعر ، وللتدليل على مكانة المرأة الاندلسية يكفي أن نشير الى ان ذكر « الخليفة المستكفي » يكون دائما باعتباره والد « ولادة » ولقد قرأت تاريخ « ابن حيان » ووجدت أنه حينما يتحدث عن « المستكفي » يقول عنه « أبو ولادة » وهذا أمر له معناه ومغزاه ويشير بوضوح الى مكانة المرأة الاندلسية المتميزة

قلت : الاندلس 1992 م . . قضية تشغل بال الكثيرين أود أن اتعرف على ملامح المشاركة العربية في تلك الاحتفالات اعنى ما هو متوقع من العرب حيال ذلك خاصة وان تاريخ الاحتفالات يتوافق مع تاريخ سقوط « غرناطة » . . ولاننسى ان بعض الاراء تتجه الى اعتبار ما حدث سنة 1492 م انتصارا قوميا على المستوى المحلى وعلى مستوى حركة الكشوفات :

د . ماريا بيغيرا :

انا سعيدة جدا لاثارة هذه النقطة ، وأعتقد ان مشاركتكم كمرب هي بالنسبة لعرب الامس وخاصة عرب الاندلس تعنى أنه من الضروري ان تعرضوا على الاوربيين والاسبانيين ذلك التراث الاندلسي وان تبرهنوا على عمق ذلك التراث وان تذكرونا جميعا بملاحمه من خلال المعارض الفنية ومن خلال طبع المخطوطات مثلما نفعل نحن الان في الجامعة وفي المجلس الاعلى للبحوث العلمية حيث قمنا بطبع عدد من المخطوطات والمصادر والمراجع الاندلسية بمناسبة 1992 م .
أعتقد انه من خلال هذه الجهود تستطيعون ان تتحدثوا الى العالم وتقولوا بكل فخر : هذه هي الحضارة الاندلسية من خلال مصادرها .

اظنك توافقنى في ضرورة ان يتحدث العرب الى كل الشعوب من خلال هذه المناسبة .
اننى أطالب دائما بطبع المخطوطات الاندلسية التى تحتاج الى جهد كبير سواء من حيث التحقيق أو الطبع .
سألتها :-

هل هناك تعاون بينكم كمهتمين بالاندلس وبين الباحثين في الوطن العربي ؟

د . ماريا بيغيرا :

نعم التعاون موجود خاصة مع بعض المراكز العلمية العربية المهتمة بالثقافة الاندلسية ، وهناك عدد من الباحثين يؤدون دورا ملموسا في هذا الاطار خاصة في المغرب والجزائر وتونس ومصر وسوريا والعراق .

قلت : الآن تطلق كلمة « الاندلس » على الجزء الجنوبي من اسبانيا بينما نعرف تاريخيا ان اسبانيا بكاملها او بالاحرى شبه الجزيرة الايبيرية عرفت بالاندلس .

د . ماريا بيغيرا :

« الثغر الاعلى » كان من الثغر الاندلسي المتقدم وهو يقع في الشمال .

قلت : لماذا اذن انحصرت التسمية في الجنوب ؟

د . ماريا بيغيرا :

لأنها المنطقة الاخيرة من الاراضى الاندلسية التى بقيت اسلامية تحت سلطة « بنى نصر » في غرناطة والمرية ومالقة علما بأن النصارى اطلقوا اسما جديدة على الاراضى الاخرى .

قلت : هناك من يقول بأن « الاندلس » مشتقة أو محرفة عن « الوندال » .

د . ماريا بيغيرا :

نعم يقال ذلك .

قلت : ويقال غير ذلك كثير ، انتم كباحثين مختصين هل استطعتم التعرف على التسمية ؟

د . ماريا بيغيرا :

النقاش لا يزال قائما حيال هذا الامر ، ويبدو انك مطلع ومتخصص في هذا المجال .

قلت : موضحا لا مقاطعا : اننى مهتم فقط .

استرسلت وهى تبسم : ونظرا لذلك فاننى ربما لن أضيف جديدا ، لكننى اود الإشارة الى تعدد وجهات النظر ، مثلا الاستاذ « بلديه » كتب حول هذا الموضوع مقالين يرجح فيهما وجهة نظر قديمة تذهب الى ان اسم الاندلس لم يأت من « الوندال » هذا مستحيل وانما اشتق كما يقول من كلمة « أطلانطيكوس » اسم الجزيرة المفقودة وكل الاساطير المنسوبة الى « أطلانطيك » في المصادر اليونانية تذهب الى أن جزيرة « اطلانطيك » كانت تقع في بقعة ما قريية من منطقة « جبل طارق » . قلت : هذه اسطورة معروفة ومتداولة .

د . ماريا بيغيرا :

وعلى الرغم من انها اسطورة الا اننى اميل الى ان التسمية لابد وان تكون جغرافية . . وهذا يعنى ضرورة فهم اسلوب الجغرافيين العرب ، وأظن ان اسم الاندلس مشتق من اسم « جزيرة اطلانطيكوس » .

قلت : ترجحين هذا . وربما من قبيل التكملة أضيف ما يقوله الكثيرون من ان كلمة « الاندلس » كانت نتيجة للتطوير والابدال بتقادم الزمن على الكلمة الاساسية « اطلانطيكوس » .

د . ماريا بيغيرا :

نعم ذلك صحيح تماما .

قلت : اننى المس ظاهرة غربية جدية بالاهتمام حين نطق كلمة « الاندلس » . . انها في اللغة العربية تبدو وكأنها كلمة تنتمى الى هذه اللغة لايشعر المرء حين نطقها بأنه يلفظ كلمة غربية ، وذات الامر يحدث حين نطق ذات الكلمة باللغة اللاتينية وستظل هذه الكلمة تثير في الذاكرة شيئا محببا يحوطه الغموض بالنسبة للجميع : العرب والاسبانيين والاوربيين ، انها تشير الى فترة تاريخية وحضارية متميزة مما يسوقنا الى وضع اكثر من علامة استفهام حول ظاهرة شدت - ولا تزال - اهتمام الباحثين في التاريخ العربى الاسلامى الاندلسى وأعنى : اختفاء المسلمين من الاندلس مما جعل عددا من الباحثين يقول : مداخل الاسلام أرضا الا وبقي فيها ماعدا الاندلس :

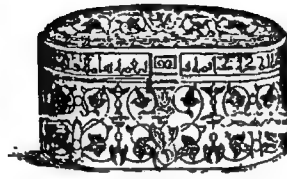
هناك من يحاول تلمس الاسباب في ظاهرة الهجرة الى المغرب العربى ، وهناك من يرجعها الى فظاعة محاكم التفتيش ، وهناك من لايجبذ الخوض في مثل هذا الامر . . وأنت باعتبارك أحد المتخصصين في التاريخ الاندلسى هل لديك ماتساهمين به في هذا الموضوع ؟

د . ماريا بيغيرا :

لقد طرحت على نفسى هذه القضية مرات عديدة ، خاصة عندما أحاضر امام الطلاب في الجامعة عن تاريخ الاسلام ، ولم أستطع تحليل هذه المعضلة الكبيرة والمهمة والمعقدة ، الا اننى اطلعت على رأى يرجع الاسباب الناشئة عن حروب « الاسترداد » ، ثم هناك من يشير الى المنافسة بين مملكة « شارلمان » والاغالبة في تونس والتي لها أثرها في بروز هذه الظاهرة وأشار الى ذلك الاستاذ « الطالبى » بشكل ممتاز .

ولقد اثير هذا التساؤل من عدد من الباحثين ، ومن بينهم « شارل مانويل » الذى كتب بحثا حول هذه القضية ، وهناك بحث بعنوان : لماذا الافتراق بين التطور التاريخي في المغرب والتطور التاريخي لشبه الجزيرة الايبيرية للباحث « ارمان أجيل » .

لضيفتنا في هذه الاوراق مساهمات متعددة في مجال اهتمامها بتاريخ الاندلس حيث نشرت خمسة كتب وعددا غير قليل من الابحاث في المجلات المتخصصة ، وهى ذات حضور ملحوظ في مختلف الملتقيات والندوات والمهرجانات التى تنظم في اطار احياء التاريخ الاندلسى .



المهتجنون والخيار الطهيب



د . باتريك مارفي

مسلمو الثغر الاعلى والذين عرفوا أحياناً بالمدجنين لهم في ذاكرة الاندلس حكايا لاتزال تتردد بين الجنبات ، قصص ووقائع وفنون كلها تشير الى أن ماحاول بعض المؤرخين اثباته حول (مغادرة الاسلام للاندلس) ووصف تلك المغادرة بأنها كانت نهائية يحتاج الى اعادة نظر .

لقد اتجه الباحثون العرب ممن فتنوا بالاندلس الى استخراج ملامح التميز والتفرد للحضارة العربية الاسلامية في تلك الربوع ، ويبدو ان تلك الخطوة كانت مهمة في المرحلة الاولى للتعرف على الاندلس من باب الانبهار واستخراج كنوز الفكر والمعرفة والفن .

لكن المهم الآن هو التعامل مع حقائق التاريخ مهما تكن مؤلمة ، وحقائق التاريخ لاتقول بان الاندلس كان غناء وقصورا وعطرا سحريا واثراء وعلما فحسب ، ان تلك الحقائق تقول بأن الاندلس اضافة الى ماذكر كان اضطهادا ودماء ومحاكمات ظالمة قاسية وصليبية لاتقل عنفا عن الصليبية التي استهدفت الجزء الشرقي من الوطن العربي .

في الاندلس لم يتعرض المسلمون الى غزو بالمعنى الواضح لهذه الكلمة بل تعرضوا الى ماهو أسوأ وهو مااصطلح المؤرخون على تسميته بالاسترداد ! وهذه الكلمة ذاتها تتطلب تحليلاً دقيقاً .

الاندلس لم يكن كما قدمه الباحثون العرب .

إنه في الحقيقة كان مأساة تاريخية لا لأننا فقدناه بل لأنه شهد أغرب وأقسى انواع الاضطهاد وهي أمور لم يتجه نحوها الا القليل من الذين يذكرون ذلك عرضا ، بينما يجب ان نتوقف وندرس بدقة وعمق تلك المرحلة الاضطهادية .

واذا كانت اسبانيا الكاثوليكية في القرن الرابع عشر ومابعده اعتقدت بأن من حقها ان تلزم العرب المسلمين بحضارة الاندلس والذين اصبحوا بموجب القانون الطبيعي لتشكيل ونمو المجتمعات جزءا لايتجزأ من التركيبة الاجتماعية الاندلسية لاسباب عديدة من أهمها التزاوج الذي نشأ بناء عليه مجتمع اندلسي اختلطت فيه الانساب ولم يعد بالمستطاع الجزم بأي شكل بصحة الدعوى الكاثوليكية آنذاك . . اذا كانت اسبانيا الكاثوليكية في ذلك الوقت اعتقدت بصحة ما أقدمت عليه

بسبب التعصب العنصري فانها لم تكن تملك أية حجة حيال الاسبانيين المسلمين الذين شكلوا كل الاندلس ، وهؤلاء لم يضطهدوا بسبب جنسهم وعرقهم بل بسبب معتقدهم .
وفي كلا الحالين فان اسبانيا الكاثوليكية في القرن الرابع عشر ارتكبت عملا عنصريا .
من جانب كونها قامت بطرد العرب المسلمين .

ومن جانب كونها قامت بطرد الاسبانيين المسلمين ومحاكم التفتيش التي بدأت محاضرها وأوراق جمع استدالاتها واحكامها ترى النور حديثا تقدم اكثر من دليل على عمق التعصب العرقي والديني .

وفي محاولة للاقترب من هذا الواقع يتحدث الاستاذ الدكتور / باتريك هارفي من جامعة لندن عن نقطة واحدة يحاول أن يقترب منها حيناً ويحاول ان يتعد عنها حيناً آخر ، ولعل السبب في ذلك يعود الى الواقع الذي تم فيه هذا الحديث .

وليس من نافلة القول الاشارة الى ان لاستاذنا الدكتور / أمين الطيبي اليد الطولى في ترتيب هذا اللقاء القصير والذي كانت لمداخلاته قيمة وأهمية لاتنكر ، مع ملاحظة ان جزءا من الحوار فقط هو الذي سيطالعه القارئ الكريم في هذه الورقة الاندلسية ، اما الجزء الذي لم ينشر فهو يتعلق بموضوع يحتاج الى تدقيق مهم لانه يتعلق بالأسر الاندلسية التي طردت من أرضها وانتشرت في كل ارجاء العالم وخاصة في منطقة المغرب العربي من مراكش الى طرابلس .

انطلق الحوار ، أو بدأ الحديث من نقطة اعتبرت ولا تزال اشكالية غامضة . . . وهي لماذا لم تبق وبشكل واضح صور الحياة الاسلامية في الاندلس ؟!

د . باتريك هارفي :

المشكلة الرئيسية الاولى التي عانى منها المسلمون القاطنون في المناطق الآهلة بالمسيحيين هي البقاء من عدمه في هذه المناطق ! وذلك لأنه تناهى اليهم ان بعض الفقهاء اصدروا فتوى تحث المسلمين على ضرورة مغادرة المناطق الآهلة بالنصارى ومن ثم العيش بجوار اخوتهم المسلمين في المناطق الاسلامية .

وبحورتنا عدة نصوص من فتاوى أصدرها الفقهاء المغاربة تدعو المسلمين الى عدم البقاء في ارضهم (أو ارض النصارى كما عرفت) .

على الرغم من كل ذلك فان الكثير من المسلمين لم يأبهوا لتلك الفتاوى التي تحثهم على المغادرة ، وآثروا البقاء في الاراضى التي يحكمها النصارى ، وفي هذا الصدد أسرد عليك قصة أحد

المسلمين الذين آثروا البقاء في ارض النصارى وهو مسلم من (مارفيليا Marbella) منطقة ساحلية بالقرب من مالقة هذا الرجل اختار البقاء لأن أخاه كان مسجوناً من قبل النصارى . لذا قرر الاخ بسبب اجادته للغة الاسبانية وبصفته محامياً بارزاً الدفاع عن اخيه حتى تمكن من اطلاق سراحه ، ربما لا يكون هذا مهماً والاهم هو الاجابة عن هذا السؤال : هل يبقى هذا المسلم في هذه المنطقة أم يغادرها بعد أن رأى المعاناة فيها ؟ خاصة وان مسلمي تلك المنطقة في أمس الحاجة اليه ليدافع امام المحاكم .

لكن الفتاوى التي كانت لاثمير بقاء المسلمين في (أرض النصارى) جعلت الامر اكثر تعقيداً هذا بشكل عام . ولم يكن أمامه الا ان يطلب الرأى في وضعه فأثاء الجواب من بعض فقهاء المغرب والذي يقول بأنه لاداعى لبقاء المسلمين في ارض النصارى .

مع كل ذلك بقى العديد من المسلمين ، وليس من حقنا كباحثين ان نسقط عنهم صفة الاسلام لانهم اصرروا على البقاء في اراضيهم التي ولدوا بها بالرغم من انها اصبحت تابعة للنصارى . أذكر هذا لأدلل على مدى حاجة الناس الى من يعلمهم مايتعلق بالواجبات الدينية في منطقة بدأت تفقد صلتها بالعالم الاسلامي .

سألته : هل يمكننا ان نتعرف على الفترة الزمنية التي وقعت فيها هذه الاحداث وفي أية منطقة بالتحديد ؟

د . هارفي :

تلك الاحداث وقعت في فترة زمنية مبكرة ، وبالتحديد في اوائل القرن الخامس عشر في مكان قصي من شمال اسبانيا .

المهم أن اذكر ان المسلمين في تلك البقاع الشمالية كانوا في أمس الحاجة لمعرفة المزيد من المعلومات الخاصة بدينهم الخفيف . لقد كانوا جميعاً تواقين الى المعرفة حتى يتمكنوا من اداء واجباتهم الدينية على أحسن صورة ودون ان تشوب أداءهم للشعائر أية شائبة .

ان هؤلاء المسلمين المنبشرين في مختلف المناطق الاسبانية وبمرور الزمن فقدوا القدرة على المحافظة على اللغة العربية وكان عليهم في المقابل ان يتعلموا اللغة الاسبانية ، هذا الواقع وضعهم امام اشكالية كبيرة وهي : هل يجوز لهم القيام بالفروض والواجبات الدينية باللغة الاسبانية خاصة الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، وأصبح هذا السؤال وغيره شغلهم الشاغل ، اضافة الى واقع جديد بدأ يفرض نفسه يتعلق بالجيل الجديد : كيف سيتعلم هذا الجيل الفروض الدينية ؟ وهل يجوز لهم

التعامل باللغة الاسبانية ؟ وهل يمكنهم من خلال هذه اللغة معرفة ما يريدونه ؟ هؤلاء المسلمون لم ينسوا واجبهم ، وحاولوا ترجمة معانى القرآن الكريم الى الاسبانية ، ويمكننا ان نقول بأنهم كافحوا في هذا المجال سنين عديدة وقوبلوا خلال ذلك بمواجهة شرسة من قبل النصارى والذين لا يروق لهم ذلك العمل .

في منتصف القرن الخامس عشر وفي منطقة قشتالة وبالتحديد في بلدة شقوبية كان هناك عالم جليل هو (عيسى بن جابر) كتب عدة مؤلفات ربما اشهرها « ملخص واجبات المسلم » وهذا الكتاب عرف سبعة اسماء مختلفة منها « كتاب كيدوريانو » و « كتاب شقوبية » أي نسبة للبلدة المذكورة .

هذا الكتاب اصبح مهما جدا ، وتوجد منه الآن 7 نسخ فقط وبالتالي أصبح من الممكن نشره ومن ثم الاهتمام باعمال هذا الرجل ، وثمة دلائل كثيرة تشير الى اهميته الثقافية وانه كان مرجعا مهما في العديد من القضايا ، والاهم من كل ذلك ان (عيسى بن جابر) هذا قام بترجمته الى الاسبانية وبالتحديد الى « القشتالية » وما لاشك فيه ان مسلمي المنطقة قد استفادوا كثيرا منه ومن امثاله خاصة فيما يتعلق بالامور الدينية .

قلت : في ظل هذه الوقائع كيف كان المسلمون في هذه المناطق الشمالية يمارسون الشعائر الدينية خاصة في ظل الوضع الجديد ؟
د . هارفي :

مع الاخذ في الاعتبار مختلف الظروف التي احاطت بهم فانهم حافظوا على دينهم في فترة حرجية ، وهو وضع استمر من القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر في تلك الفترة كانت الشعائر الدينية تمارس سرا ، ثم اصبحوا يؤدون شعائرتهم علنا وأصبحت لهم مساجد عدة في كثير من مناطق اسبانيا .

اصبح وضعهم عاديا جدا ، بدأوا يدفعون الضرائب شأنهم شأن بقية المواطنين سواء كان ذلك في (اراغون) أو في غيرها ، وبشكل تقريبي يمكن القول بأنهم في وضع يشبه وضع أهل الذمة ، لكن الامور في نهاية الامر تغيرت تماما وانعكس الوضع بشكل حاد .

وبين ايدينا الآن عدد من الوثائق المهمة التي تعطينا معلومات تفصيلية عن المسلمين بعد القرن الرابع عشر ، ومنها وثيقة من (اراغون) تقول بأن (ملك نبارة) وهي مملكة صغيرة في الشمال طلب

في رسالة موجهة منه الى جاره (ملك اراغون) توفير الأمان لسفر ستة اشخاص من الرعايا المسلمين لتأدية فريضة الحج .

ان هذه الوثائق التاريخية مهمة وممتعة لانها تمكّنتنا من تقليب صفحات التاريخ بشكل واضح .
وتضيف تلك الوثيقة بأن عدد المسلمين كان قليلا جدا في (مملكة نبرة) .

أما سبب المعاملة الحسنة التي كان يلقاها المسلمون هناك فانه يعود الى الخدمات الجلييلة التي كان يقدمها المسلمون (لملك نبرة) من بين تلك الخدمات قيامهم بمهام تدريب قوات (مملكة نبرة) .

قلت : بعد سقوط غرناطة عام 1492 م وجد المسلمون انفسهم امام خيارين احلاهما مر : إما الرحيل عن بلادهم واما تغيير دينهم ثم بدأت أخبارهم تتلاشى ، لكن المعلومات التي اكتشفت حديثاً من خلال الوثائق والمخطوطات تمدّنا بصور شتى . . كيف ترون الفترة التي اتت إثر سقوط غرناطة ؟

د . هارفي : وضع المسلمين يختلف حسب توزيعهم في المناطق الاسبانية فمثلاً بعد الاجتياح النصراني لغرناطة بقي المسلمون هناك فترة قصيرة لم تتعد ثمانى سنوات ، ثم بدأت النوايا المسيحية تظهر جلياً ، حيث طلب من المسلمين أحد الامرين (كما اشرت) اما ان يتخلّوا عن دينهم (ينتصروا) أو ان يرحلوا قسراً عن ديارهم . حدث ذلك ايضا لبقية مسلمي المناطق المتاخمة لغرناطة مثل : اراغون وبلنسية وقطالونيا اعتباراً من عام 1520 م .

بعد هذه السلسلة من المحن من بقى من المسلمين أصبحوا يعرفون بالموريسكيين اي (نصارى) على الاقل ظاهرياً كستار لبقائهم في بلادهم ، ان من الاوصاف التي اطلقت على هؤلاء كونهم (مسلمين نصارى) .

قلت : اعتقد ان الامور بدأت تتداعى منذ ذلك الوقت .

د . هارفي : نعم وبشكل واضح تماماً .

في اسبانيا اليوم هناك من يعلم بأنه ينحدر من الاسر التي عرفت بالمدجنين ، ومن أعلن لنا ذلك راعي كنيسة تيرويل (أو طرويل) كما عرفت قديماً ، قال ذلك باعتزاز ظاهر وهو يشير الى الفن المدجن في مدينة (طرويل) .

-
- ★ د . بات هارفي .
- استاذ انجليزي دكتوراه حول (الاعجمية والمندجنون) سنة 1958 م ، جامعة اكسفورد .
 - ليسانس باللغة الاسبانية من جامعة اكسفورد .
 - ليسانس في اللغة العربية من جامعة اكسفورد .
 - أستاذ في اللغة الاسبانية بجامعة لندن .
 - رئيس دائرة اللغة والادب الاسباني بجامعة لندن .
 - استقال من الوظيفة سنة 1983 م ليتفرغ للبحث العلمي .
 - له عدة ابحاث ومقالات ويبحث في تحقيق الوثائق ذات العلاقة بالاندلس ، خاصة فيما يتعلق بالمندجنين .

فقدنا العادات العربية



د . مارجريتا سرائو

طيلة الإقامة في مدينة « تيرويل » وخلال فترة الظهيرة ولمدة لا تقل عن ساعتين كانت الطيبية « مارجريتا سرائو » حاضرة سواء بمداخلاتها أم بنتائج الابحاث في التغذية والغذاء الاندلسي .
وذات ظهيرة قال أحد المترجمين الفوريين تعليقا على المحاضرة اليومية عن الغذاء الاندلسي « اذا كانت كل وجبة غذائية ستأخذ منا كل هذا الجهد فان الجوع سينتصر لا محالة » كانت مداعبة قبلت منه في حينها .

كنا نلتقي لنستمع أولا الى شرح عام حول الوجبة الغذائية المراد تقديمها ، ثم يبدأ الطهاة في اعداد نموذج للتذوق ، ثم يبدأ حوار حول طريقة الاعداد والمقادير ، ولا ضرر من الاشارة الى ان نساء تيرويل وغيرهن من متتبعات ايام مهرجان « اراغون تعيش تاريخها » كن حريصات على فهم كل شيء تقريبا .

لذلك كانت وجبة الغذاء لا تبدأ قبل مرور ساعتين من الشرح والاعداد والمناقشة .
واذكر أننا كنا لا نجد حرجا في ابداء تعليق أو انتقاد تعقبه ابتسامات جماعية ، قال أحدنا :
كان لابد من أن نطلب تأمينا على الحياة مادامنا نتناول وجبات يتم اعدادها من كتب التاريخ .
والحقيقة أن كل من تذوق وجبات الغذاء الاندلسي أبدى استحسانه وتمنى الجميع أن يحفظ ويدون طريقة اعداد تلك الاكلات ، لكن فتيات « تيرويل » كن الاحرص على ذلك . . وما علينا نحن ضيوف « تيرويل » الا أن نتذكر تلك الوجبات حين تذكرنا لتلك الايام !

انتهت ايام « اراغون تعيش تاريخها » وتفرق الجمع كل الى حيث يريد ، وفي مدريد التقيت الطيبية « مارجريتا سرائو » ، ولا شك أن الغذاء الاندلسي كان حاضرا من حيث كونه موضع حديث ، وللتدليل على ذلك خصصت الاذاعة المرئية الاسبانية جزءا من وقتها لهذا الموضوع .
التقينا لنواصل حوارا بدأ منذ اكثر من اسبوع ، وكانت « إليس » المصورة أثناء أيام المهرجان ترافقها وتدلى فقط بملاحظات عابرة ، اما الزميل خليل حسن صدقة فكان مضطرا للحديث باعتباره ممن يتقنون لغة ضيفة هذه الاوراق . . قالت الطيبية « مارجريتا » :

اننى كسيدة غربية عاشت فى مجتمع مادى بحث فان من اهم ماشد انتباهى واثار اهتمامى بالاسلام هو نظرتة الشمولية للفرد ، وغنى عن القول ان (الغذاء) يعكس بشكل واقعى الكثير من العوامل التى تساعدنا فى التعرف على ملابسات الحضارة بكافة اوجهها السياسية والاقتصادية . اقول ذلك منطلقا من ادراكى العميق لما يعانى منه المجتمع الغربى من (تخصصات) أفقدت الانسان القدرة على الرؤية بوضوح . والمجتمع الغربى ينظر الى الانسان على انه مجرد (حيوان ذى اهمية فيزيولوجية) ، وهذه النظرة « غير الشمولية » ادت الى خلق امراض جديدة يعيشها المجتمع الغربى .

وعلى سبيل المثال ثمة عدة امراض ازدادت انتشارا ، ولها علاقة وطيدة بالتغذية ، واعنى بذلك : مرض الاعصاب الذى تعاني منه الفتيات فى المجتمع الغربى حيث لوحظ انهن يفقدن الشهية ويمتنعن عن الاكل ، ويتقيأن كل ما يأكلنه ، وغالبا ما تنتهى الحالة الى الضعف العام والوفاة . وهذا المرض لاعلاج له فى الطب الحديث ، وله عواقب وخيمة على المجتمع الغربى الحالى ، ولقد حاولنا التعمق فى تحديد ودراسة اسباب هذا المرض ، واعتقد شخصا باننا سنتوصل الى نتائج مثيرة تتفق الى حد بعيد مع فلسفة الاسلام فى الغذاء . وبناء على ذلك اعتقد بأن الحاجة ماسة الى التعرف على كل مظاهر الثقافة الاسلامية التى تخدم مصلحة الانسان ، ولا يجب ان نلغى الجانب العلمى من هذه الثقافة .

قلت للطبيبة مارجريتا :

أعلم ان تخصصك الاساسى هو امراض النساء والولادة ، ولذا اتمنى ان نسمع راىك فى اهم المعضلات فى هذا الجانب وعلاقة هذه المعضلات بالدراسات التى تتم حاليا والتى تحاول ان تتلمس الحلول من خلال ما يقرره الاسلام .

قالت : فى مجال تخصصى وهو (الطب النسائى) لوحظ فى السنوات الاخيرة ظهور وانتشار اعراض مرضية جديدة منها :

العقم ، ازدياد الاجهاض الطبيعى ، رفض الامومة لاسباب نفسية ناجمة عن حاجة المرأة للعمل خارج بيتها ، مما ادى الى ضرورات مستجدة لايمكن ان تتمشى مع ظروف الامومة . . ونتج عن ذلك ازمة نفسية خطيرة .

كما ان ازدياد (الانحلال الخلقى فى المجتمع الغربى) ادى الى تفشى امراض يصعب التغلب عليها حيث اصبحت أمراضا مزمنة تؤدى غالبا الى فقدان الحاجة الطبيعية الى (الجنس) والنتيجة

النهائية هي : العقم .

اما بالنسبة لعملية تربية الاطفال فهناك ظاهرة عدم تأقلم الاطفال مع الجو المدرسى ، وهذا ناجم عن فصل الطفل في سن مبكرة عن امه بايداعه دور الحضانة مما يؤدي الى نقص في النمو والتطور النفسى . . . والنتيجة هي ظهور امور غريبة وامراض نفسية تتمثل في فقدان الاطفال المقدرة على فهم ما يقرأون . . . وهو أمر ملموس في المجتمعات الغربية وهذا الامر اظهر الحاجة الى توظيف طبيب نفسانى في كل مدرسة .

ولا تخفى على احد تلك الاضرار التى قد تترتب على مثل هذه الامراض في سن مبكرة والتى باتت تقلق المجتمع الغربى . . . لقد لاحظ المدرسون بان النوع الذى اشرت اليه من الاطفال يتميز بكل وضوح عن الاطفال الذين تلقوا تربية عائلية . حيث تبدو على الاطفال الذين يودعون دور الحضانة مظاهر العنف ، وفقدان الثقة بالنفس ، وعدم القدرة على التركيز او ابداء الاهتمام اللازم بما يحيط بهم ، والغضب .

لذلك اعتقد بان اسلوب التربية والتعليم الحالى ضار بالمجتمع الغربى ، ولعل من اهم النتائج التى نلمسها بناء على ذلك ازدياد معدل الجريمة في المجتمعات الغربية .

قلت : افهم من هذا ان الامور الطبيعية هى التى يحتاجها الانسان في هذا العصر . . . بمعنى ان القانون الطبيعى المنسجم مع حكمة الله في خلقه يجب ان يظل سائدا ، لذا فما رأيك في المجتمع الاندلسى باعتبارك تشرفين على ادارة فريق من المختصين في بحوث التغذية في المعهد الاندلسى كيف ياترى كان (الغذاء) الاندلسى من حيث ارتباطه بالطبيعة غير الصناعية ؟

قالت : الوجبات الغذائية التى كانت سائدة في الاندلس تنقسم الى قسمين : الوجبات الغذائية عند الطبقة الارستقراطية والتى لم تكن تتمشى في معظم الاحيان مع التعاليم الدينية .

الوجبات الغذائية التى كانت متفقة مع مآقرره الاسلام ووضحه الرسول صلى الله عليه وسلم .

تلك التعاليم التى لم تكن تميل الى التعقيد ، والتى كانت تدعو الى (غذاء) متوازن يتألف في الغالب من الفواكه والحبوب .

واود هنا ان اتحدث عن موقف شغل بال الكثيرين ، وهو الموقف من الغذاء الذى يتكون من (اللحم) .

روى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : بان أكل اللحم يوميا يزيد القلب قساوة ، وهذا ماثبت علميا ، حيث اجريت عدة تجارب في عدد من السجون بحيث اعطى بعض السجناء وجبات غذائية تتألف من الخضروات واعطى آخرون وجبات تعتمد على اللحوم ، وكانت النتيجة برهانا على صحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث تأكد الباحثون بان من تناولوا وجبات غذائية من الخضار هم اشخاص هادئون ، اما الذين اعتمد غذاؤهم على اللحوم فقد برهنوا على مزيد من العنف والرفض .

ان ضرورة التوازن في الوجبات الغذائية بين المواد الحيوانية والمواد النباتية شيء اساسى ، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كانت تدعو الى هذا التوازن قولاً وعملاً لم تتناقض مع الحقائق العلمية ، بل ان كل البحوث في هذا المجال تبرهن على ضرورة الاقتداء والسير على منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان التوجيهات النبوية المتعلقة بعدم الافراط في الاكل من شأنها - ان هى روعيت - ان تحول دون تفشى العديد من الامراض وفي مقدمتها « مرض تصلب الشرايين » وماله من مخاطر على القلب .

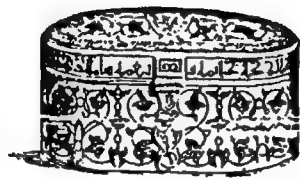
الاسلام (ومن خلال نظره الشمولية للانسان) لم يغفل مثل هذه القضايا التربوية . انه حينما يدعو الى التصرف برصانة والامتناع عن الاكل في بعض الحالات لم يفعل ذلك عقاباً من الله للانسان كما يدعى المسيحيون . . انه في الحقيقة يقدم التعاليم التى تعود بالنفع والفائدة على الانسان ويوجهه الى الطريق المستقيم .

تعاليم الاسلام هى لمصلحة الانسان ، اذا لم يتمسك هذا الانسان بها فالنتيجة الحتمية هى وقوعه فريسة للأمراض .

قلت : يلاحظ ان الاندلس باق في الذاكرة وباق بمعالمه ، واطن انه باق ايضا من خلال بعض العادات والتقاليد . . والواقع ان لا احد بإمكانه ان يسقط الاندلس من التاريخ ومن الحاضر فهو بتميزه وتفرد واحد من اهم الاقاليم التى اسبغ عليها العرب والاسلام فضل البقاء . . ولذا قالت الطبيبة مارجريتا سرانو في خاتمة حديثها :

في مراحل متأخرة بدأت اسبانيا توجه نظرها الى اوروبا ، مما ادى الى تفشى امراض هذه القارة

فى المجتمع الاسبانى الذى كان خاليا منها حتى عهد قريب قبل ذلك ، فكرم الضيافة كان ميزة شائعة فى اسبانيا ، وهو امر افتقدناه الان .
الكثير من العادات والتقاليد العربية فقدت . . هناك العديد من العناصر الغذائية التى لاتزال مستعملة حتى الان .
ولحسن الحظ هناك عودة الان الى مراجعة هذه المرحلة من تاريخ الاندلس العربى الذى جرى التعتميم المتعمد عليه ، والان بالامكان دراسة هذه المرحلة .





أنطالسيون : نعم



عميد بلدية تيرويل « طرويل »

في احدى قاعات « الدار البيضاء » اسم المركز الثقافي بمدينة تيرويل كان لنا لقاء مع عميد البلدية في أول لقاء له مع الصحافة العربية :
س :- الذى يتبادر الى الذهن يتعلق باحساس المواطن في هذه المدينة عندما يرى هذه الآثار العربية الجميلة ؟

ج :- يمثل الفن الموجود بهذه المدينة جزءا هاما من حياتها ، واعتقد بانه معروف من قبل الجميع ، والمواطن العادى ينظر الى كل ما حوله على انه ثمرة لفترة طويلة من التعايش بين شعوب عديدة ، ساعدت في تطوير وخلق هذه الحضارة . كما ان المواطن يشعر بنوع من الحزن لان هذه الحضارة التى سادت في بلده قد وصلت الى طريق مسدود ، ونحن الآن نسعى الى تحطيم هذا الجمود الذى تعاني منه .

س :- هل هناك اعمال في طور التنفيذ او الاعداد حول تاريخ المدينة ؟
ج :- بالفعل ، لقد عقد في هذه المدينة اللقاء الثالث الذى يتعلق بالفترة المدجنة كمحاولة لمواصلة البحث والتدقيق في تلك الفترة ، وهذه اللقاءات تعقد مرة كل ثلاث سنوات لاتاحة الفرصة لمزيد من الدراسات العلمية القيمة ، وهذا يعنى اننا في هذه المدينة نواصل البحث في الماضى وسنعمل على استمرار ذلك . كما ان هناك مجموعات عديدة تعمل في هذا المجال سواء على مستوى المدينة « تيرويل » او على مستوى العاصمة سرقسطة وباعتراف منظمة اليونيسكو بان هذه الآثار المدجنة هى ثروة للانسانية قد تلقى هذا الدراسات دفعة جديدة وهامة .

س :- هل قمتم باية حفريات او ابحاث في هذا الصدد ؟
ج :- لم نقوم حتى الآن بعمليات حفريات بحثاً عن مخطوطات او آثار محددة الجهود التى بذلت في هذا الصدد تقتصر على تحليل ودراسة للآثار القائمة الموجودة فوق السطح .

س :- هل هناك خطط لصيانة الفن المدجن في المدينة ؟
ج :- لقد تمت الموافقة على خطة شاملة لاصلاح مركز المدينة التاريخي ، ونجدر الاشارة الى

عدة امور اهمها ان مركز المدينة القديمة لم يتعرض للتغيير بل بقى الى حد ما على ما كان عليه ، الا ان التطورات المعاصرة الحديثة القت بظلالها على المدينة وهى تتطلب ايضا جزءا من الصيانة ، والخطوة المذكورة تحاول تحقيق التوازن بين الحاجيات الماسة للمساكن ، والمحافظة على طابع المدينة القديم .

س :- هل هناك توجه شبابى ذاتى في المدينة لمحاكاة هذا الفن المتميز ؟
ج :- اعتقد بان ذلك مرهون بمستويات ثقافية ، وارى بان المراكز التعليمية تنظم الان مجموعات شبابية لتشجيعهم على العمل في هذا الصدد ، لاطهار الفن الذي تمتاز به المدينة وتعريف الشباب به وانوه في هذا المجال بان الشباب يلمون جيدا بالفن المدجن ، اما الكبار فهم يجهلونهم تقريبا على الرغم من كبر سنهم وتجربتهم ، هناك حملات في هذا المجال ، ويشعر السكان باهمية المدينة القديمة الآن واستطيع القول بأن السكان الذين نزحوا من مركز المدينة بحثا عن حيز اوسع للعيش قد بدأوا بالعودة بشروط افضل .

س :- لاحظنا خلال تجولنا في المدينة مظاهر الترحاب بالمشاركين في هذا الملتقى والاهتمام بهم فهل تملك سلطات البلدية خططاً مستقبلية لتنمية هذا الشعور بالتعاون مع الوطن العربى ؟
ج :- لقد تركزت في العديد من المناسبات على أن الخاصية التى تميز سكان هذه المدينة ، هى كرم الضيافة وهذا ما يستطيع اى انسان ان يلاحظه بعد وصوله الى المدينة مباشرة ، كما ان بلدية المدينة قد بدأت عدة مشاريع بهدف اظهار صورة هذه المدينة في الخارج بشكل ايجابى وبذلك فنحن نقوم دائما باقناع السكان بان هذه القضية هامة وضرورية . وهذه هى الخطوات الاولى في هذا الصدد ، صحيح ان المدينة ربما تعاني من نقص في الضروريات التى يتطلبها مثل هذه العطاءات الا اننا نسعى الى تجاوز ذلك بالحماس والجهد وسنواصل العمل في هذا المجال .

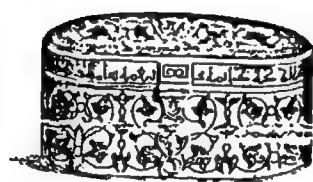
س :- الا توجد اثار للمساجد خاصة في مناطق الابراج الموجودة حاليا ؟
ج :- يعود تاريخ هذه المدينة الى القرن الحادى عشر ولم يبق من تلك الفترة الا القليل مثل بعض الحمامات . اما بالنسبة للابراج والتى شيدت على مقربة منها المساجد كانت ايضا مواقع للعبادة خلال العهد الاسلامى .

س :- تعرف الاندلس في الماضى بانها تضم جغرافيا شبه الجزيرة الايبيرية بالكامل ، اما التاريخ المعاصر فالتسمية تقتصر فيه على منطقة محددة فما رايتك في شمول الاندلس لمدينة تيرويل ؟

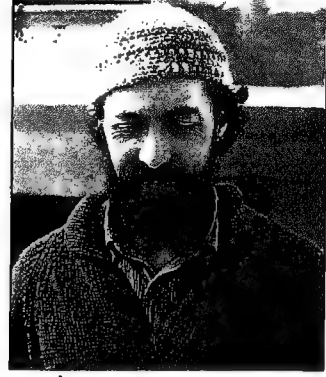
جـ :- نحن نعلم بان التأثير الاندلسى فى تيرويل هام جدا ، ونحن عندما نراجع تاريخنا القديم نشعر بالميل نحو الجنوب اى نحو الاندلس اكثر من توجهاتنا نحو الشمال .
س :- هل سبق للصحافة العربية ان زارت هذه المنطقة ، ومن خلال هذا الحديث ماذا تودون ابلاغه للمهتمين بالاندلس ؟

جـ :- اننى سعيد جدا بهذه الفرصة وهذا الحوار الاول مع صحافة عربية وفى هذا المجال اريد التأكيد على الانطباع الذى تمكنتم انتم من الخروج به وهو ان هذه المدينة ترحب بالجميع ، وسكانها يستقبلون الزوار بصدر رحب ، كما انها تملك كنوزا فنية هامة وادعو اولئك الذين ياتون لزيارة اسبانيا أن يضموا مدينة تيرويل الى برنامج زيارتهم لاهميتها ليس فقط فى ارغون بل وفى اسبانيا ككل .





عودة الاسلام الى الاندلس أمر حتمي



شعيب محمد عبد الرحمن

شعيب محمد عبد الرحمن ، العمر 32 سنة ، أعمل في صناعة الخزف . منذ 6 سنوات مضت كنت مسيحياً . . . وكنت أبحث بعمق عن الرسالة التي بشرها « عيسى » عليه السلام ، الا انني لم أجدها في التعاليم الكنسية رغم انها مبنوثة في بعض الاناجيل مثل « انجيل برنابا » . . . واطلعت بطريقتي الخاصة على عدد من التعاليم عن الصيام وعدة احكام أخرى . واطلعت على جملة من الحقائق التي لم اكن على علم بها حين كنت اتبع الكنيسة الكاثوليكية . كنت اصوم حسب الاحكام الانجيلية وكنت اعتكف للعبادة ، لكنني في الواقع كنت اشعر بأنني افقد شيئاً ما . . . تساءلت عن كنهه ماكنت في حاجة له . . . وهو الامر الذي بدأت في البحث عنه .

كنت أقيم في مدينة « مُرسية » وأعمل مدرساً ، ثم سمعت عن « مسلمي غرناطة » . . . استقلت من وظيفتي وقدمت الى غرناطة ، تعرفت على « مسلمي غرناطة » بقيت مدة معهم ، وعن طريقهم عرفت المعنى الصحيح للصلاة والصيام ، واحسست بأنني اهتمت الى ما كنت أبحث عنه . . . ثم اشتهرت اسلامي واخترت الإقامة في غرناطة ، أعمل بمصنع اسسته صعبة بعض المسلمين في مجال صناعة الخزف .

جميع افراد اسرتي الصغيرة مسلمون ، زوجتي أسلمت في نفس اليوم الذي اشتهرت فيه اسلامي ، أبنائي أطفال صغار 7 و 8 سنوات متمسكون بتعاليم الاسلام ويحفظون بعضاً من القرآن .

كان اللقاء بالاخ « شعيب » في بيته الذي يعود الى القرن الثامن عشر ، الوقت كان يقترب من منتصف الليل ، ومن نافذة بيته يبدو « قصر الحمراء » تنعكس على جدرانه الاضواء لتحيله الى قطعة فنية رائعة تضيف على غرناطة تميزاً قل ان تخطئه العين .

حدثته عن الاحساس الذي غمرني حينما ارسلت بصرى لارى « الحمراء » من نافذة بيته وسألته ان كان مثلي يشعر بعمق اللحظة رغم انه ربما يكون معتاداً على منظر كهذا . . . أجاب وهو

يرسل بصره صوب « الحمراء » :

كلما أطل على قصر الحمراء أتذكر تلك الايام التي كان فيها المسلمون في هذه الربوع ،
واتذكر ذلك العصر الذهبي للإسلام في هذه الديار . . .

قلت وانا مشدود رغم انفى الى (ماض عريق) : ألا يعنى ان ثمة خصوصية لانبعاث
الإسلام من جديد في غرناطة ؟ أجاب :

ان انبعاث الإسلام من جديد في الاندلس وهنا في غرناطة بالذات قضية لا مفرّ منها . . كيف
لا وانت أفا ذهبت في (غرناطة) وجدت الإسلام يناديك . تحت كل قطعة حجر ، دليل على ان
الإسلام كان هنا . . ولذا فان عودة الإسلام من جديد أمر لا بد منه ليس في غرناطة فحسب بل في
كل الاندلس .

الاندلس كانت من أهم معاقل الإسلام وخطه الامامى ، وغرناطة مدينة اسلامية . . ومن
البديهي ان يعود الإسلام من جديد الى مكانه الطبيعي ، ولا غرابة في ذلك .

قلت : ولماذا في هذا الوقت بالذات ؟ قال الاخ (شعيب) :

في القديم كانت هناك تحفظات حول كل ما هو اسلامي ، وكانت هناك رقابة صارمة تفرض
على الإسلام والمسلمين ، لكن الامر الان يختلف ، هناك تسامح ملحوظ . . ولذا انبعث نور
الإسلام من جديد في ربوع غرناطة بالذات وباذنه تعالى سيعم كل ربوع الاندلس .

وفيما نحن نتحدث عن بعض التفاصيل التاريخية حضر احد ابناء الاخ / شعيب ، وكأني
بدخوله العفوى والقائه التحية يريد ان ينبهنا الى ان الواقع أجدر بالحديث . . كيف لا وها هو جيل
جديد من ابناء (غرناطة) يسعى الى عالم جديد .

قلت للاخ / شعيب : ماذا بالنسبة لابناء مسلمي غرناطة ؟! قال :

قبل مدة كان هناك مدرس مسلم يقوم بتعليم أبنائنا في مدرسة اسلامية خاصة ، ولكن بسبب
بعض المصاعب اضطررت الى نقل ابنائي الى مدرسة عمومية (حكومية اسبانية) ، ومع البحث
اهتديت الى شخصين من موريتانيا يقومان باعطاء دروس في اللغة العربية والعقيدة الاسلامية
فألحقت أبنائي بهما ، بالتأكيد ثمة صعوبات ، ولكننا نحاول تجاوزها .

سألته : هل هناك مطبوعات اسلامية تساعدكم على تعليم ابنائكم ؟ أجاب :

لا اثر لأية مطبوعات إسلامية ونحن في أمس الحاجة الى مثل تلك المطبوعات سواء كانت كتباً
او مجلات أو صحفاً .

قلت : اذن ما هي صلتكم بالعالم الاسلامي ؟ قال :
في الواقع ليست هناك أية صلة او اى نوع من العلاقات . . ولكن بين الحين والآخر نفاجأ
بزوار مسلمين ، نلتقى بهم ، يحاولون مساعدتنا بتقديم بعض العون لنا . ولا توجد اية علاقات مع
الحكومات في العالم الاسلامي .

سألته : كيف تمارسون حياتكم كمسلمين ؟!
أجاب بهدوء وثقة : اننى كاسبانى أمارس حياتى بشكل عادى وطبيعى فى عملى وعلاقاتى مع
الآخرين وعلاقاتى مع دواوين الحكومة . الا اننى كمسلم لى كيانى الخاص أودى واجباتى الدينية
فى حرية كاملة ، وأشارك المواطنين داخل حيننا (حى البيّازين) قضاياهم الاجتماعية . . لا يمكن
ان اكون منظويا انطلاقا من ان الاسلام دين معاملة . . ازور الاصدقاء ، وأسأل عن احوالهم ،
أعود المرضى والعجزة ، وأحاول مساعدة الفقراء . . الامور كلها بالنسبة لنا عادية فى حياتنا
العامة . . ويضيف : لكننا كمسلمين لنا عدة طلبات أو رغبات نأمل ان تتحقق . . منها :
مكان نقيم فيه شعائر ديننا . . فالمسجد الحالى مكان صغير ومؤجر ونتمنى ان يكون لنا مسجد
بحجم مناسب تلتقى فيه جموع مسلمى غرناطة . . ندرس فيه القرآن ونحفظه لابنائنا ، نندرس
فيه أمور ديننا ، نضع فيه الحلول لمشاكلنا الاجتماعية . . انه أهم ما نتمناه فى الوقت الحاضر .
قلت : ماذا تود ان تنقل لاختوتك المسلمين ؟!

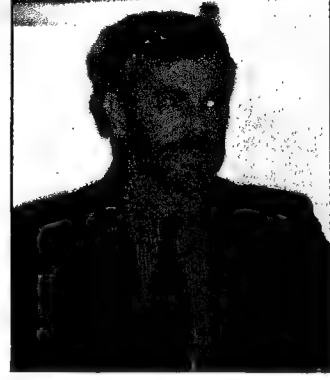
أجاب :
أولا : أود ان أؤكد بأنه لم يسبق لاي صحفى عربى ان زارنا ، وهذه هى المرة الاولى التى
نلتقى فيها بالصحافة العربية والاسلامية .

لا انكر ان بعضا من مندوبى بعض الهيئات الاسلامية زار هذه المنطقة ، وكانوا يستمعون الى
وجهات نظرنا ، ولكن وبكل أسف لم نسمع منهم أو عنهم اى شىء .
ثانيا : ما أود قوله لا يتعلق بى شخصيا ولكنه يتعلق بكل مسلمى اسبانيا ، وربما يتعلق
بالمسلمين جميعا . . اننى أود ان أقول للجميع :

انسوا خلافاتكم الشخصية ، ولنهتم جميعا بقضيتنا الاساسية الكبرى وهى : الاسلام ،
علينا ان نتحد وان نعطي المثل الاعلى والقُدوة الحسنة حتى نكون جديرين بالانتهاء الى الاسلام ،
ان مسلمى اوربا عامة ينتظرون من جماهير المسلمين مثل هذا الامر ومن شأنه ان حدث ان ينعكس
ايجابيا على كل مسلمى اوربا فهم جزء من الجسم الاسلامي الواحد .



النظرة الإيجابية نحو العرب



د . ماريانو الونسو بوروبون

ما ان انبأني الصديق الدكتور على الحلو بصعوبة الاتصال بالدكتور ماريانو الونسو بوروبون رئيس المعهد الاسباني العربي للثقافة ورئيس لجنة الاندلس لعام 1992 م حتى تداعى الى الذاكرة المثل القائل : لا بد من صنعاء وان طال السفر .

ولا ادري هل قلت هذا علنا أو رددته في الذاكرة ، الا ان الامر المؤكد هو انني قررت لقاء رئيس لجنة الاندلس لعام 1992 م ، لعدة اسباب من اهمها انني حين اطلعت على بعض محاضر اجتماعات السفراء العرب في مدريد مع الدكتور « ماريانو » وجدت ان للرجل آراء ومقترحات ايجابية حيال عدد من القضايا العربية .

لذا توجهنا الى مبنى المعهد الاسباني العربي للثقافة دون موعد أو اتصال وكانت الخطوة ايجابية بشكل لم نتوقعه ، حتى ان اللقاء بدأ في الدقائق الاخيرة من ساعات الدوام لكن الدكتور « ماريانو » الذي شعر بما كنا نخشاه بادر الى القول بأنه أولا يعتذر عن هذا التأخير مشيرا الى فترة الانتظار مضيفا انه على استعداد لمواصلة الحديث بغض النظر عن الوقت . قلت في نفسي : بداية مشجعة ، ولذا آثرت أن ادير حوارا لا ان اكتفى بمجرد تصريح صحفي عن الاندلس 1992 م .

ولكون محدثنا يرأس هذه المؤسسة الثقافية ذات الصلة الوثيقة بأي نشاط ثقافي اندلسي ولكونه رئيسا للجنة « الاندلس لعام 1992 م » فقد كان من الطبيعي ان ينطلق في حديثه عن هذه النقطة فقال مشيرا الى سنة 1992 م بشكل عام :

كما تعلمون ستعيش اسبانيا هذه السنة 1992 م احداثا هامة : على المستوى الاوروبي .
السوق الاوروبية الموحدة .
أوروبا بدون حدود .
الالعاب الاولمبية في مدينة برشلونة .

والاهم من ذلك كله الاحتفالات بمناسبة مرور الذكرى المئوية الخامسة لاكتشاف القارة
الامريكية .

وفيا يتعلق بهذه المناسبة فان اسبانيا لا تريد النظر الى الماضى فقط ، بل تسعى الى تجسيد
انعكاسات ذلك الماضى على المستقبل .

علاقتنا بالوطن العربى نرى انها ستستفيد من هذه المناسبة « 1992 م » والتي ستكون فرصة
سائحة لاطهار دور العرب خاصة فى عملية الكشوفات نفسها .
من ناحية ثانية فاننا نسمى الى ابراز الشخصية الاسبانية والتي يرجع الفضل بالنسبة لها
للحضارة العربية .

التقطت الخيط المهم حول العلاقات الاسبانية العربية وبخاصة ما تركته الحضارة العربية
الاسلامية من أثر فقلت : لاشك ان الجانب الثقافى يجسد بوضوح مدى الترابط بين اسبانيا
والعرب .

قال : هذا شىء واضح ، ويستطيع كل من يتجول فى اسبانيا ان يكتشف دون عناء الاثر
الذى خلفه الماضى ، وهو ما لا نشاهده فى فرنسا ، اضافة الى ادلة ملموسة على ماض مشترك ،
وبعد ذلك اذا نظرنا بتعمق قصد التعرف على اسبانيا فاننا سنجد الكثير من القرى والاماكن تحمل
حتى الآن اسماء عربية ، كما ان هناك عددا كبيرا من الكلمات فى اللغة الاسبانية تعود الى اصل
عربى ، اضافة الى الكثير من مظاهر الآثار فى الفنون والفلكلور والتقاليد ، كما أن اسلوب المعمار
والتشييد مرتبط بجذور عربية .

كل ذلك يعنى لنا كدولة اوربية الشىء الكثير ، فنحن نمثل اكبر دولة اوربية من حيث
العادات والتقاليد قربا من العرب ، وعليه فنحن لذلك نفهم اكثر من غيرنا ونتعاطف مع القضايا
العربية .

لقد قمنا بعدة اتصالات عن طريق جامعة الاقطار العربية ، وقمت شخصيا بزيارة السيد /
الشاذلى القليبي امين عام جامعة الاقطار العربية واجتمعت بمدير منظمة المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم ، هناك عدة قرارات صادرة من الجامعة تقوم على مبدأين :
الاول هو ان الاقطار الاعضاء تؤيد احتفالات 1992 م .

الثاني دعوة الاقطار العربية للمساهمة في سلسلة المعارض المتعلقة بالاندلس .
كما ان جامعة الاقطار العربية أمرت بتشكيل لجنة لبحث سبل المساهمة ، وأعتقد بأن هناك تنسيقا كبيرا مع جامعة الاقطار العربية في هذا المجال .
قلت :

في بداية العام 1988 اطلعت على ما نشرته جريدة « الباييز » الاسبانية عن لجنة الاندلس لعام 1992 حيث قالت الصحيفة بأن اعمال اللجنة تلقى بعض الصعوبات ، ولذا سألت الدكتور « ماريانو » عن طبيعة الصعوبات التي تعترض اللجنة وهل تمكنت هذه اللجنة من تجاوز تلك الصعوبات .
أجاب :

لم تكن هناك صعوبات ، صحيح ان المشكلة الرئيسية والمزمنة تتعلق بالتمويل ، وبشكل عام استطيع القول بأنه لا بد من الابتعاد عن المشاريع الضخمة واستغلال الاموال المتوفرة بشكل سليم وادارة جيدة وخيال واسع حتى نتمكن من تنفيذ المشاريع المقترحة ، ربما لا نستطيع القيام بأعمال كبيرة ومثيرة ولكنها ستكون ذات مغزى هام .

اخيرا : كيف ينظر المعهد الاسباني العربي للثقافة الى التطور الملحوظ في تناول القضايا المتعلقة بالوطن العربي على المستويين الاسباني والاوروبي ؟
قال الدكتور « ماريانو » :

هناك نقطة جوهرية من المهم الاشارة اليها لفهم الوطن العربي ، وهي انه يجب الان ننسى بأن الغالبية الساحقة من الوطن العربي كانت قد استعمرت من قبل الغرب ومن دول اخرى لم تكن تحسب على الغرب وأعنى بذلك الاتراك الذين استعمروا العرب فترة طويلة ، كما أن العرب خرجوا في مرحلة من المراحل وأثروا في دول كثيرة وفي هذا المجال فقد جرت العادة ان الدول المستعمرة غالبا تستعمل ثقافة الدول المستعمرة « بفتح الميم » كاداة طيعة في يدها ، والهدف من ذلك تبرير وجودها في تلك البلاد .

عليه فان العالم في احدى المراحل نظر الى الثقافة العربية باعتبارها موضوعا يستحق الدراسة من حيث الماضي وبتجاهل تام للحاضر وللواقع الراهن .

وبعد التخلص من الاستعمار لم يعد ثمة مجال للابتعاد عن الواقع العربي . لذلك فان النظرة الى العرب لن تكون ايجابية الا اذا انطلقت من فكرة مسلمة وهي انهم احد اطراف التاريخ المعاصر القادرون على التأثير في الآخرين والتأثر بهم .

فى نهاء هذا الحوار الذى استمر طيلة فترة الظهيرة ، وهى الفترة التى ربما كان من المتوقع أن تكون على خلاف ما حدث بالنسبة لرئيس المعهد الاسباني العربى للثقافة خاصة وأننا بدأنا الحديث فى نهاء فترة العمل الاولى وانتهاه قبيل بداية فترة العمل المسائية - فى نهاء هذا الحوار تسلم الدكتور ماريانو النسو بورون درع جمعية الدعوة الاسلامية العالمية كهدية لتوثيق عرى التعاون .
وكم كانت سعادتنا غامرة حينما عدنا فى اليوم الثانى لنجد أن هديتنا تصدّرت مكتب رئيس المعهد العربى الاسباني للثقافة ورئيس لجنة الاندلس لعام 1992 م .



الثقافة العربية منطلق لثقافتنا



مديرة ادارة العلاقات الخارجية
بوزارة الثقافة الاسبانية

ها أنذا اقترب من نهاية هذه الاوراق التي حاولت من خلالها اعطاء صورة تقريبية لموضوعين رأيت انهما يستحقان جزءا من الاهتمام .

أولهما : بقايا حضارة اعطت العالم اضافات لا مجال الى انكارها بأي حال ، وجسدت طيلة ثمانية قرون أحد اهم ملامح الشخصية العربية التي صهرها الاسلام ودفع بها الى عالم الابداع والتألق .

ثانيهما : حدثت اختلافات الاراء حوله ، فمن داع الى ضرورة الاهتمام به واعتباره من أوليات القضايا المعاصرة باعتباره حدثا يعيد الى الازهان ذكريات تشعر كل الاطراف بأنها تخصه مثلما تخص غيره ، وأعني به الاندلس 1992 م .

ولا ازعم أنني استطعت خلال هذه الاوراق الاندلسية تناول الموضوعين بشكل دقيق ومتكامل .

لكنني استطيع ان أقول بأنني حاولت . والمحاولة ذاتها أمر مهم بالنسبة لي على الاقل . ولعل القراء الكرام قد وجدوا في هذه الاوراق ما ذكرهم بمعلومات كانت حبيسة الذاكرة . وفي محاولة متواضعة ها أنذا أقرب من تحديد مبدئي لوجهة النظر التي كانت مقبولة مني ، وأعني بها : وجهة النظر التي تدعو الى ضرورة مساهمة فعالة في التظاهرات التي تنبناها (لجنة الاندلس لعام 1992 م) .

في هذه الورقة سنلتقي : مديرة ادارة العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة الاسبانية ، والدكتور الهادي ابو طالب مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، والدكتور فيديريكو مايور مدير عام المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم ، فما الذي ستقوله مديرة العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة الاسبانية ؟

قلت : في اسبانيا بدأت منذ فترة التحضيرات بشأن الاحتفالات بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة

لاكتشاف أمريكا ، وكما تعلمين فإن هذه المناسبة تتصادف مع الذكرى المئوية الخامسة لسقوط (غرناطة) آخر المدن الاسلامية المستقلة ، هل هناك أي اتجاه يهدف الى التأكيد على أن مايجري منذ الآن وحتى سنة 1992 م ليس موجها بأي شكل الى احياء بعض من معاني (سقوط غرناطة) ؟

قالت :لقد زرت مؤخرا امريكا اللاتينية ، ولمست شعورا بالحساسية تجاه هذه الاحتفالات حيث رفض الامريكيون الجنوبيون عبارة (اكتشاف امريكا) وهذا من حقهم ، وعليه فقد اتفق على تسمية ذلك (اللقاء الثقافي بين العالمين القديم والحديث) مما كان له الدور الملموس في اثراء ثقافة الطرفين .

لذلك فان مانخطط له الآن وحتى عام 1992 م ليس محاولة لأحياء صدامات بل للتأكيد على أوجه الالتقاء الايجابي . وهذا ماينسحب على (سقوط غرناطة) ، يجب الا ننظر الى ذلك الحدث على أنه ضياع أو فقدان لشيء محدد بل من الضروري النظر دائما الى أن الثقافات تمتد الواحدة بعد الاخرى .

العرب تعايشوا ثقافيا مع بقية السكان في اسبانيا وتفاعلت الثقافات الاصلية ذات الجذور الرومانية والاغريقية مع الثقافة العربية الاسلامية ، وتولدت نهضة جديدة تمكنت من التوصل الى عصرها الذهبي اللامع .

لكل ذلك فان وزارة الثقافة لم تفكر لحظة واحدة بان هذه المناسبة (1992 م) ستكون فرصة لاحياء انتصارات على أحد ، لا على العرب ولا على سكان امريكا .

قلت : كيف تنظرون في وزارة الثقافة الى مساهمة العرب في تظاهرة 1992 م ؟

قالت : العرب يملكون حيزا واسعا للمشاركة ، وعليهم أن يقرروا ما اذا كانوا يرغبون في استغلال هذه الفرصة مع الاخذ في الاعتبار أن العلاقة التقليدية بين اسبانيا والعرب علاقة ممتازة ، ونحن نشعر بأن العرب ينظرون الى الاسبان بشكل خاص مثلما ينظر الاسبان الى العرب بشكل متميز .

قلت : ثمة اهتمام ملموس بالثقافة العربية الاسلامية على المستوى الاوربي والاسباني بشكل خاص ، على أي اساس تفسرون هذا الاهتمام ؟

قالت : أود ان يعلم الكل بأن العالم يسير بخطى حثيثة نحو مواقف تعايش وتفاهم واحترام متبادل ، والتخلي عن التعصب ، لان الاساس هو ان يفهم الجميع بأن الحق والحقيقة هي الاساس في التفاهم .

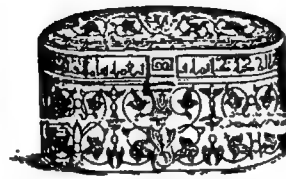
وهذا لم يكن قائما خلال السنين الطويلة الماضية حيث تميزت تلك السنين بالتعصب لافكار ذاتية .

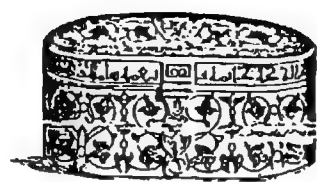
قلت : كان الاسلام يقدم مشوها في كل اوربا ، هل هناك أي تغير في تلك النظرة من ناحية المناهج والمقررات التعليمية لتتغير بالتالي وجهة النظر ؟

قلت : أعتقد ان ذلك ممكن ، والتحدث عن تجربتي الخاصة حيث تعلمت في مدرسة كاثوليكية وأؤكد لكم بأنني لم اشعر في أية لحظة بأن هناك محاولة لبث العداء في نفوسنا ضد الاسلام . لقد قدم لنا الاسلام بما فيه من مساهمات فنية وتقنية للنهضة العلمية المعاصرة . حتى من الناحية الدينية لمست محاولات لايضاح نقاط الانسجام والتوافق بين الاسلام والمسيحية .

قلت : نلمس اهتماما واضحا في عدد من الدول الاوربية بالادب العربي المعاصر من خلال حركة واسعة في مجال الترجمة . هل هناك أية مساهمات اسبانية في هذا الاطار ؟

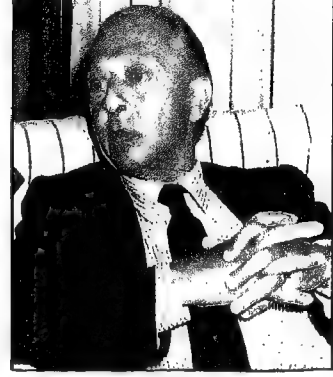
قلت : نعم هناك مجال واسع ويزداد اتساعا ونموا ، وأرى انه من الضروري أن يتجسد اي تقارب ثقافي من خلال ترجمات تنقل الاعمال الثقافية بين الطرفين . لقد اتهمنا دائما بأننا غير اوروبيين بسبب علاقتنا المتميزة مع العالم العربي وامريكا اللاتينية ، وهذا شيء نعتز به .





الحضارة العربية

جزء من الحضارة الأسبانية



د . عبد الهادي ابو طالب

وللدكتور عبد الهادي ابو طالب مدير عام المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم وجهة نظر وصفها بأنها (فكرة مثيرة) ، وجانب الاثارة فيها يتضح من موقفه من التظاهرات التي تشهدها اسبانيا منذ الآن وحتى العام 1992 م ، ذلك الموقف الذي يحاول من خلاله الدكتور / ابو طالب لفت انتباهنا الى جانب يراه أهم من أية تظاهرة .

قال لي الدكتور أبو طالب حين اثرت امامه موضوع هذه الاوراق الاندلسية : سأقول لك فكرة مثيرة ، أنا أعتقد أن صفحة العرب بالاندلس طويت ولن نعود اليها . قلت : ولكن صفحات الحوار لم تظو . قال : لا يجب مطلقا أن يحس أحد أو أن يخامر ادنى حنين الى الماضي ، لقد مررنا بالاندلس وتركنا بصماتنا هناك .

علينا ان ننمي اليوم التراث التاريخي مع المعنيين به في الاندلس دون ان يصبح عملنا من نوع : الغزو الفكري الذي نشكو نحن منه من الآخرين وقد يعيب علينا الآخرون اننا نباشره أو نهارسه .

اليوم هناك حركة داخلية عند الاسبان أنفسهم - ويعتبرون ذلك تقدما كبيرا - تقول بأن التراث العربي والماضي العربي جزء من تراث اسبانيا . وفي رأيي تشجيع هذا الاتجاه سيظل ايجابيا اكثر من تشجيعنا لان تكون هناك احتفالات بتواريخ انقضى عهدها . وأود ان اخبرك بأني تلقيت من هيئة اسبانية دعوة للمشاركة في احياء الذكرى المتعلقة بخروج العرب من الاندلس ، (اي سقوط غرناطة) فرفضت . علينا ان نحور تلك الاحتفالات الى اتجاه ايجابي لا الى البكاء على حدث نقف فيه على الاطلال أو نقول فيه قصائد الرثاء ، على العكس من ذلك يجب ان نقول بأن امتداد الحضارة العربية هو جزء من الحضارة الاسبانية ، وان تؤكد هذا الشعور .

علينا ان نتعاون مع الاسبانيين بدلا من ان نناصبهم العداء في موضع يتعلق بنش الماضي .
واحيانا يكون نش الماضي ليس الا نبشا للرفات عوضا عن ان يكون احياء للتراث .
لذلك فاني اعتقد بأن الفكرة التي يجب أن نتصر لها هي تلك التي تتبناها لجنة الاندلس التي
اشعر بأنها مشدودة للتاريخ العربي ، هذه الهيئة الاسبانية اتمنى أن نشجعها وأن نعمل معها دون ان
نقع في لبس أو التباس تاريخي غير وارد في الازهان الآن ، لأنه استنفد اغراضه في مرحلة معينة .
العرب أدوا رسالتهم ، وتركوا بصماتهم . علينا ان نعمل ليشعر الاسباني بأن هذه البصمات
تدل على ان مرور العرب من هنا (في اسبانيا) كان مرور رسالة خيرة بانية وليس غزوا استعماري
أو استيطانيا .
قلت والدكتور ابو طالب يتهماً لموعد مهم : رغم أن هناك دعوات تحاول ترسيخ مفهوم الغزو
حين يدور الحديث حول مرحلة الاندلس .
قال : ليقولوا ماشاءوا .



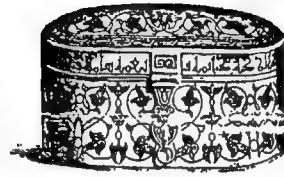
مثال حي للتسامح

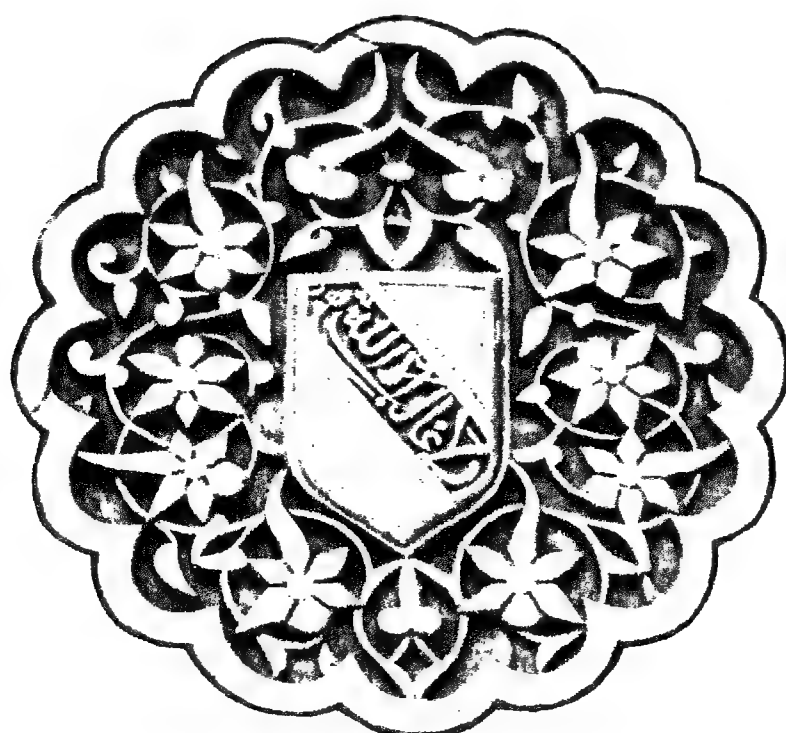


د . فيدريكو مايور

و حين طرحت موضوع الاندلس 1992 م على السيد فيدريكو مايور مدير عام المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم في سياق حديث ليست له صلة بهذه القضية ، حينما فعلت ذلك صمت الدكتور (مايور) برهة وخيل الى ان تلك البرهة من الصمت امتدت بمحدثي عبر احقاب زمنية ومسافات جغرافية ، شعرت وكأنه يستحضر ملامح الاندلس من خلال استلهام مابقي من مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في ربوع بلده اسبانيا .

لقد كان متفائلا في حديثه ، لكنه أثر فقط أن يؤكد على ان الامتزاج الحضاري كان مثالا حيا للتسامح والتعاون ، مضيفاً بأن اسبانيا ستعيش خلال الفترة حتى 1992 م مهرجانا حضاريا متميزا .





القسم الرابع



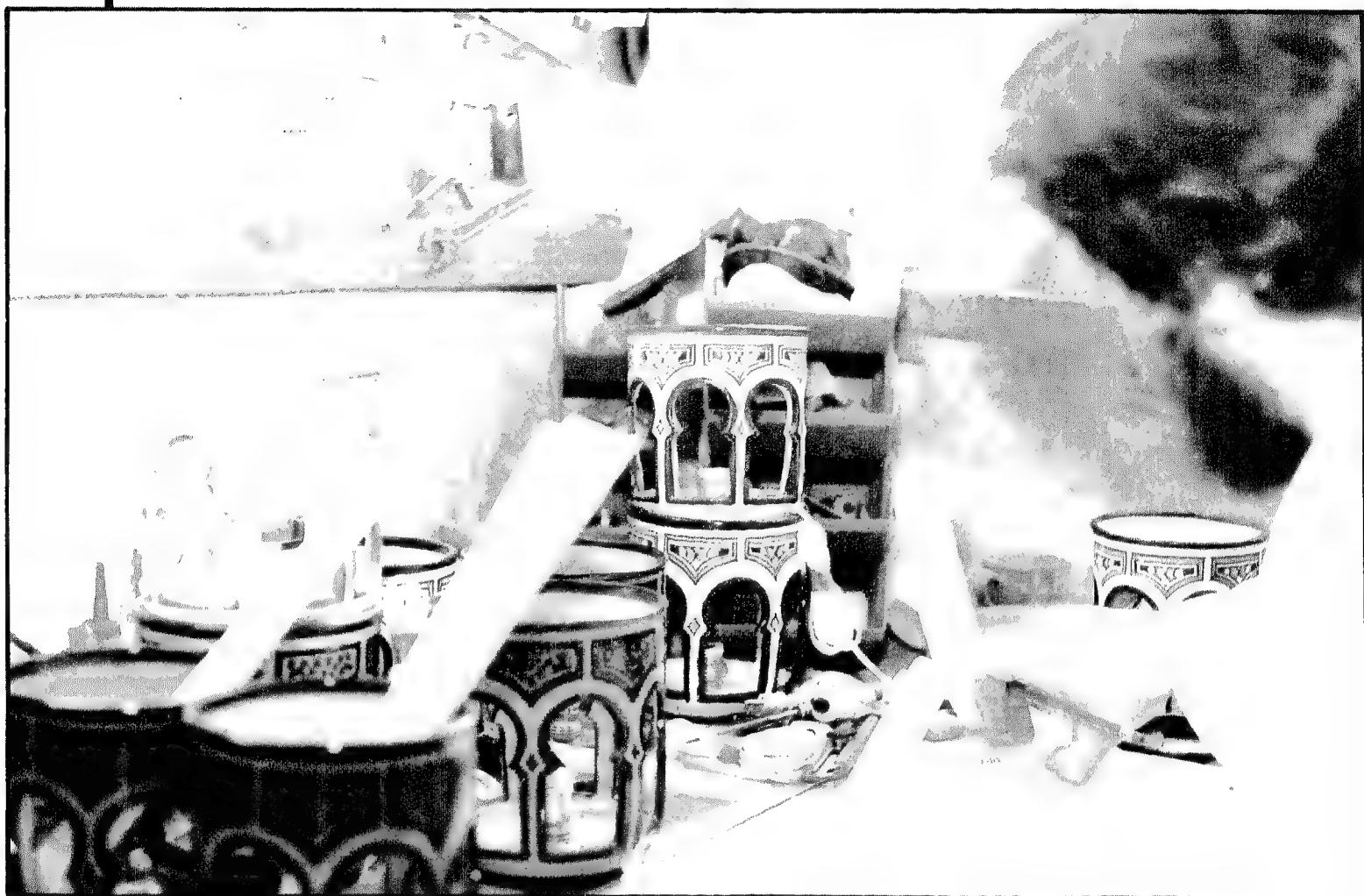






5

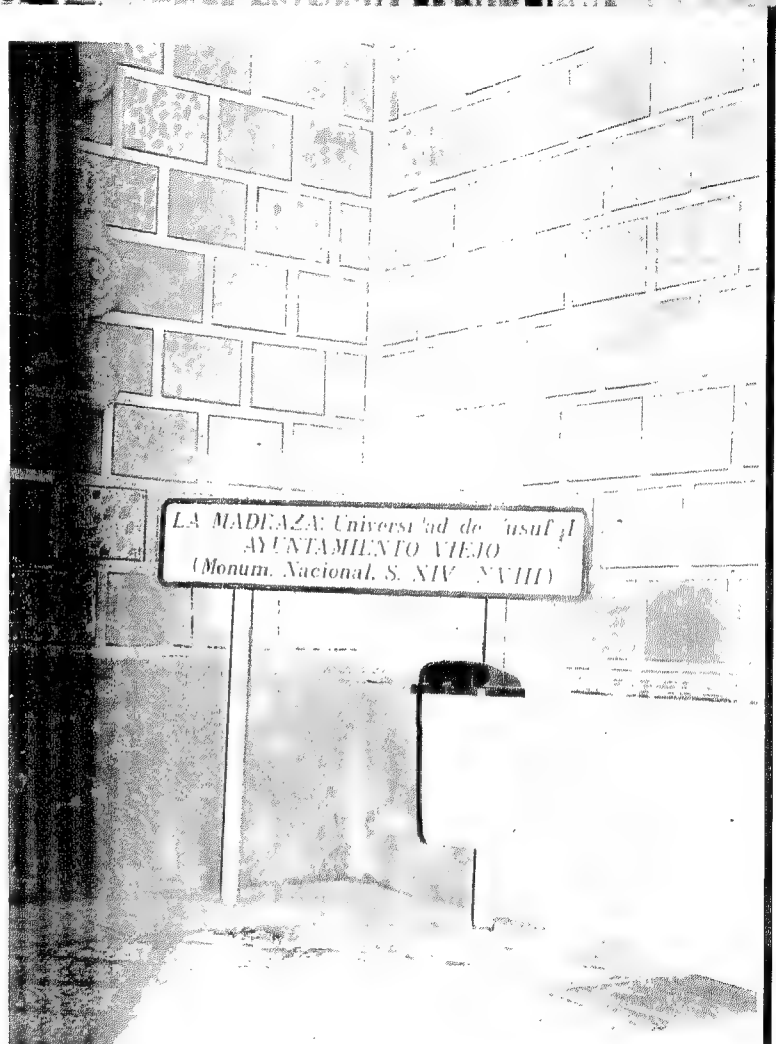
4



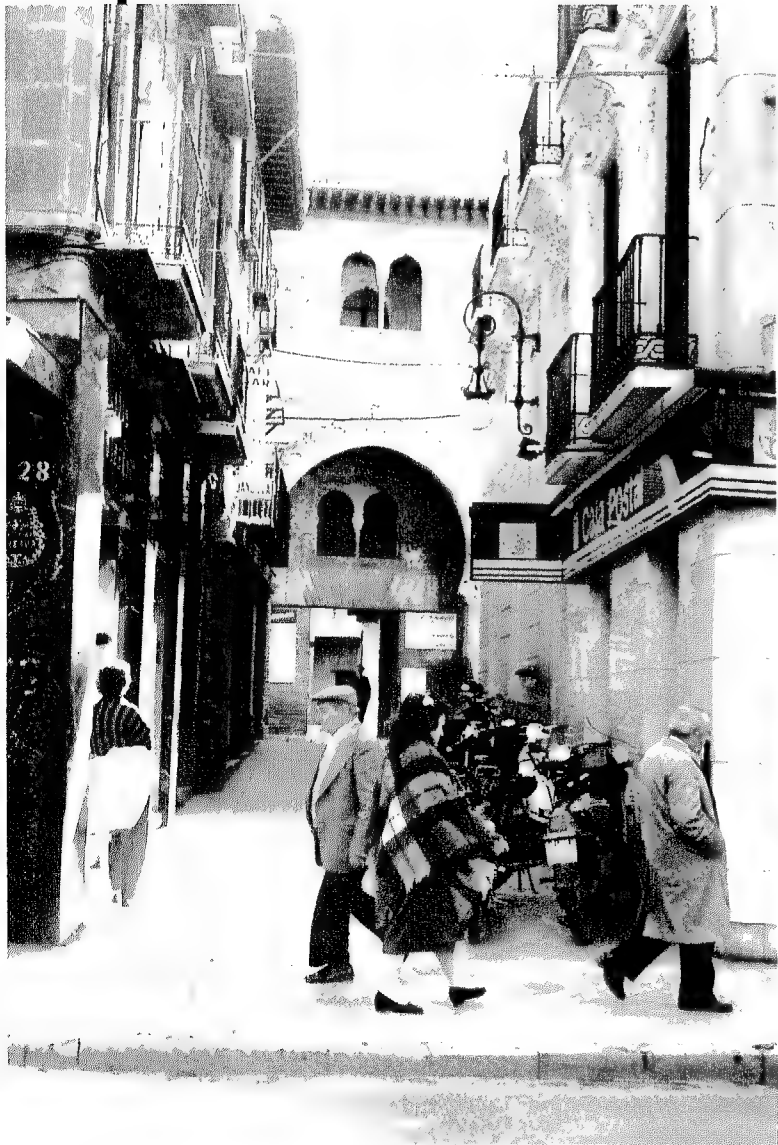
6



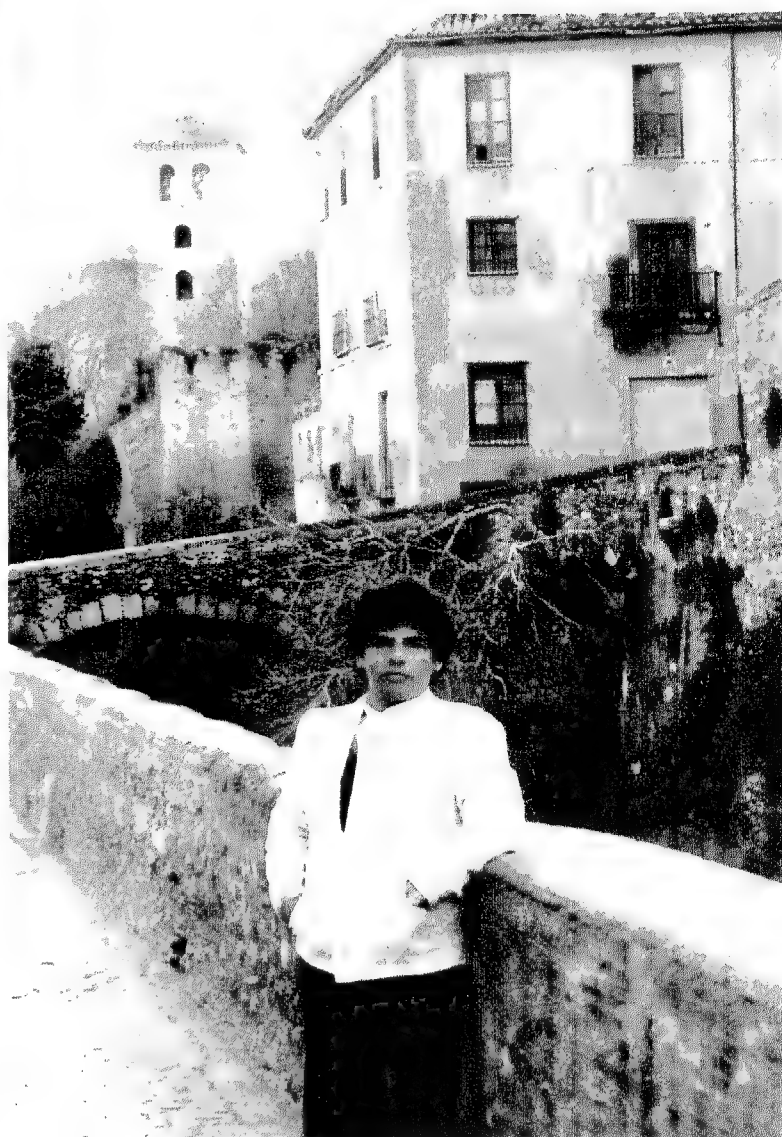
7



8



9



10



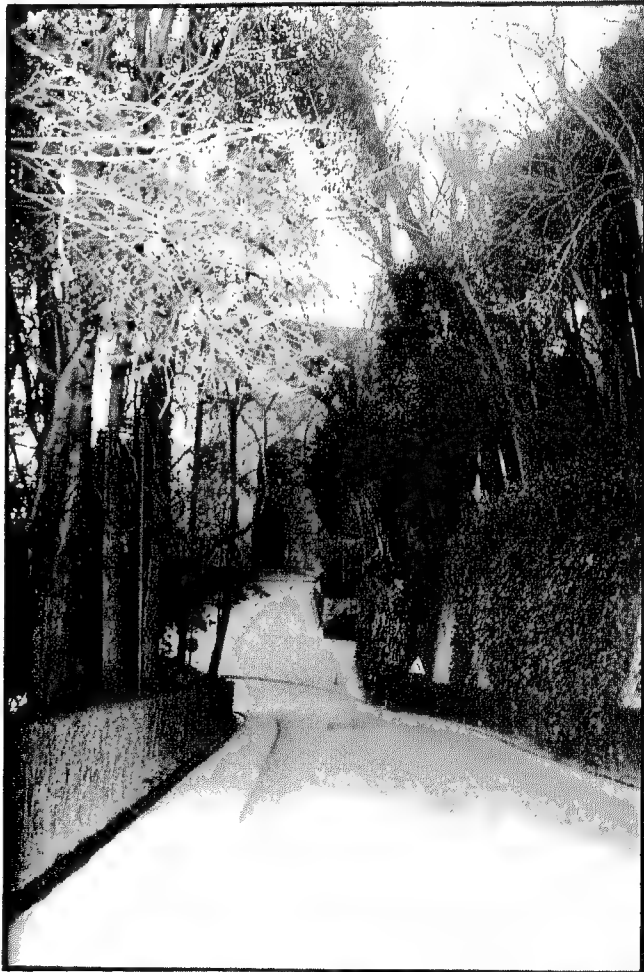
11

12



13

14



15





16



17

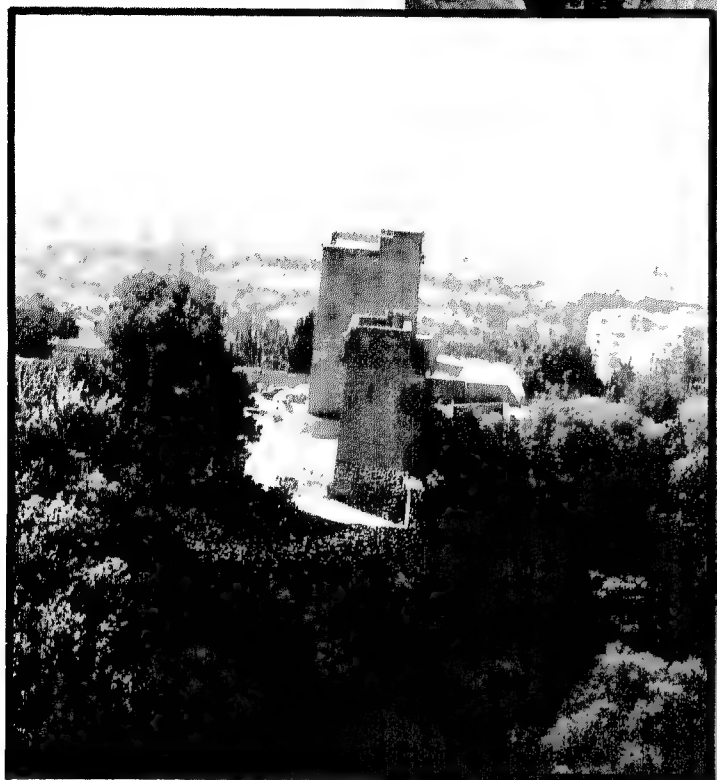
18



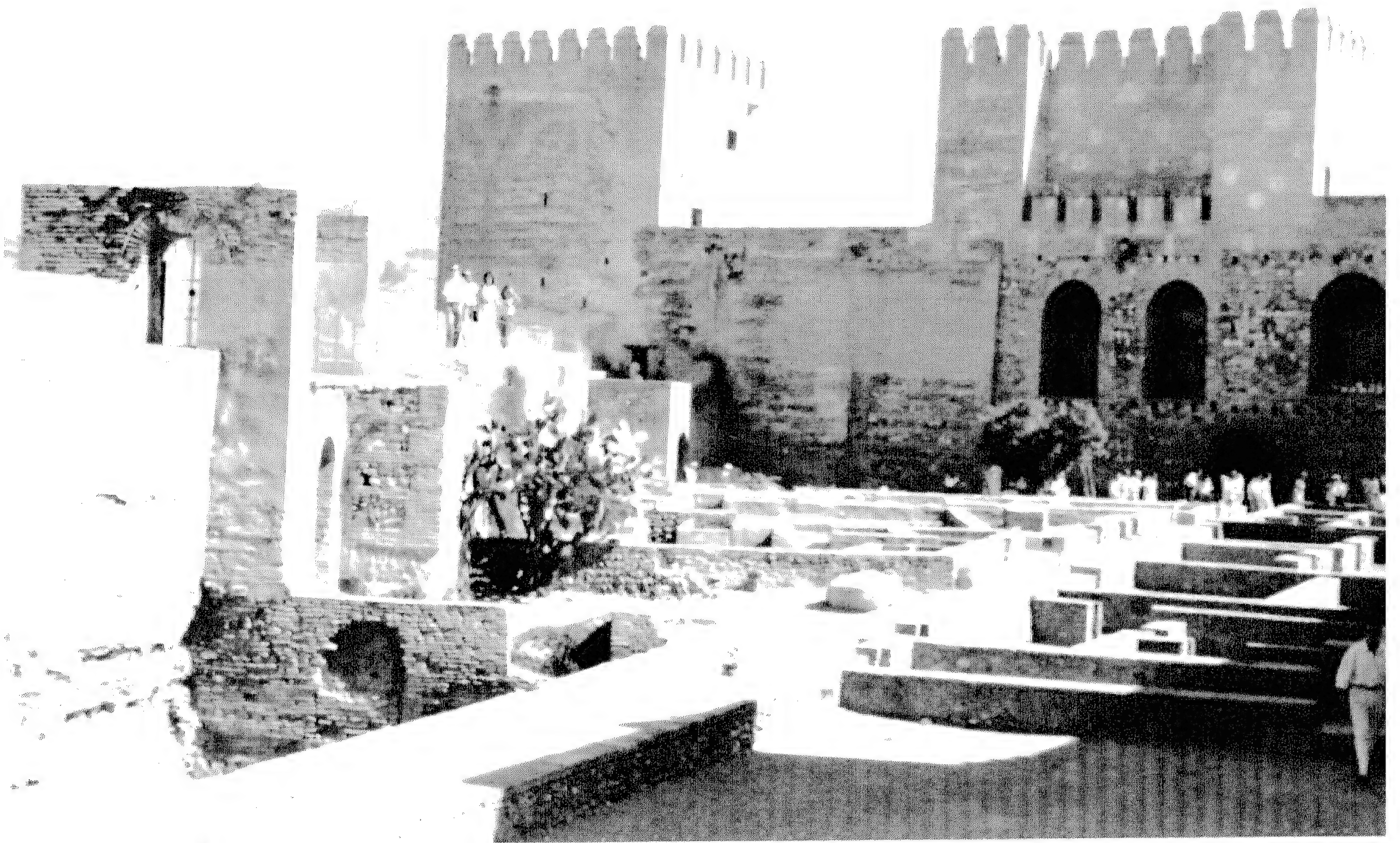
19



22



23



24

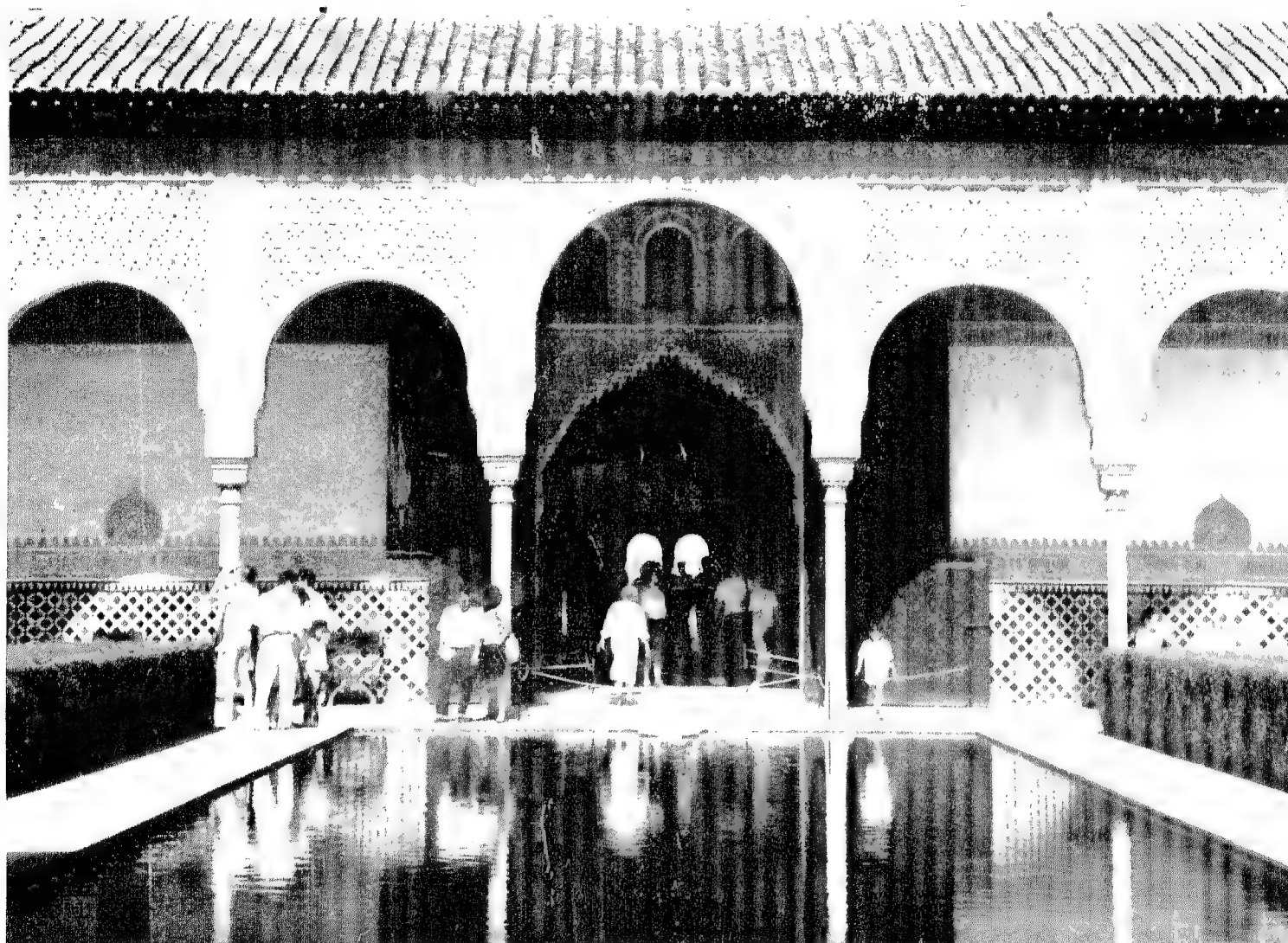
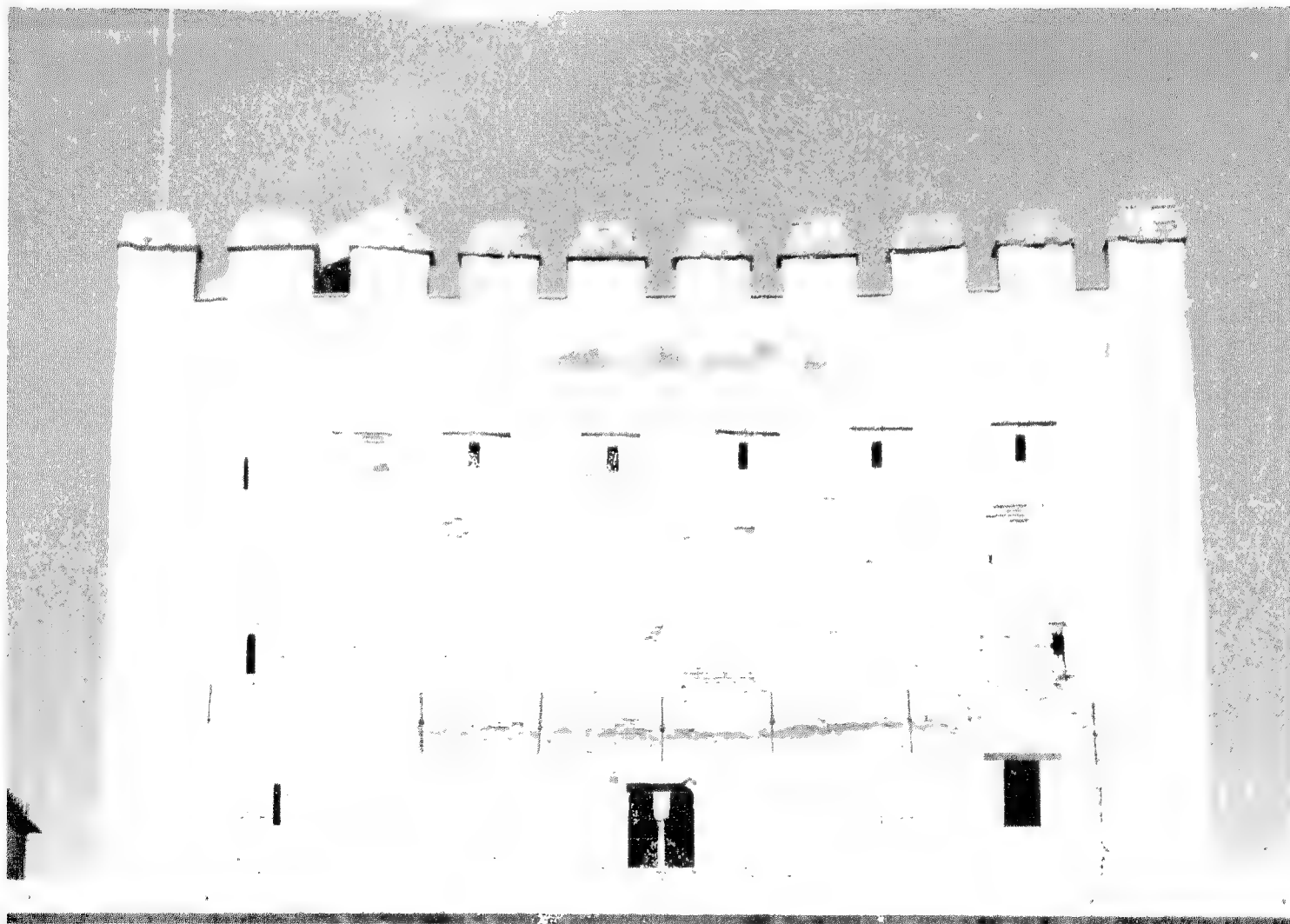


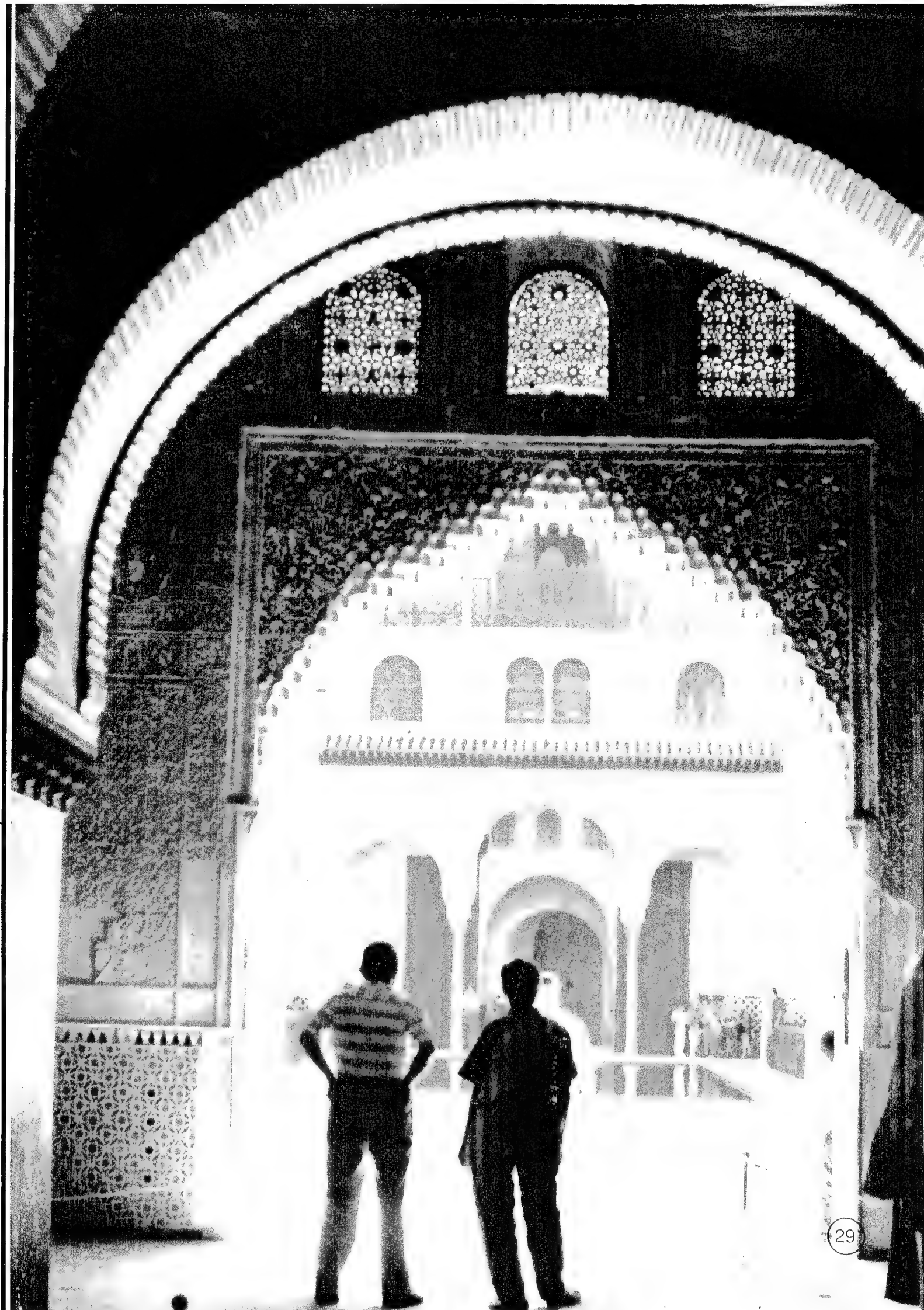


26

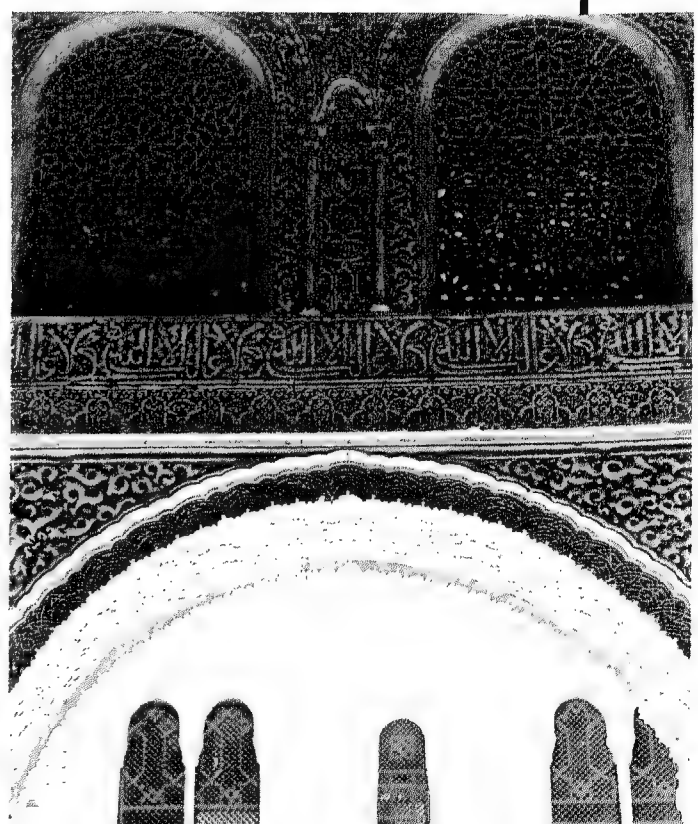


27

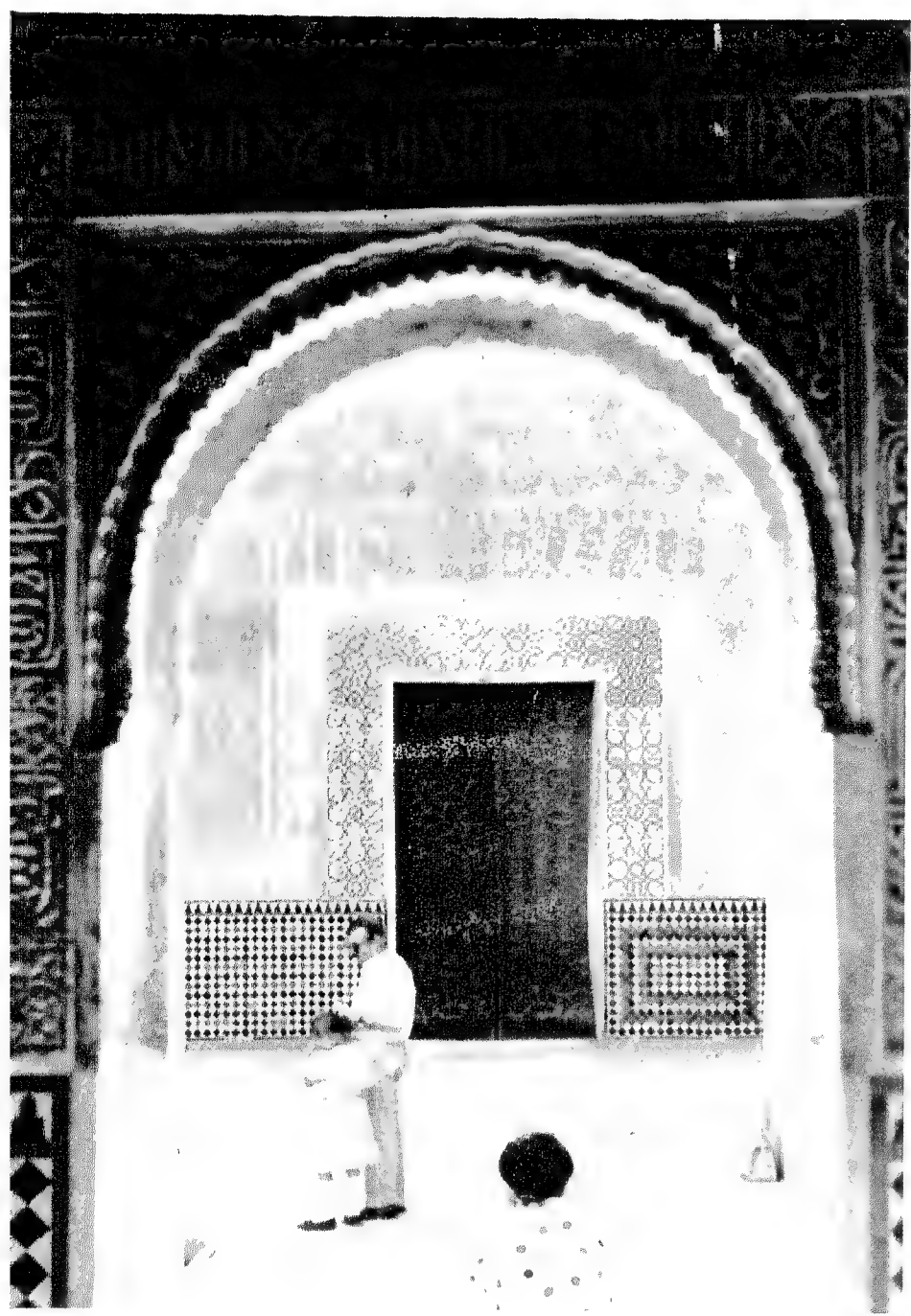




30



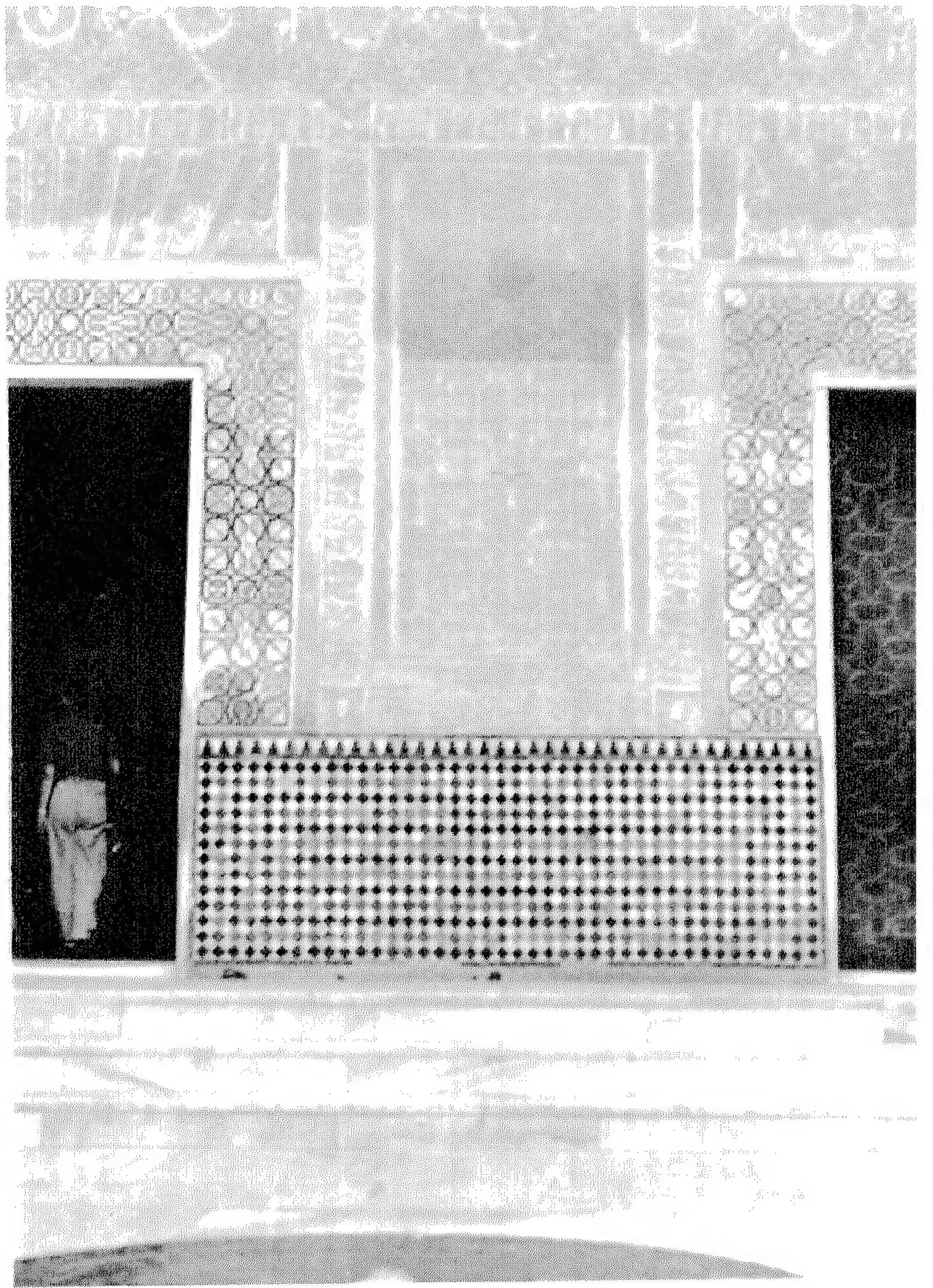
31



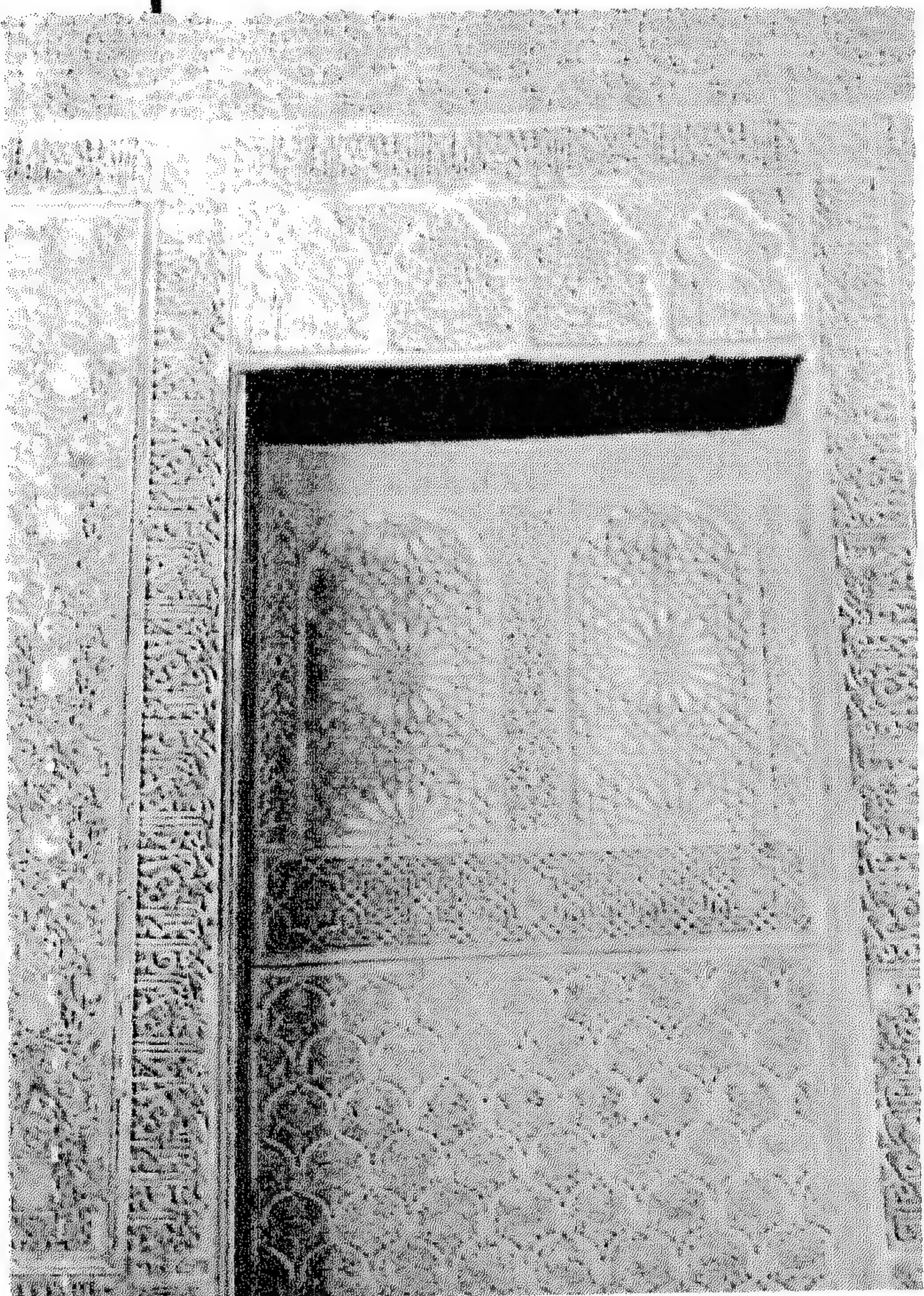
32



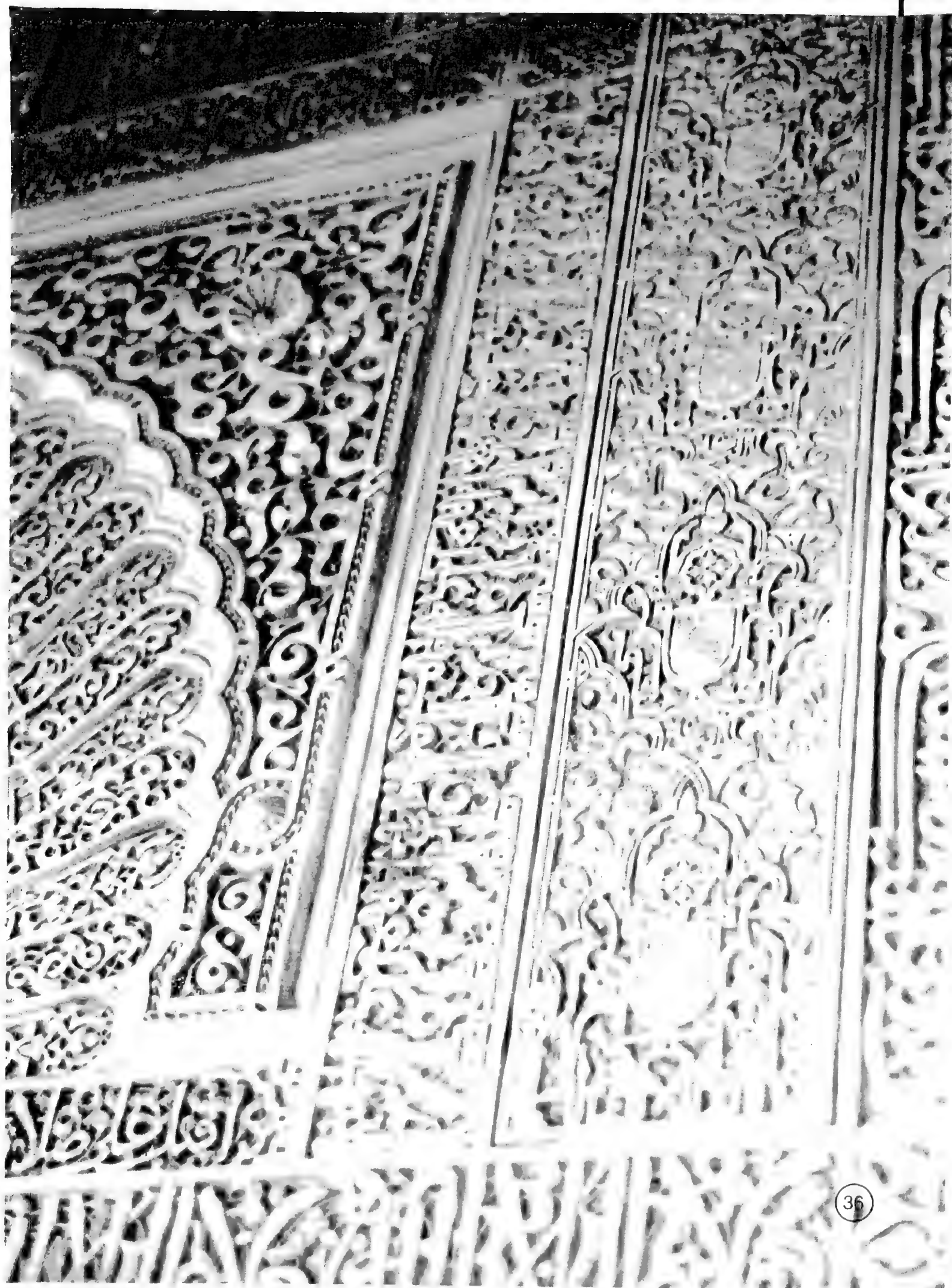
34

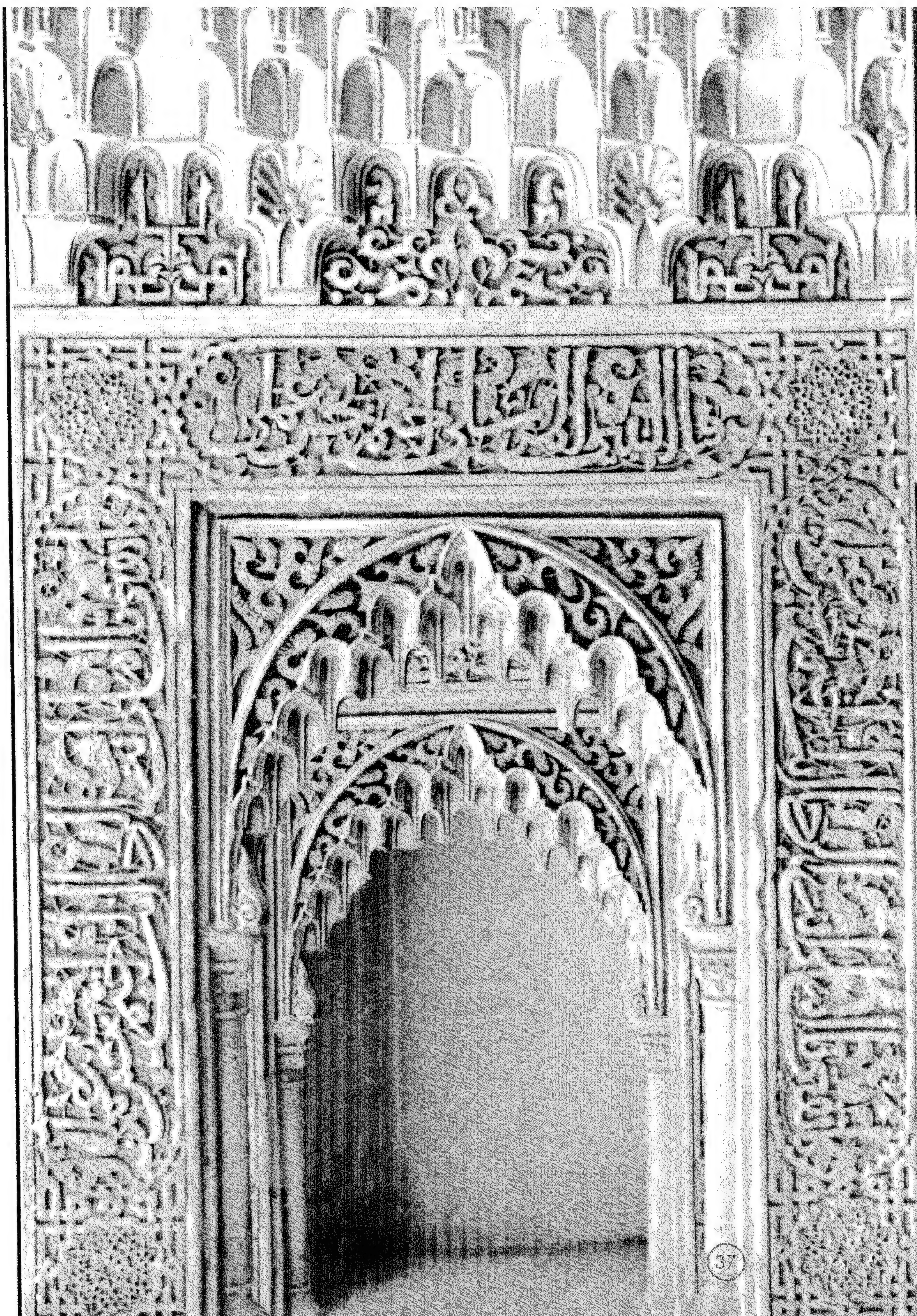


33

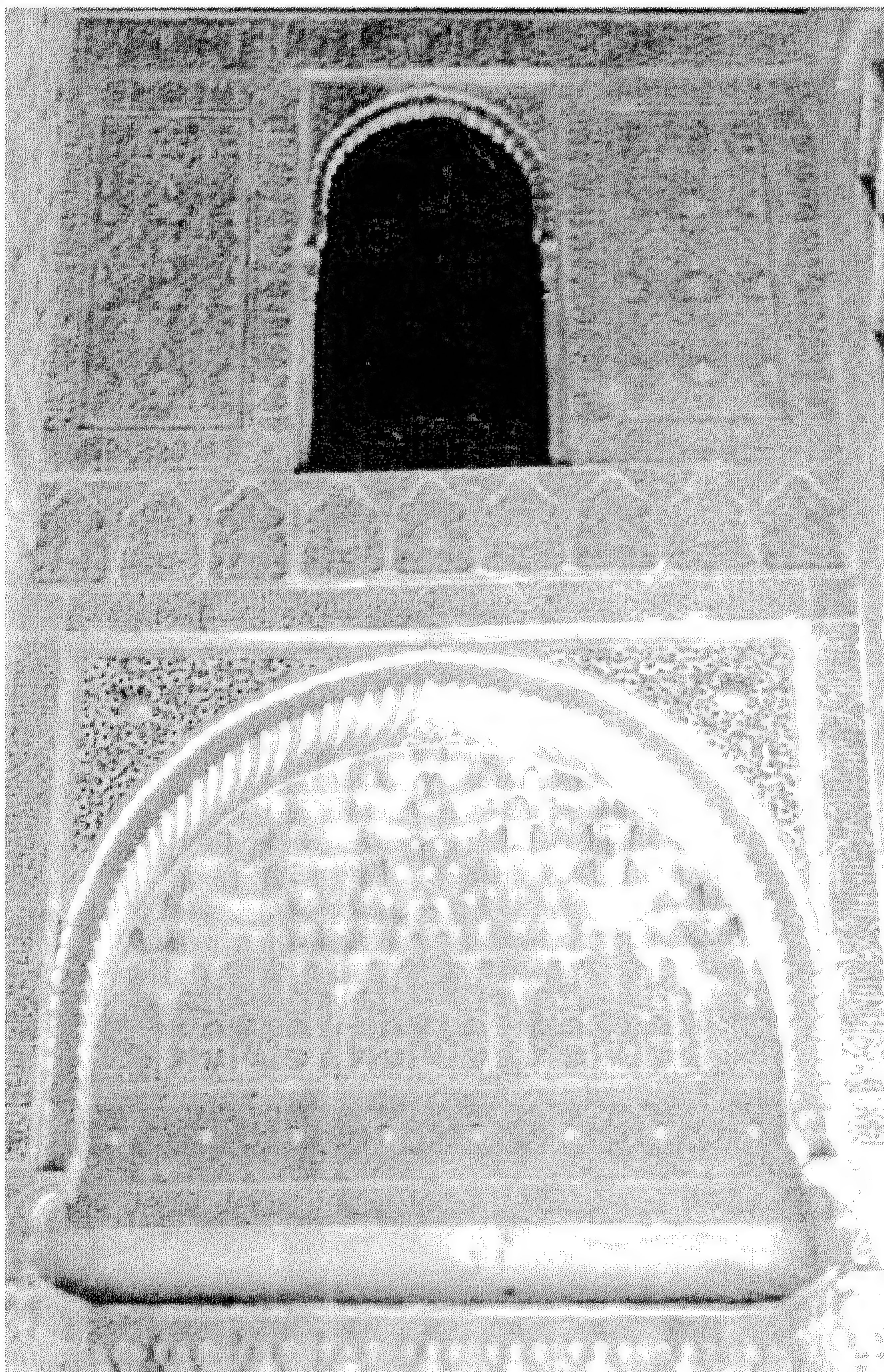


35



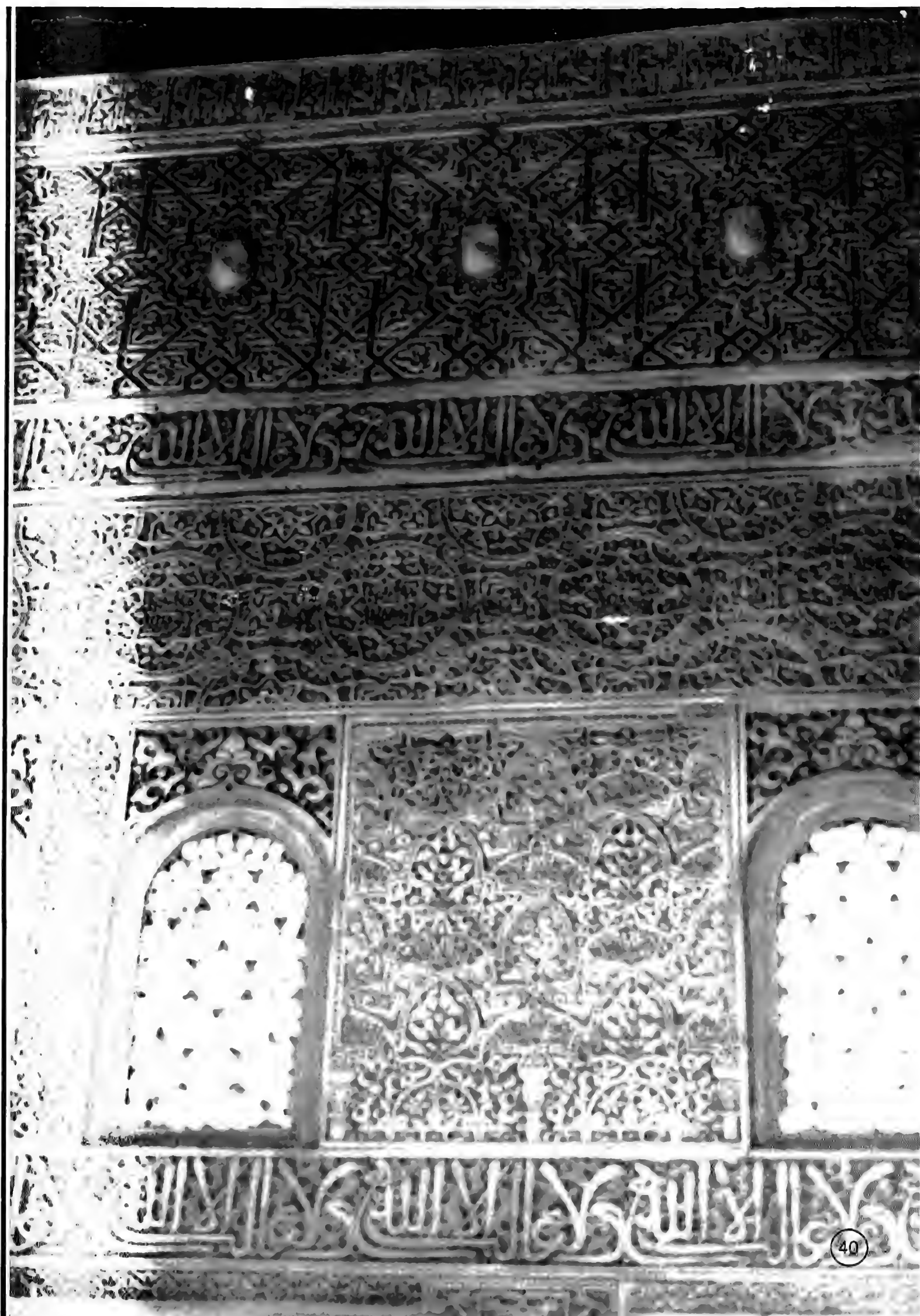


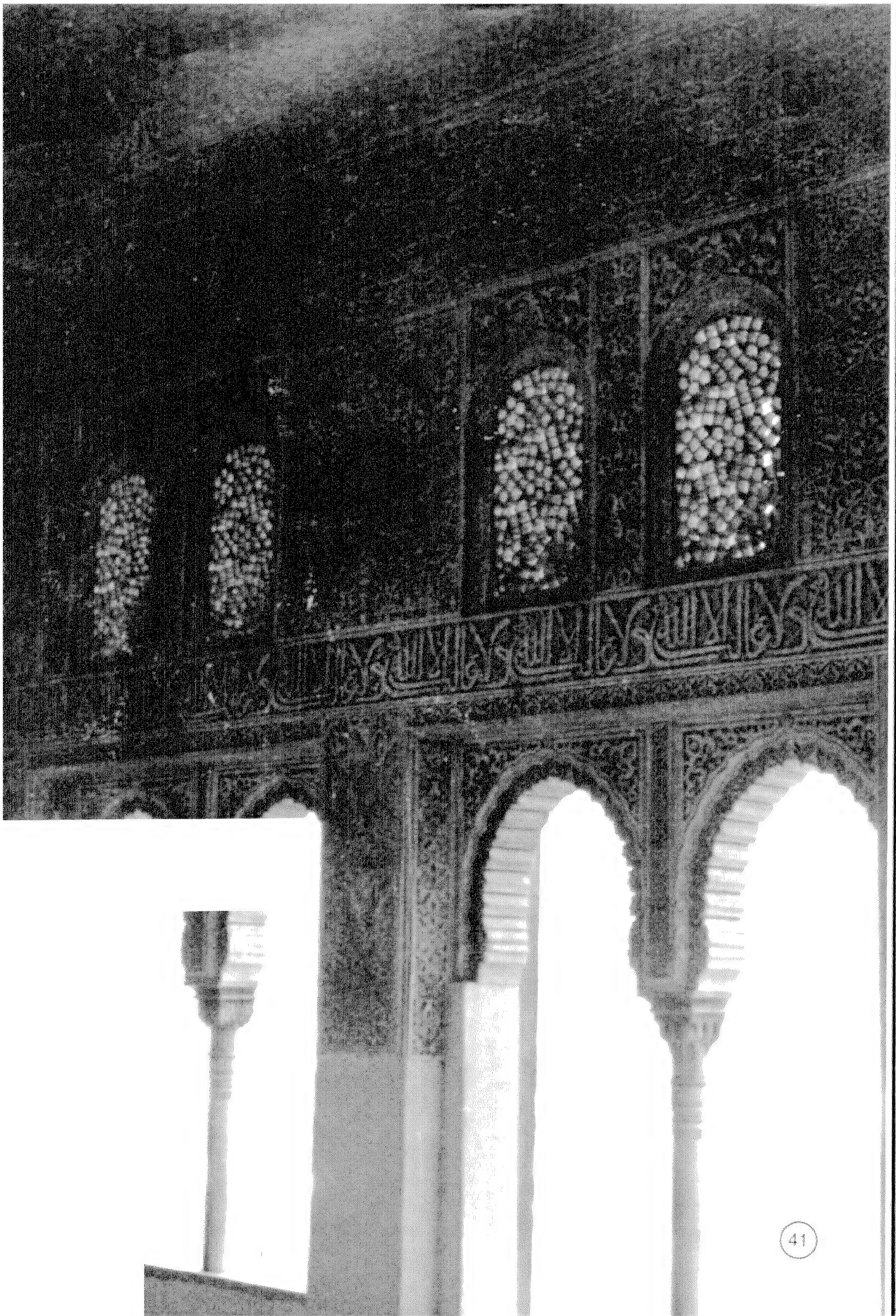
39

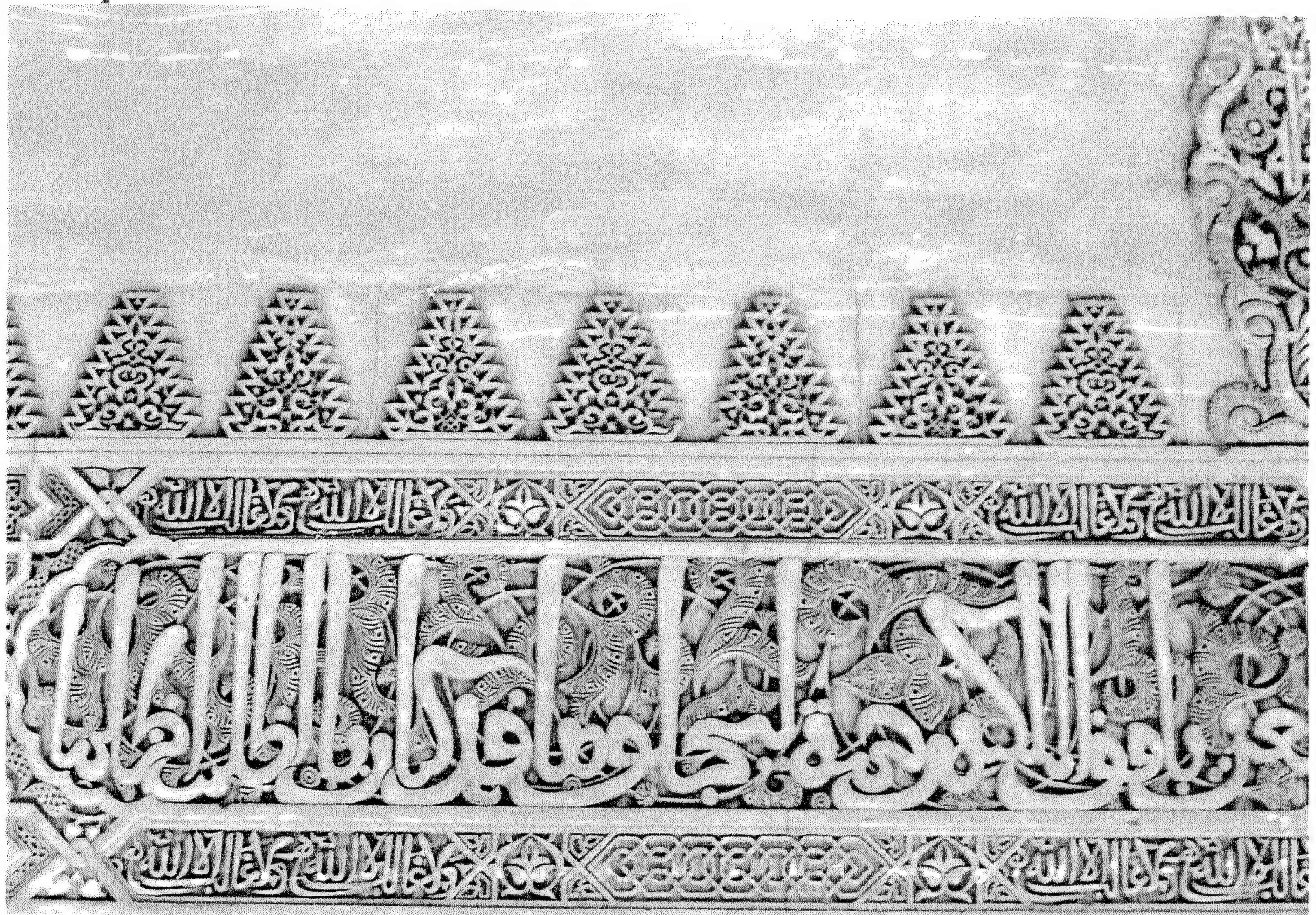


38

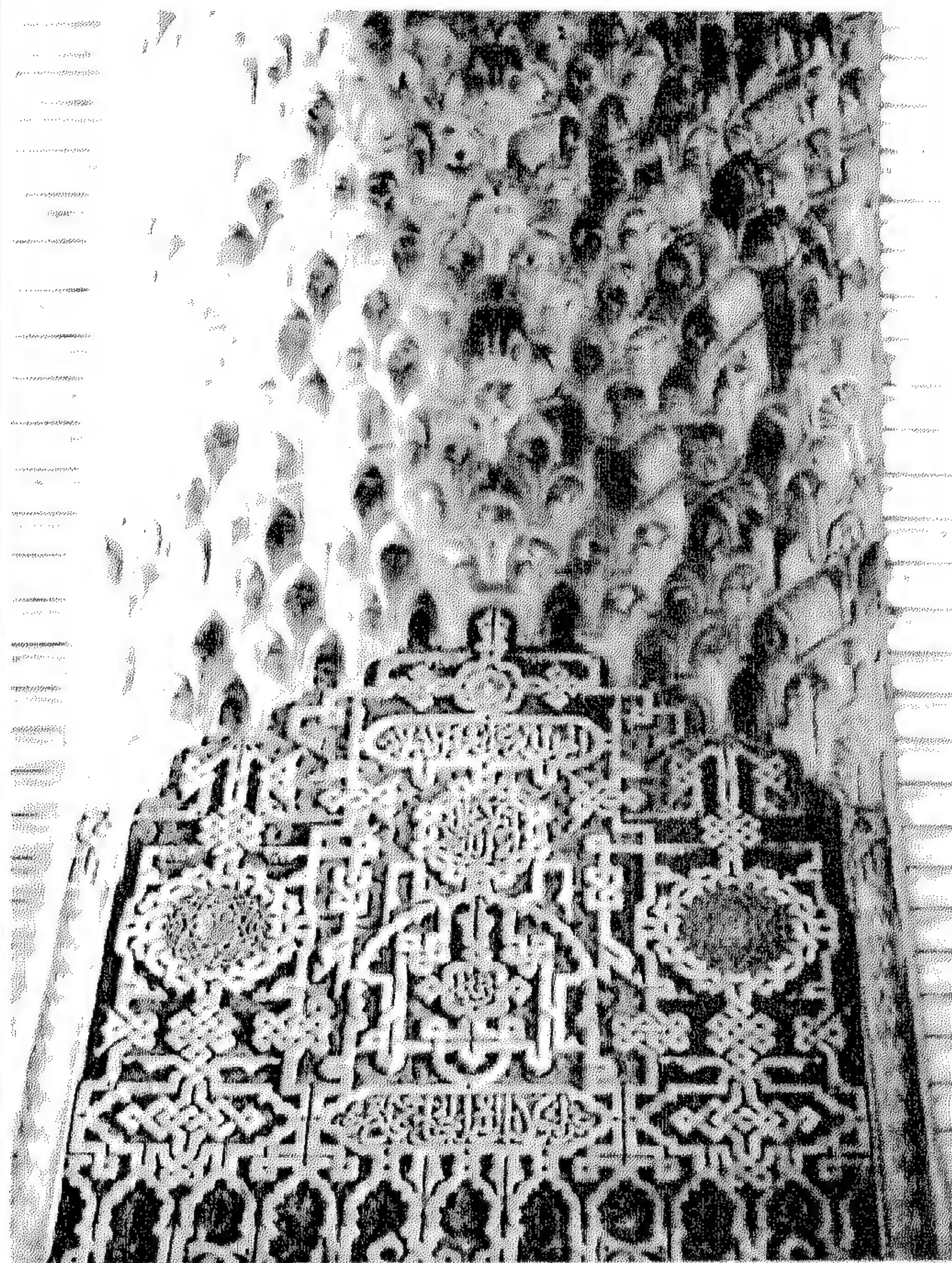




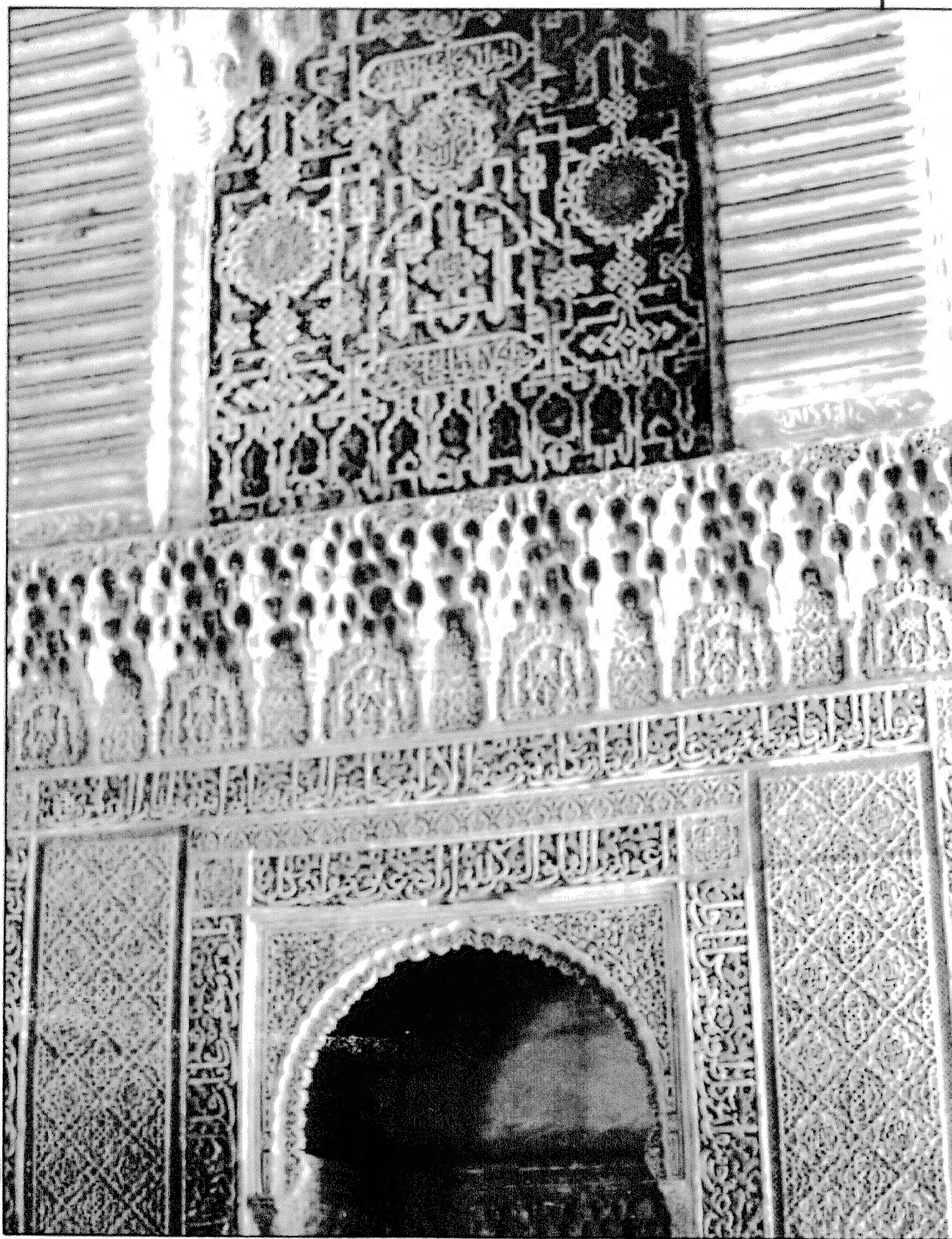


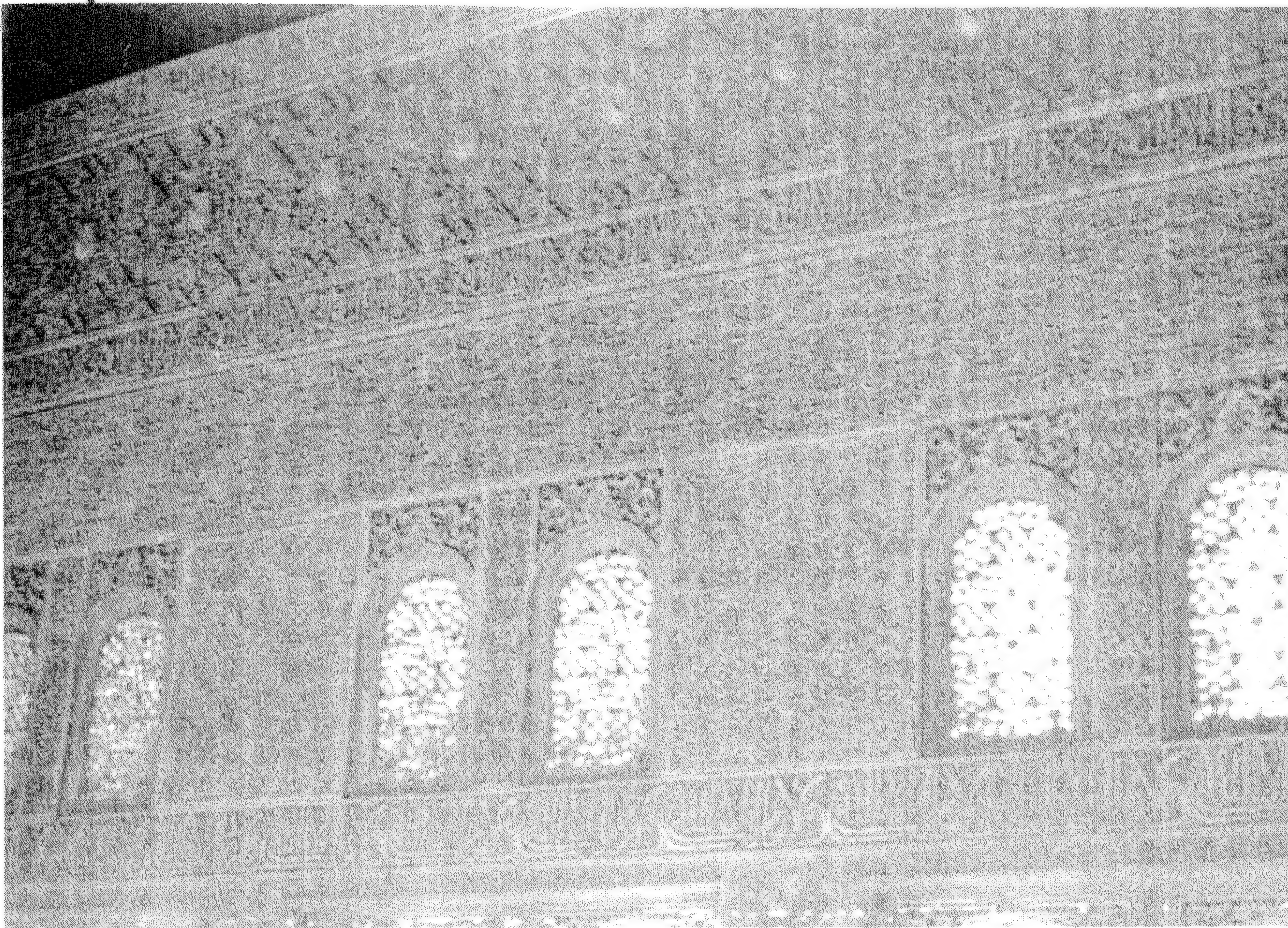


42

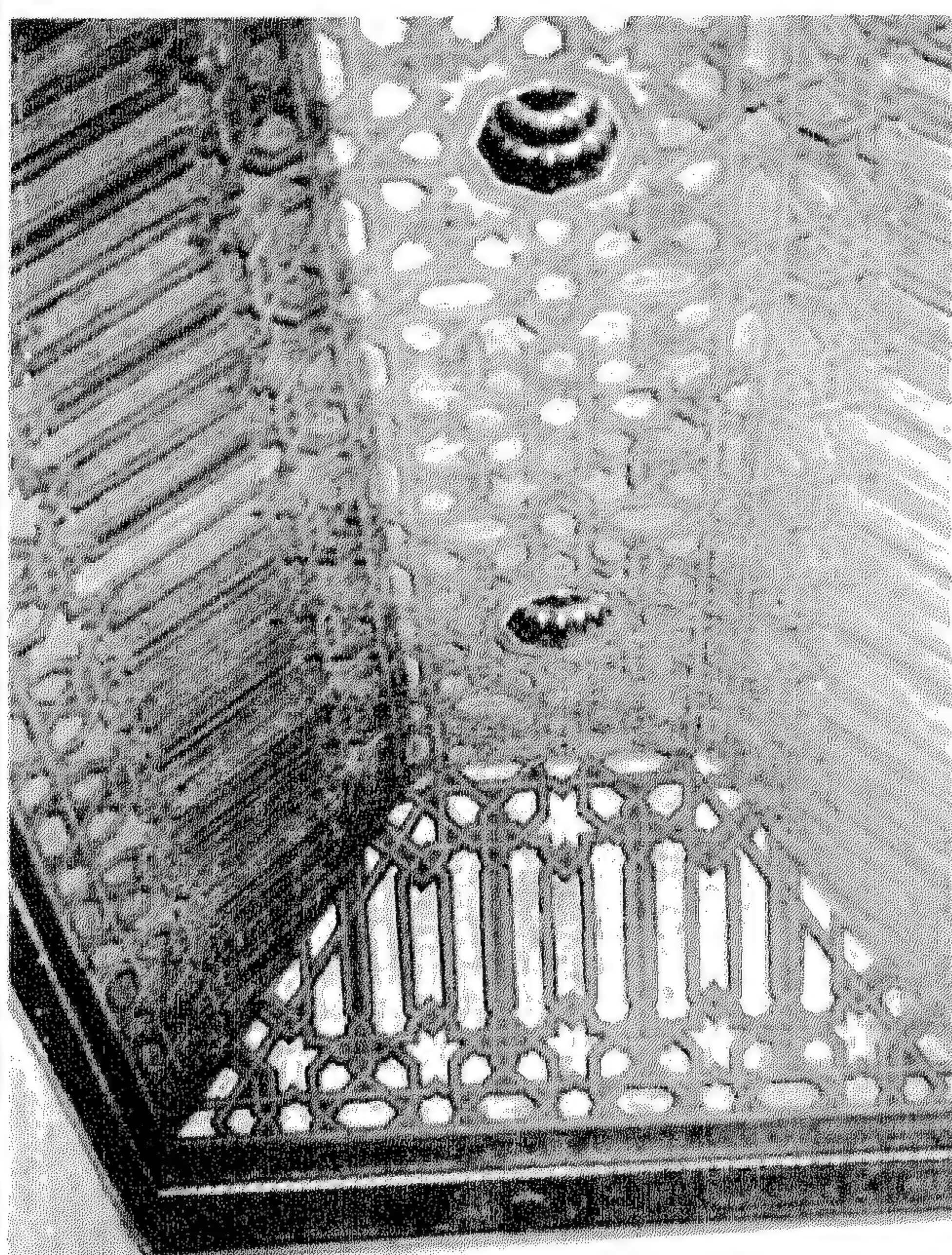


43

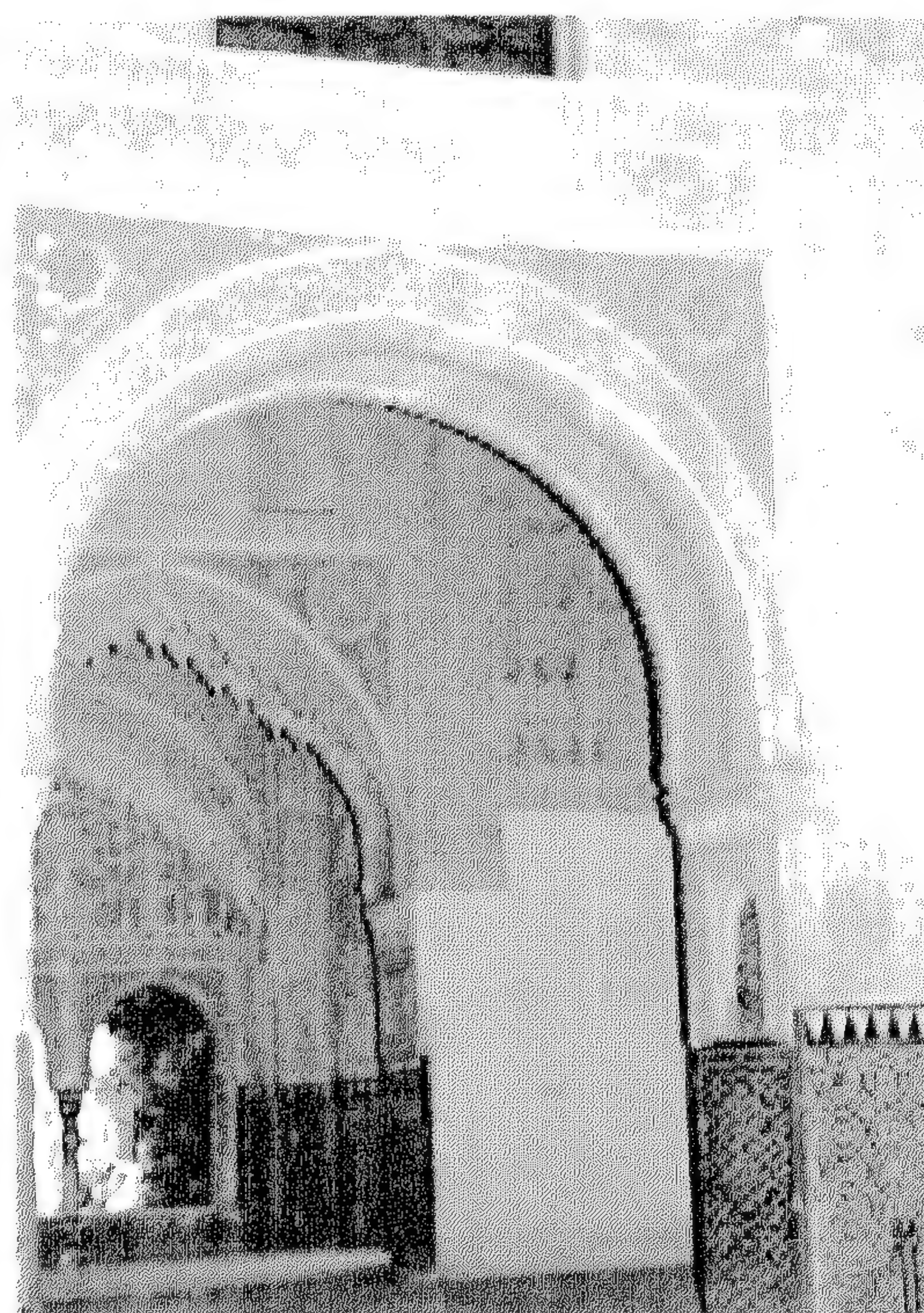




45

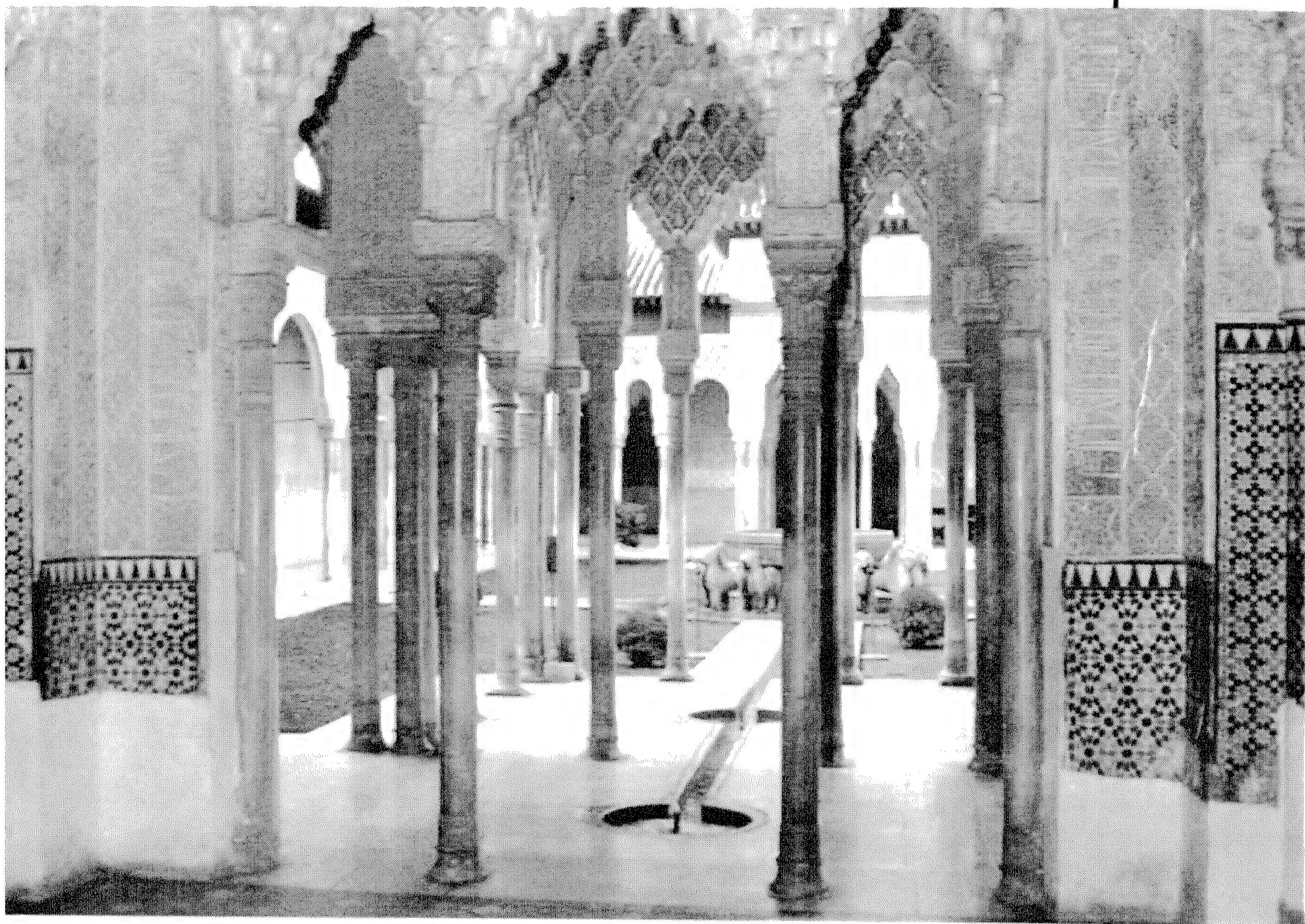


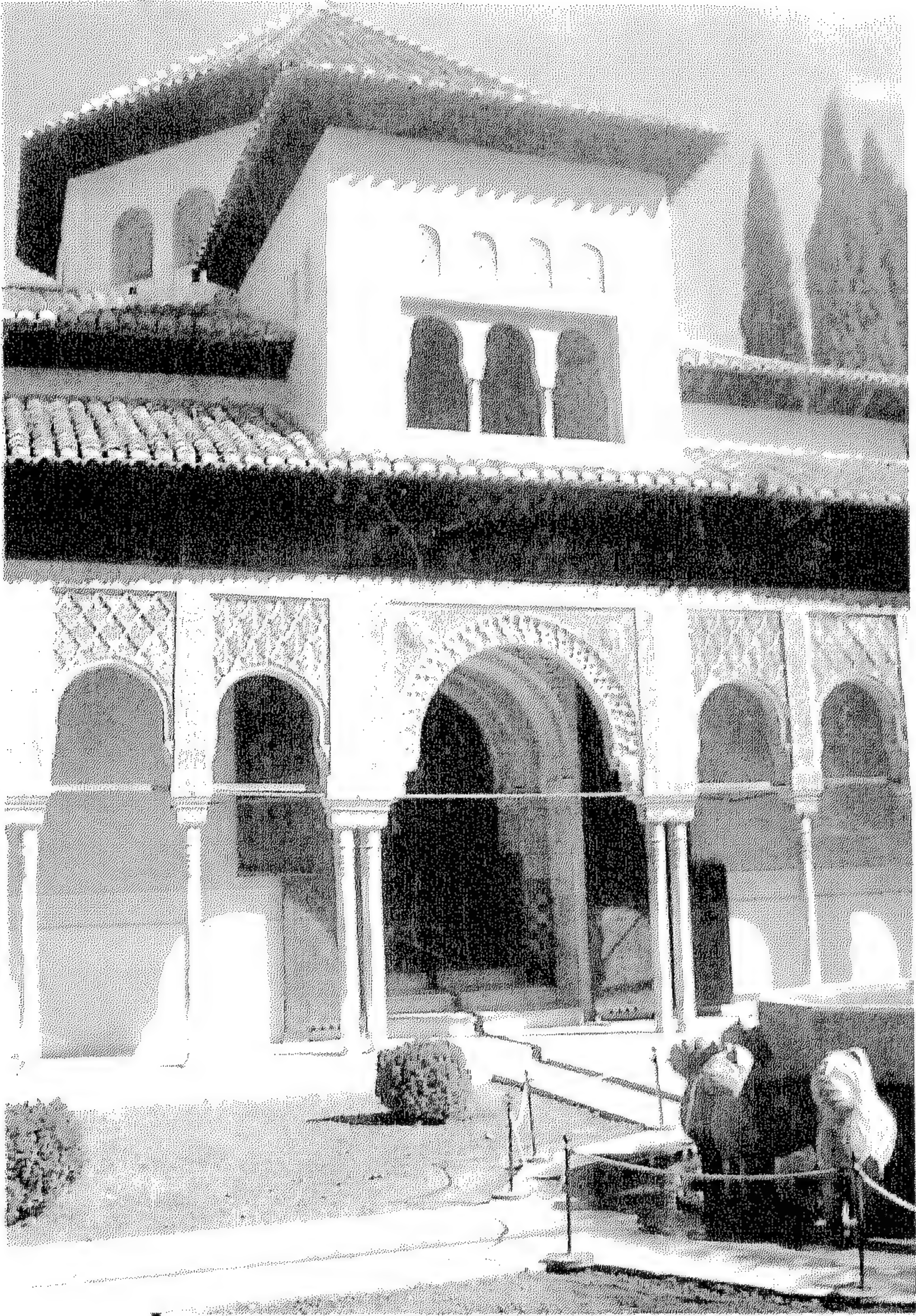
224



46

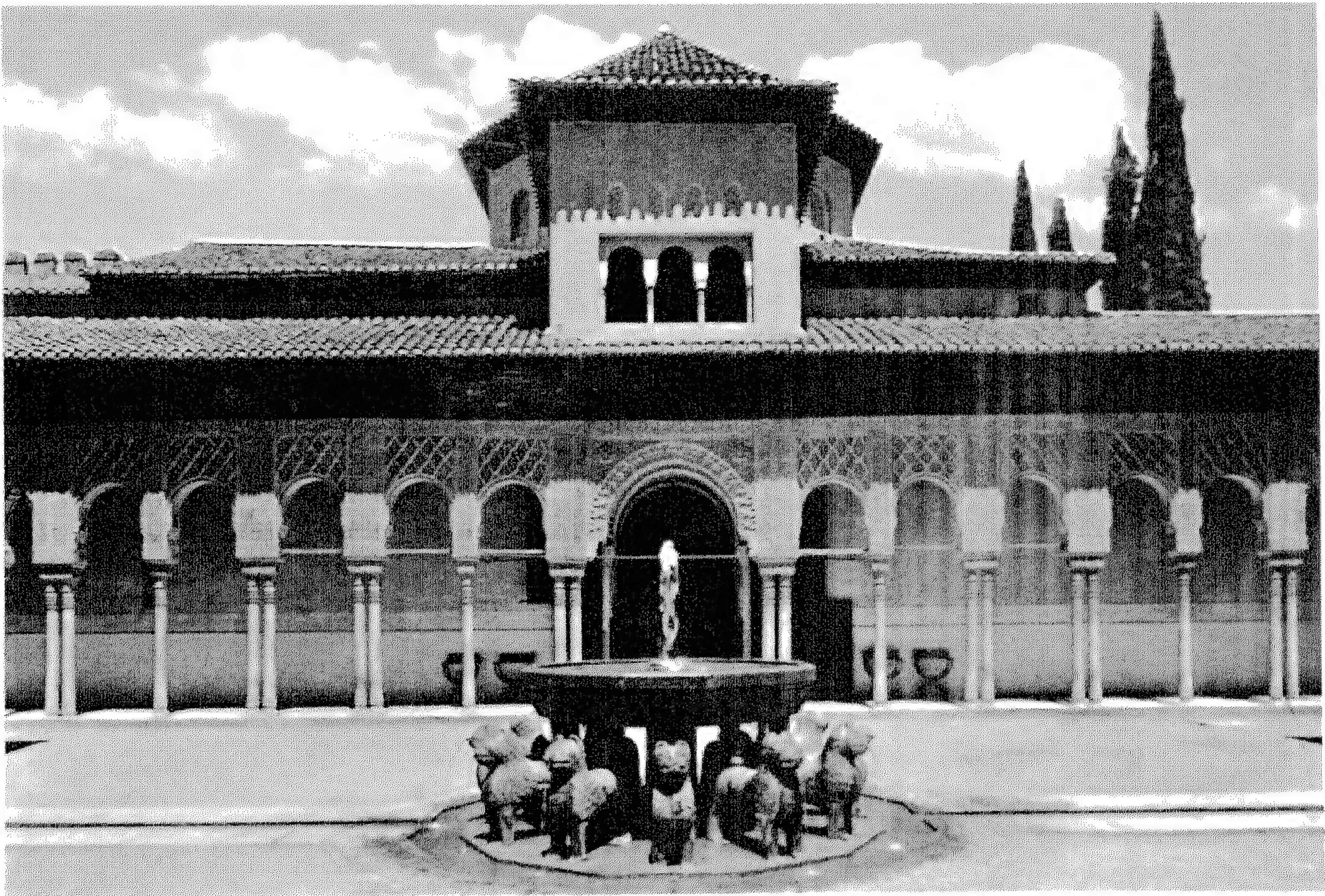
47



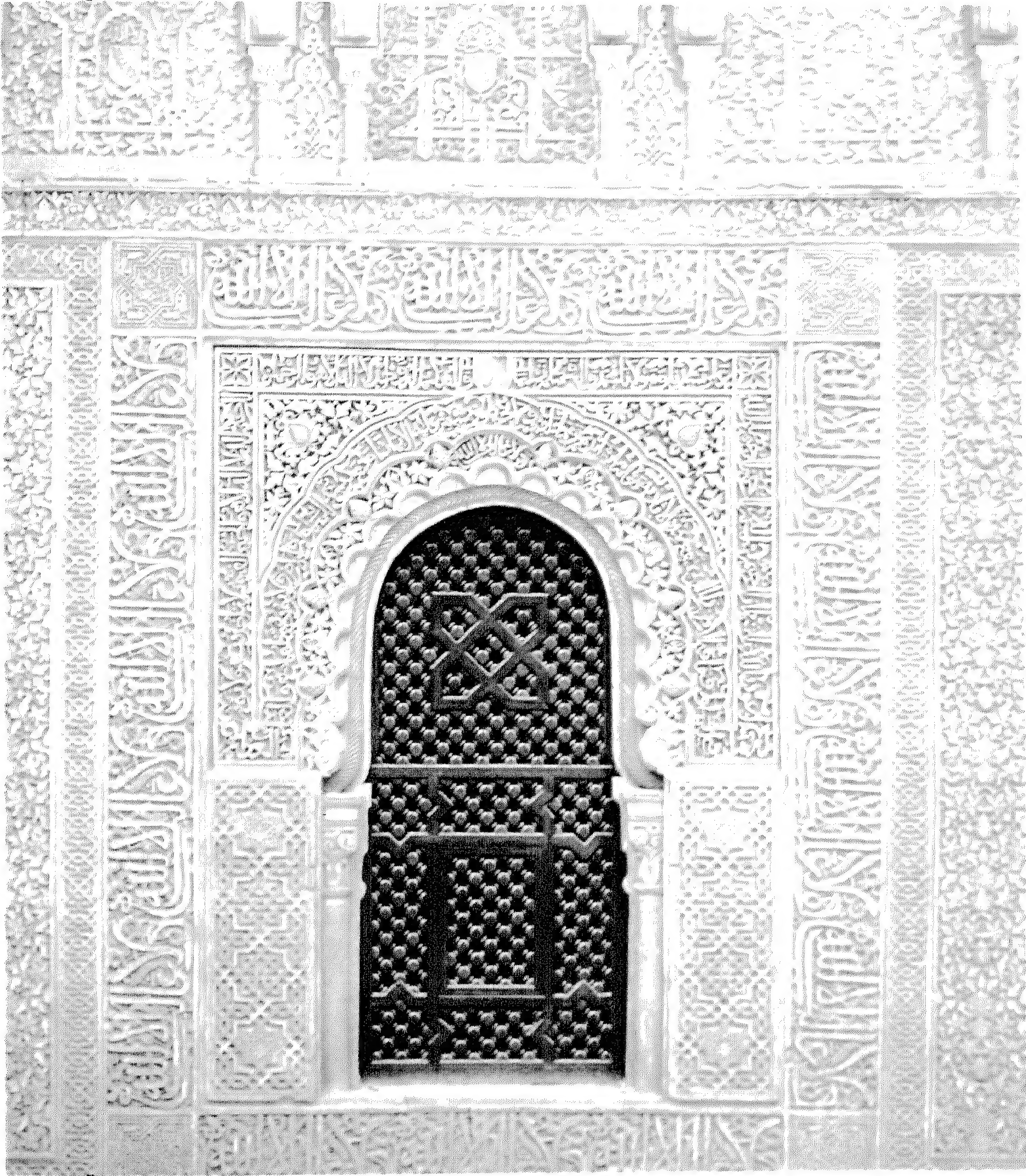


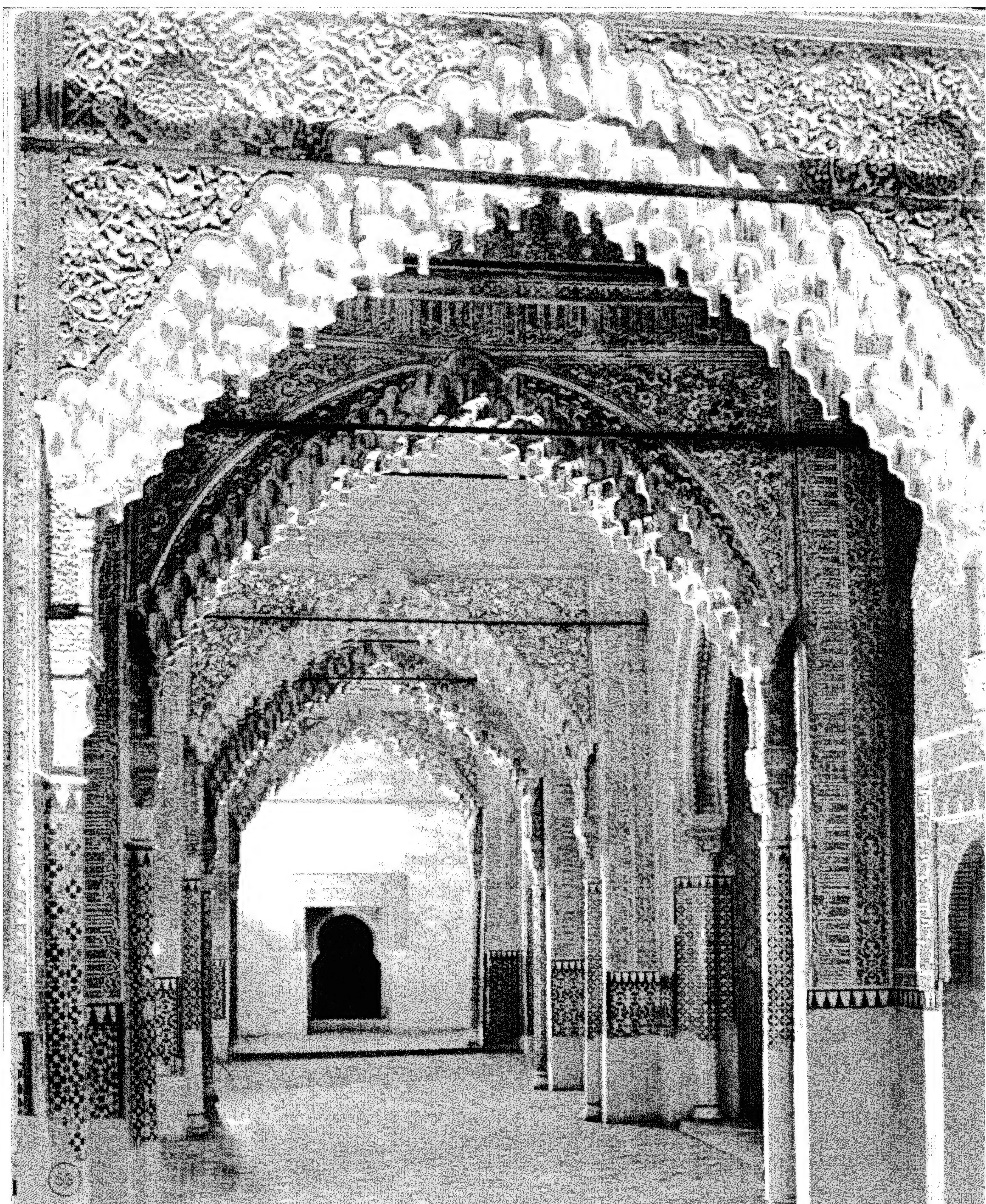
49

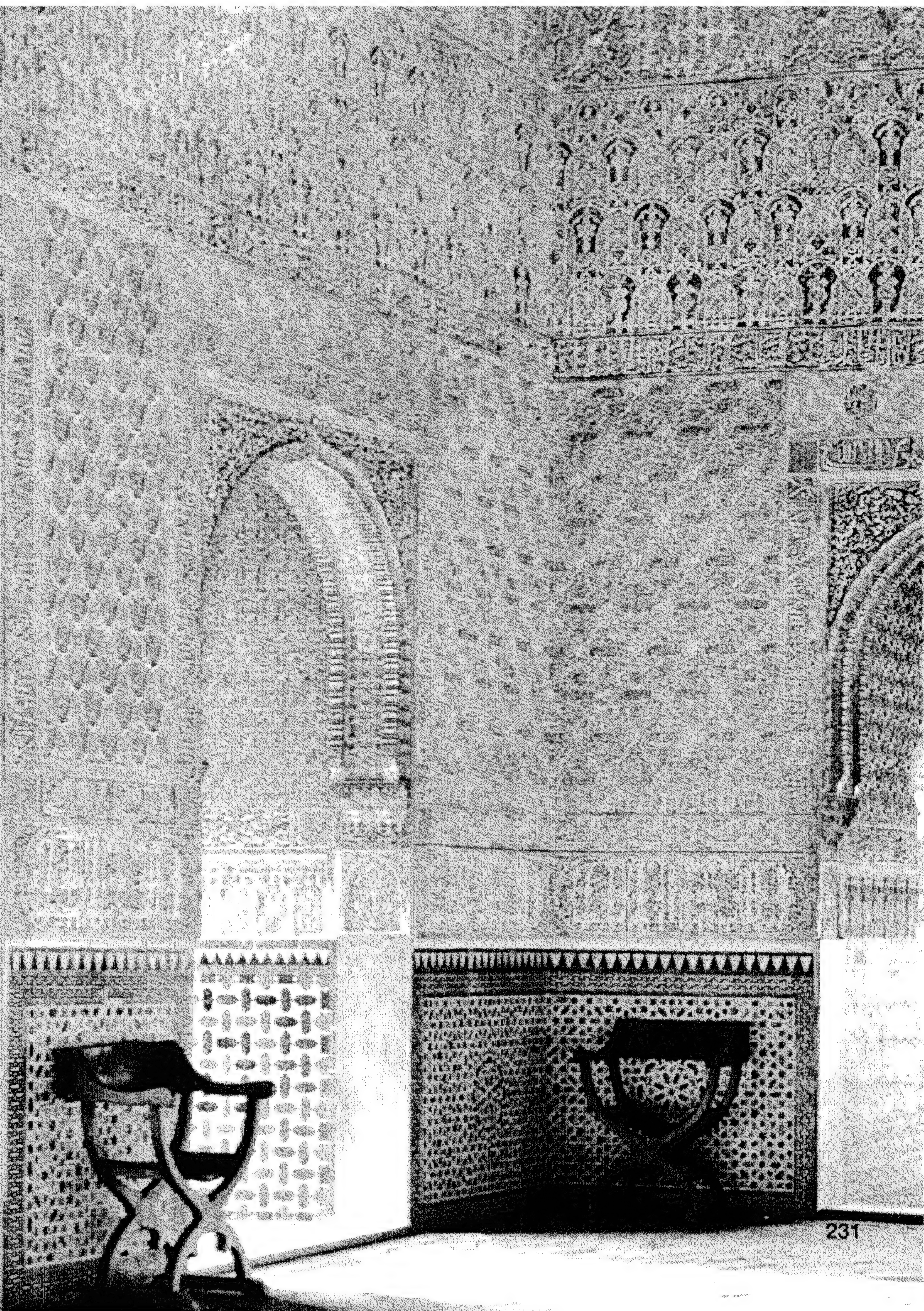
50



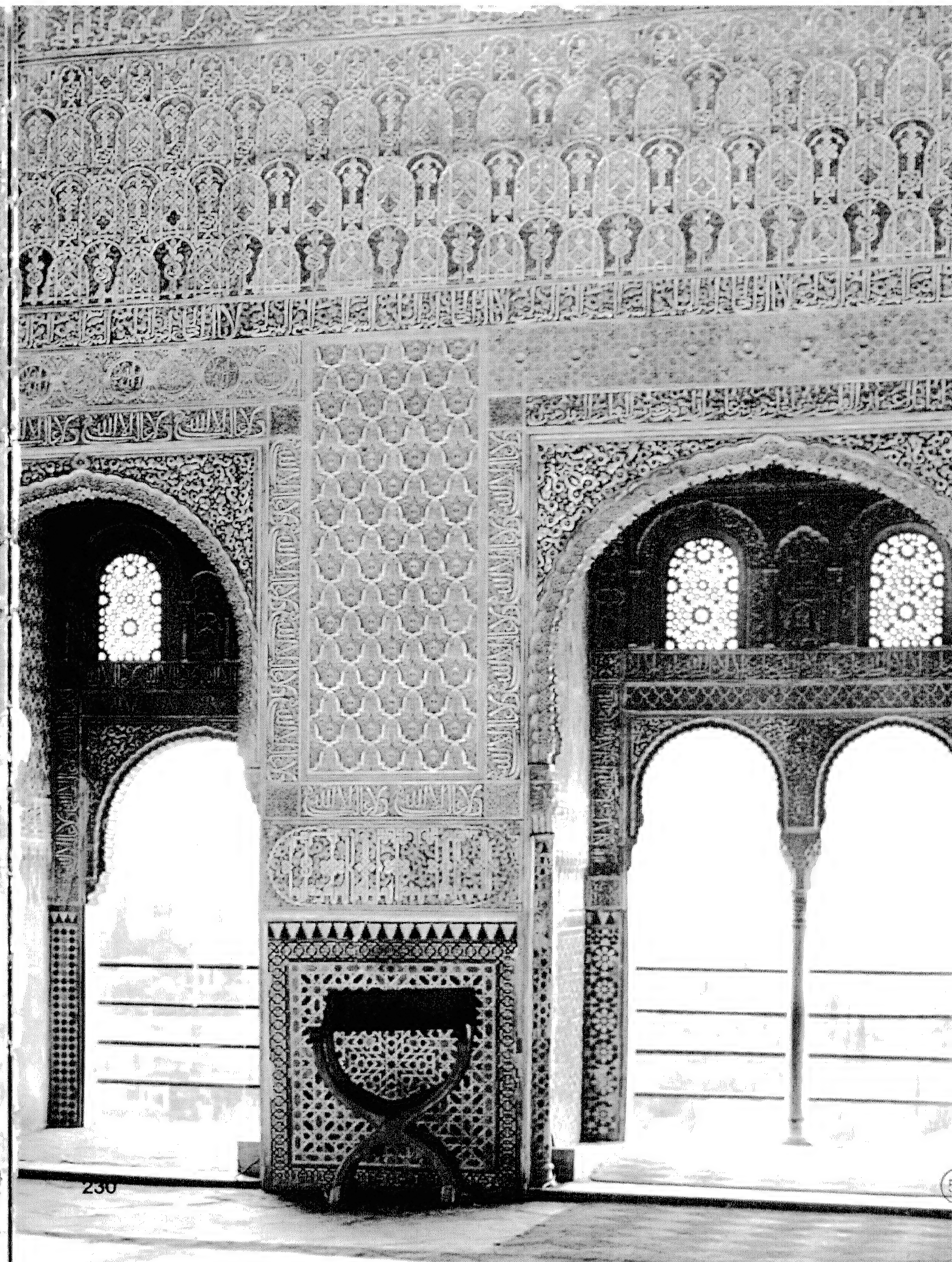




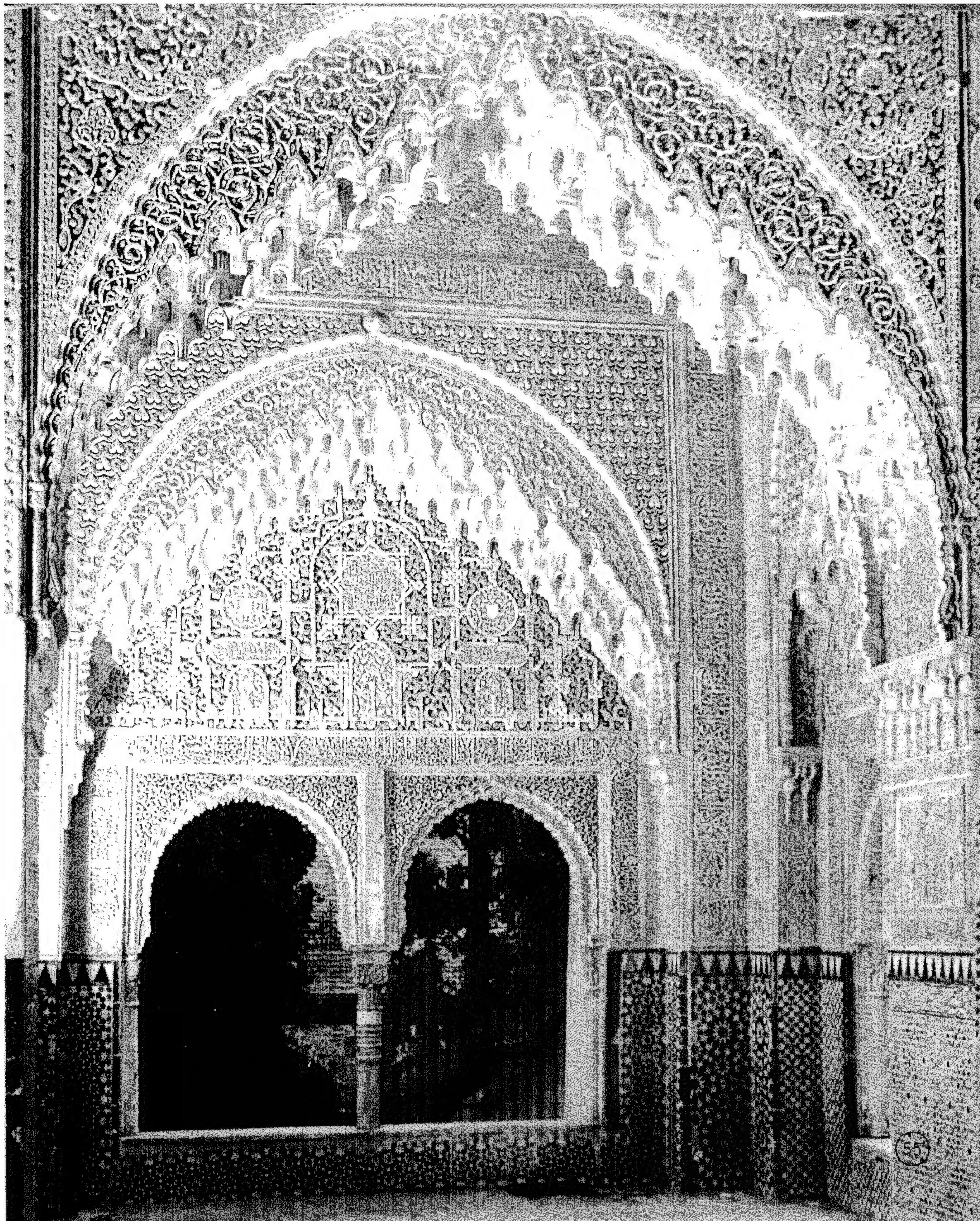




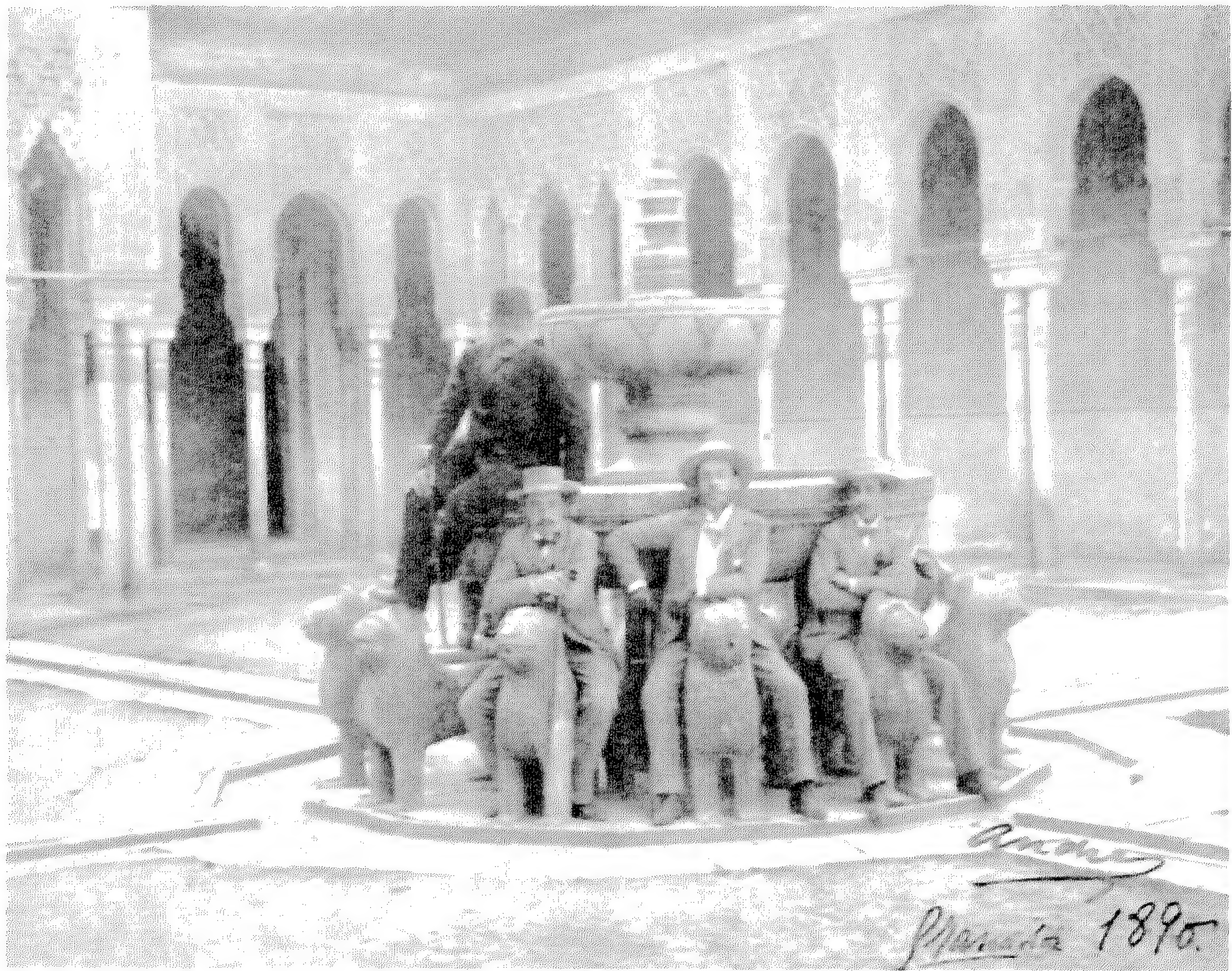
231



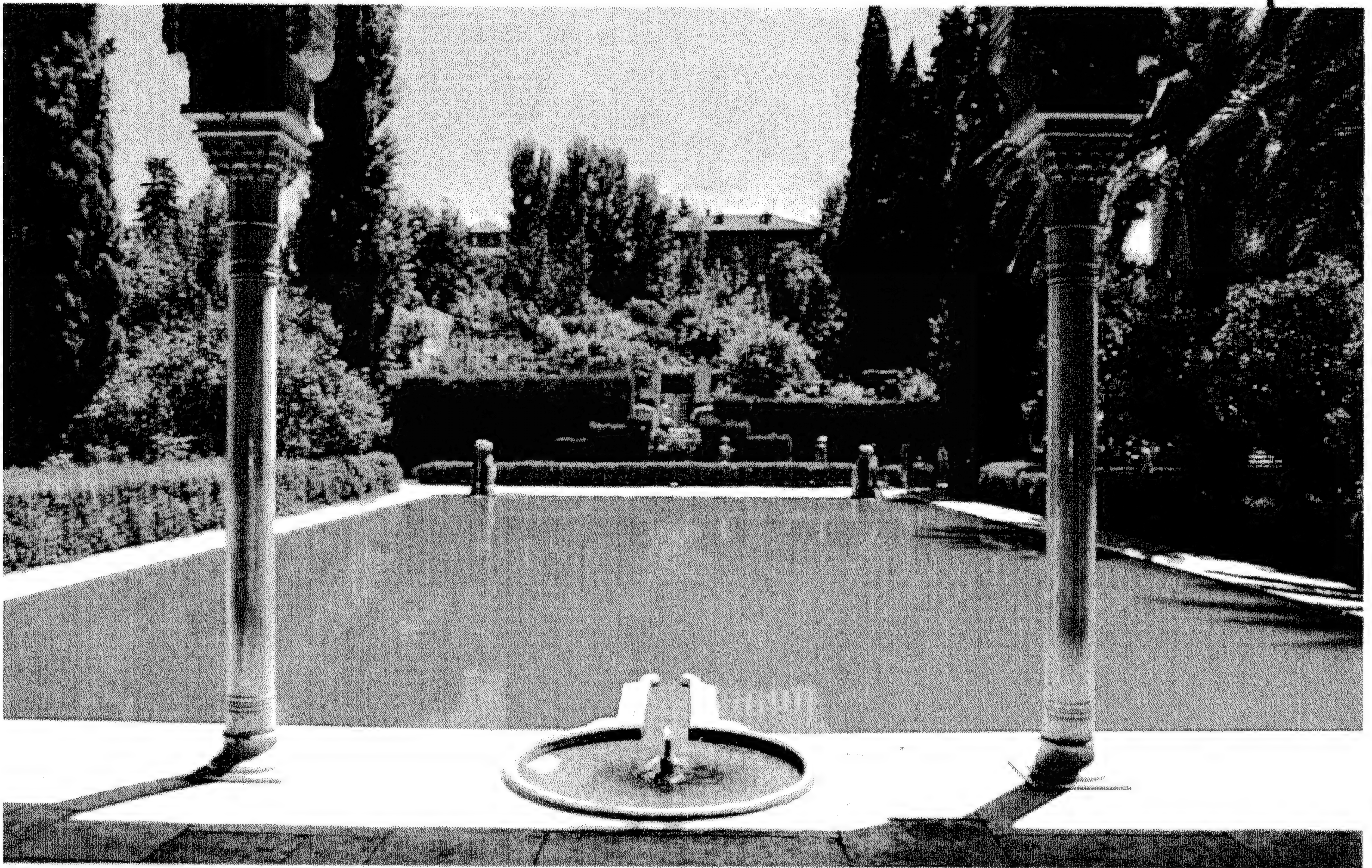
230

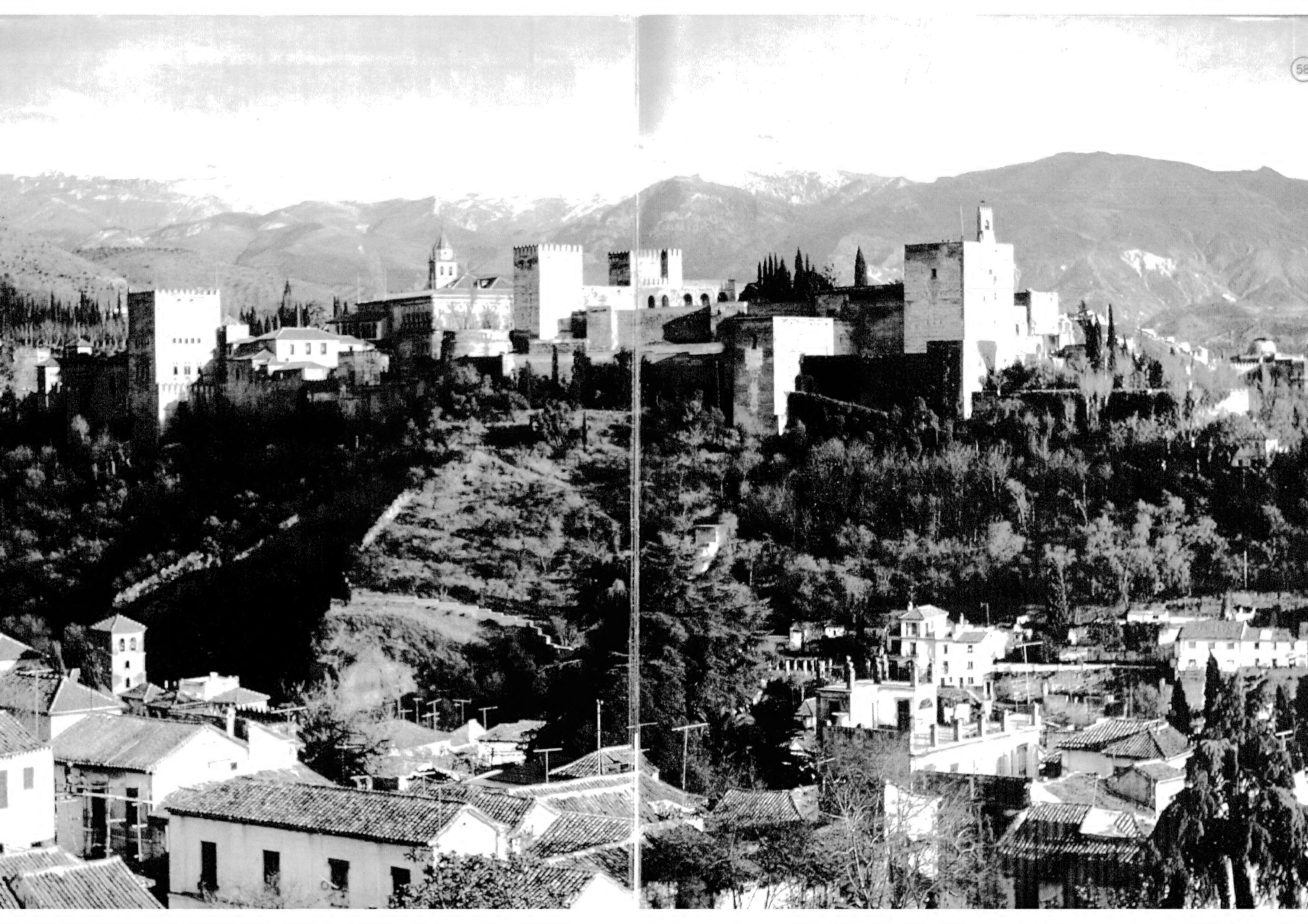


56



57







60



59



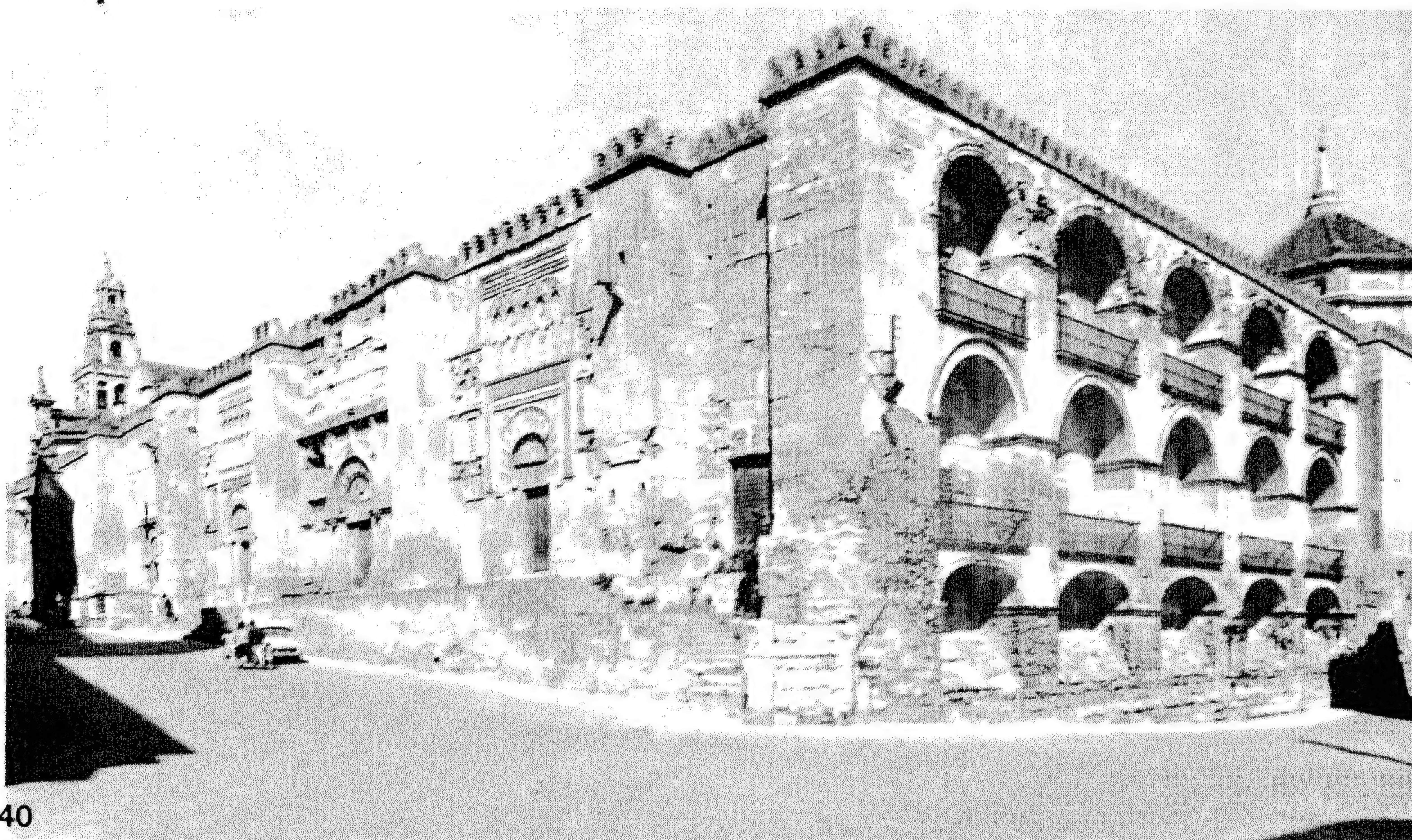




64



65







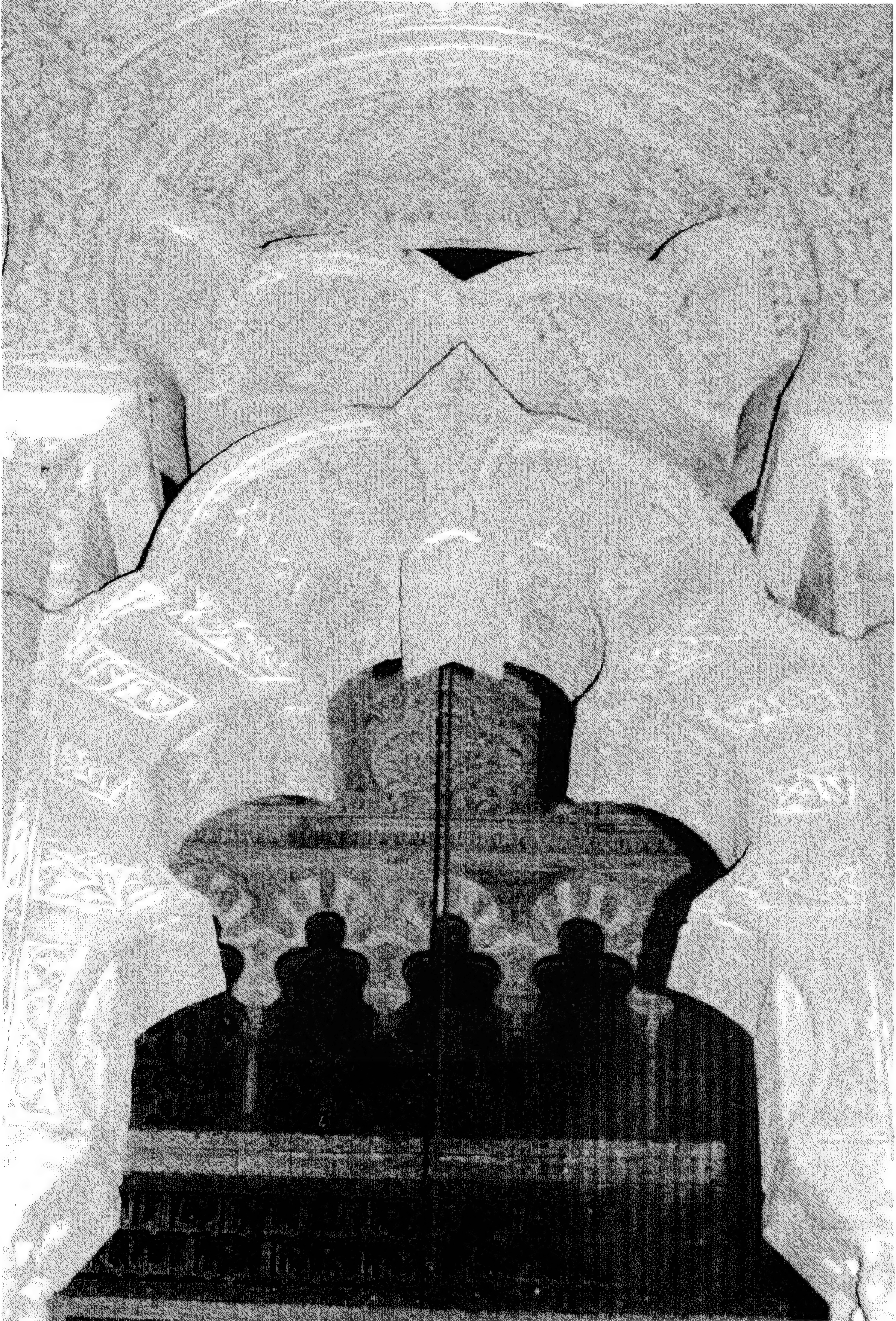
67



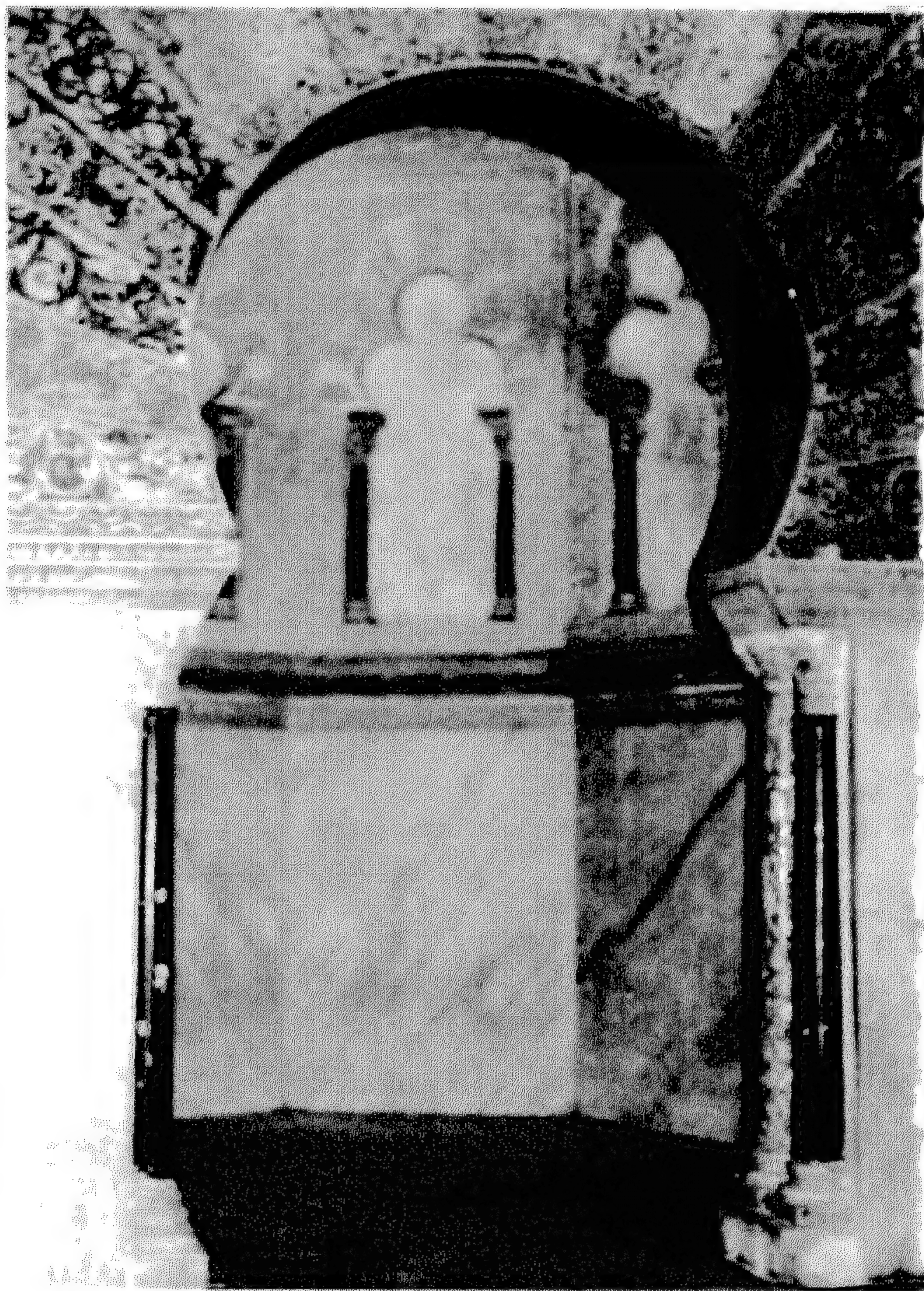
68



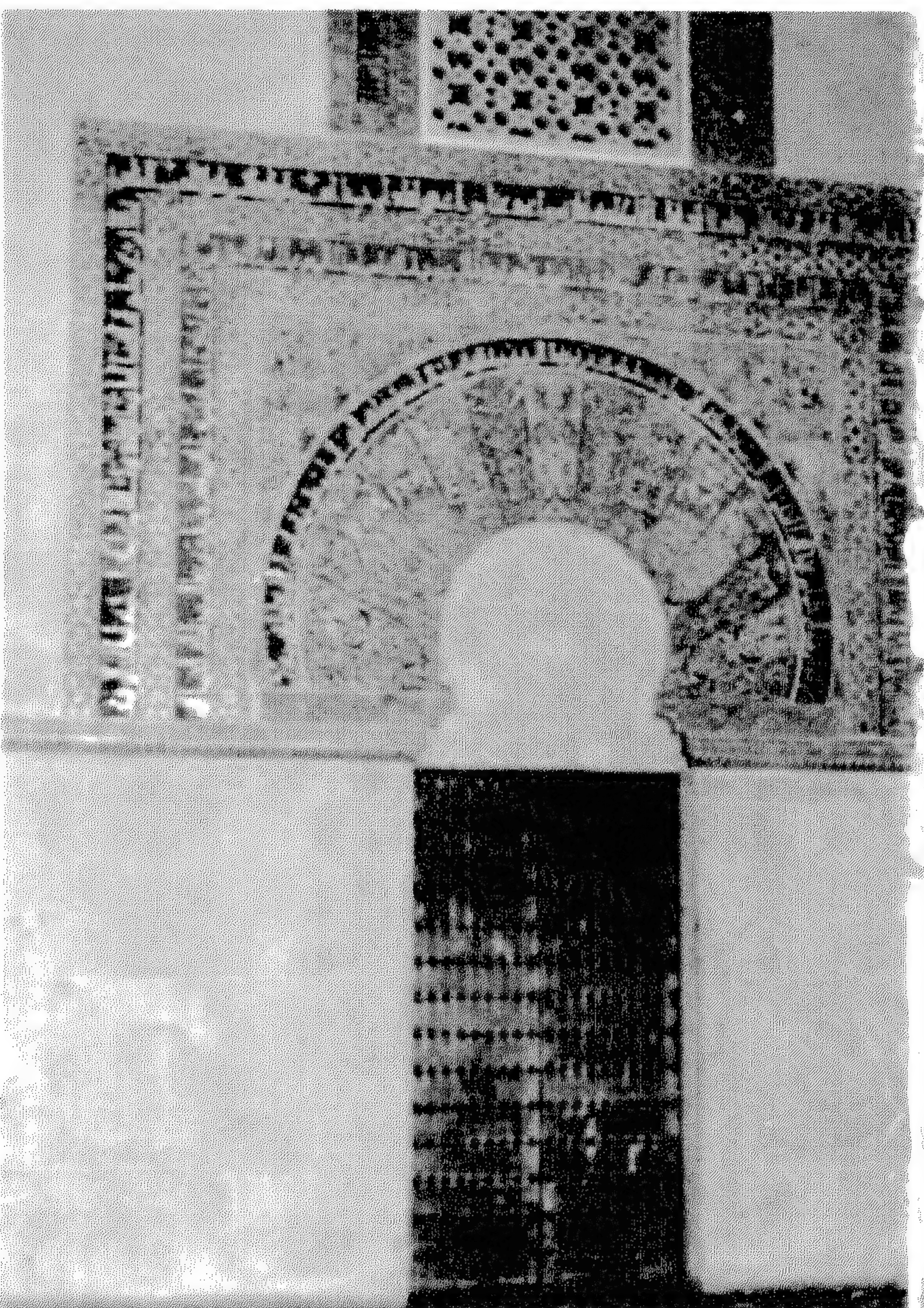




71



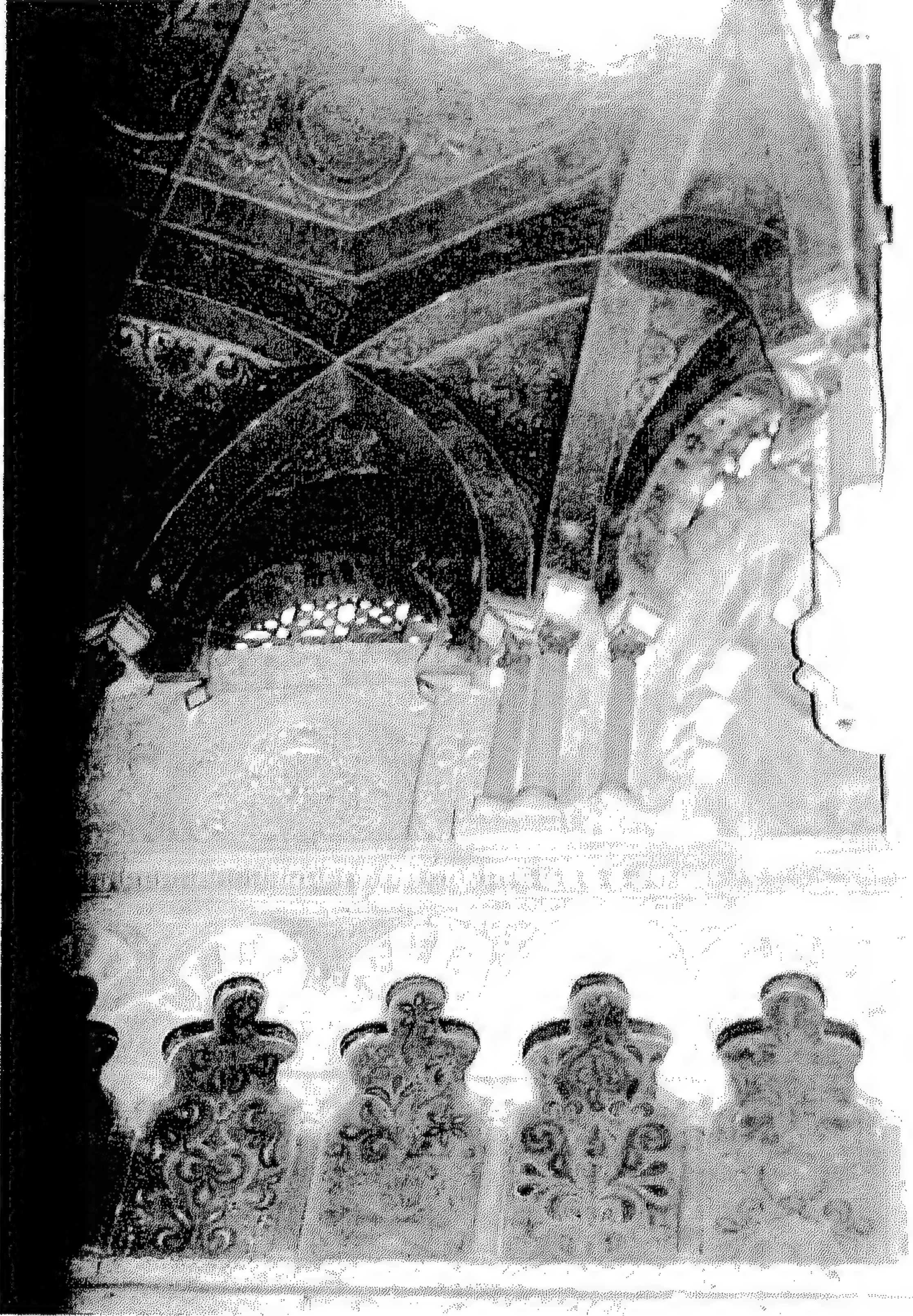
72



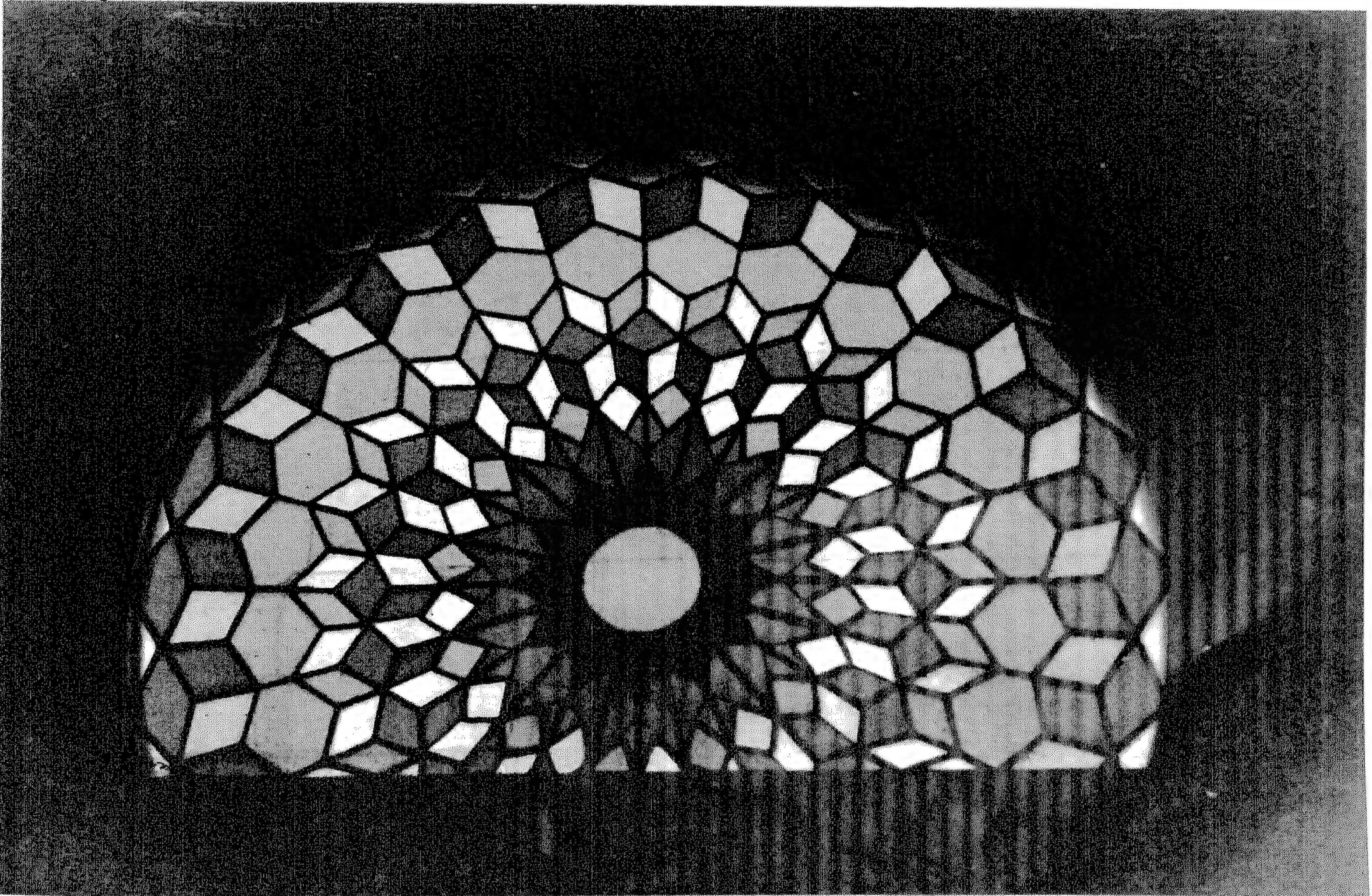
73



74



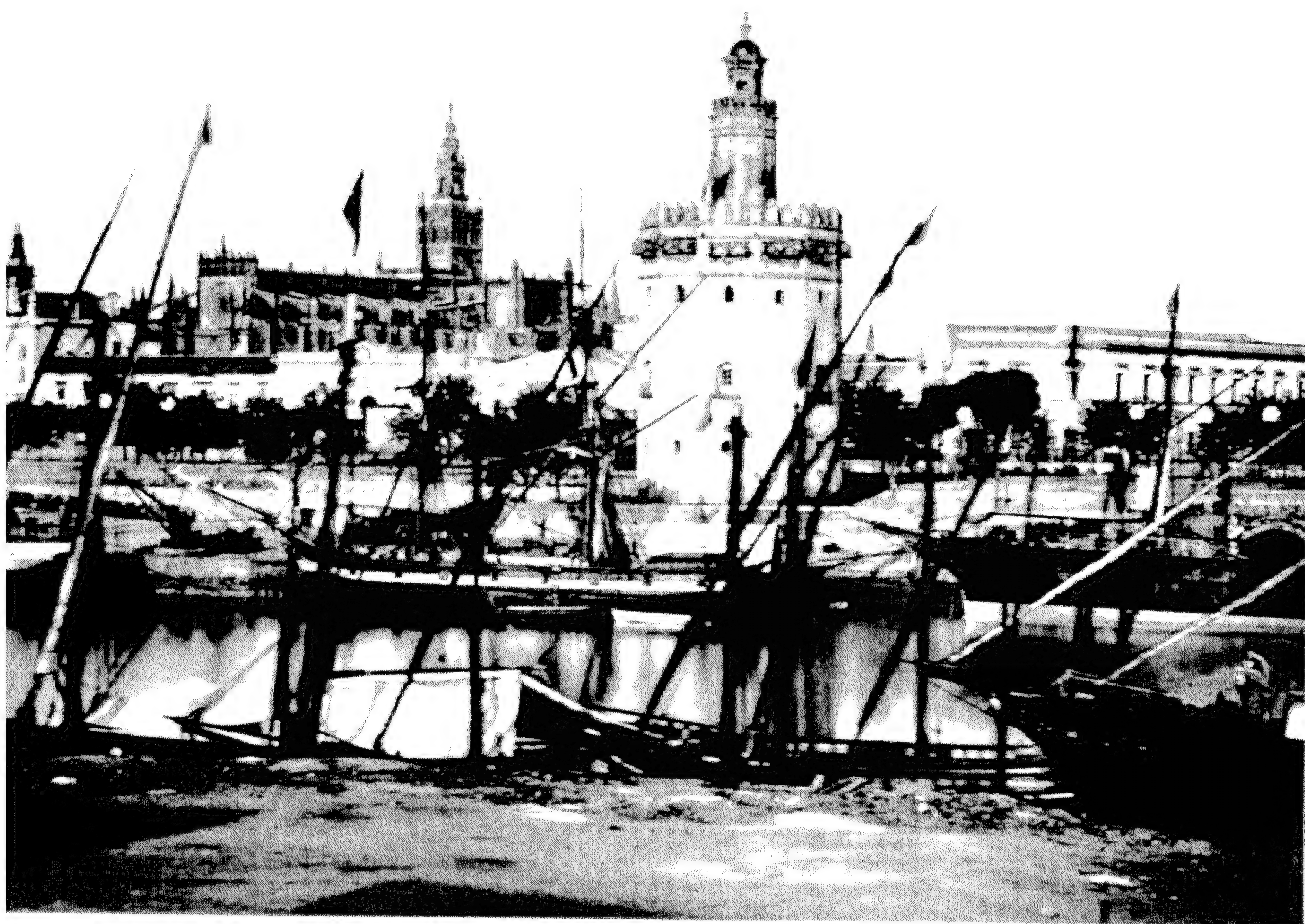
76



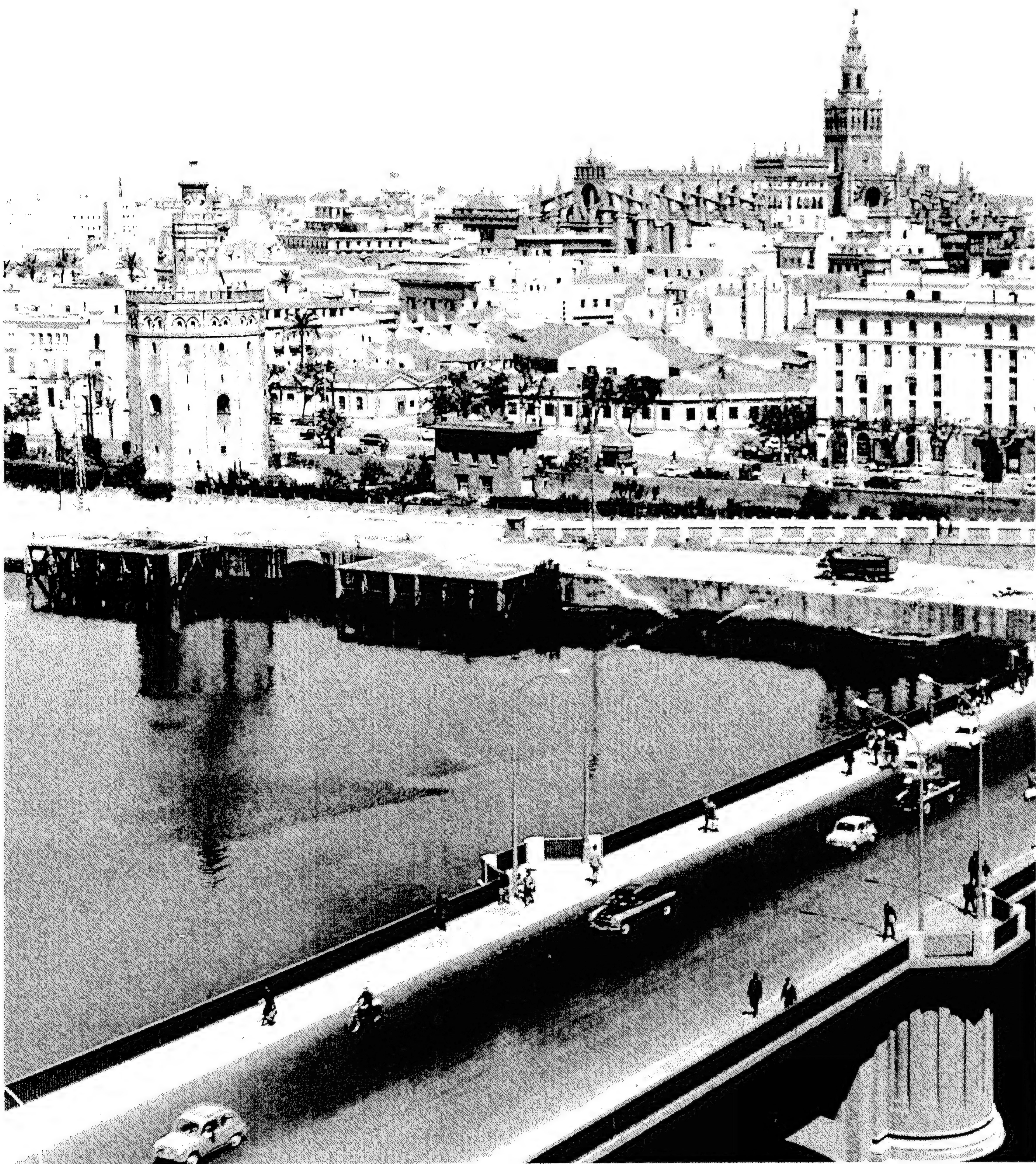








80

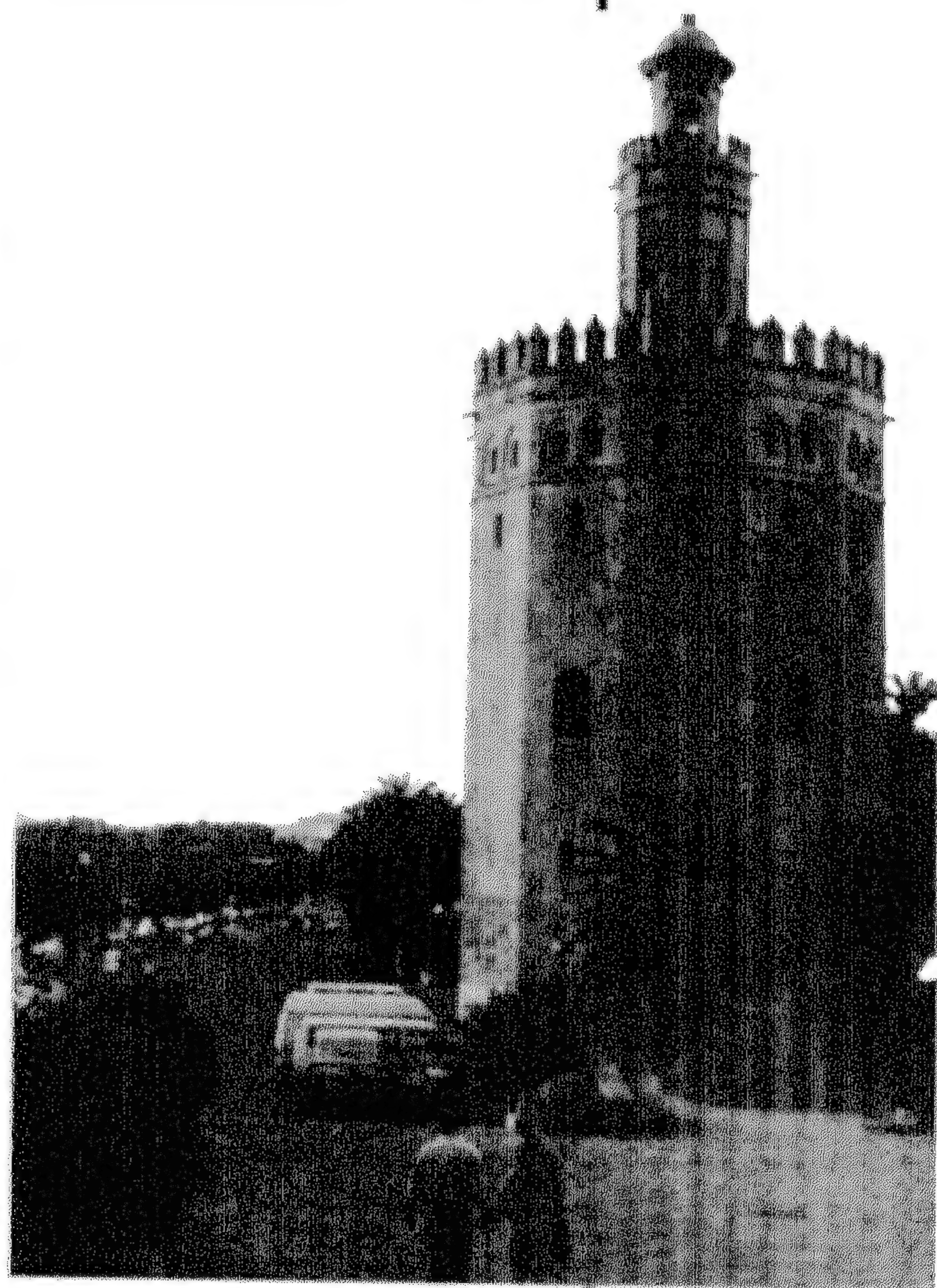
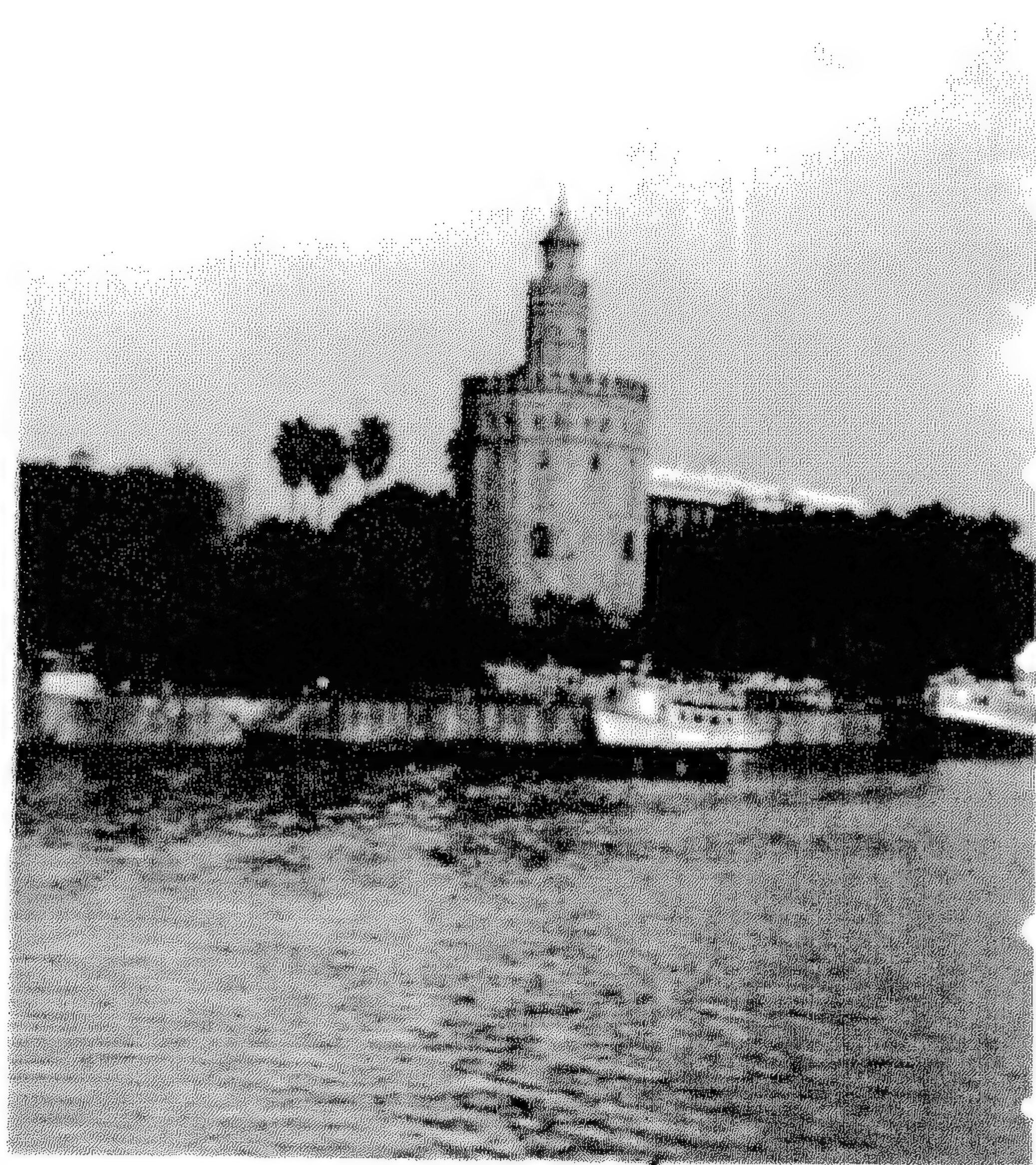


81





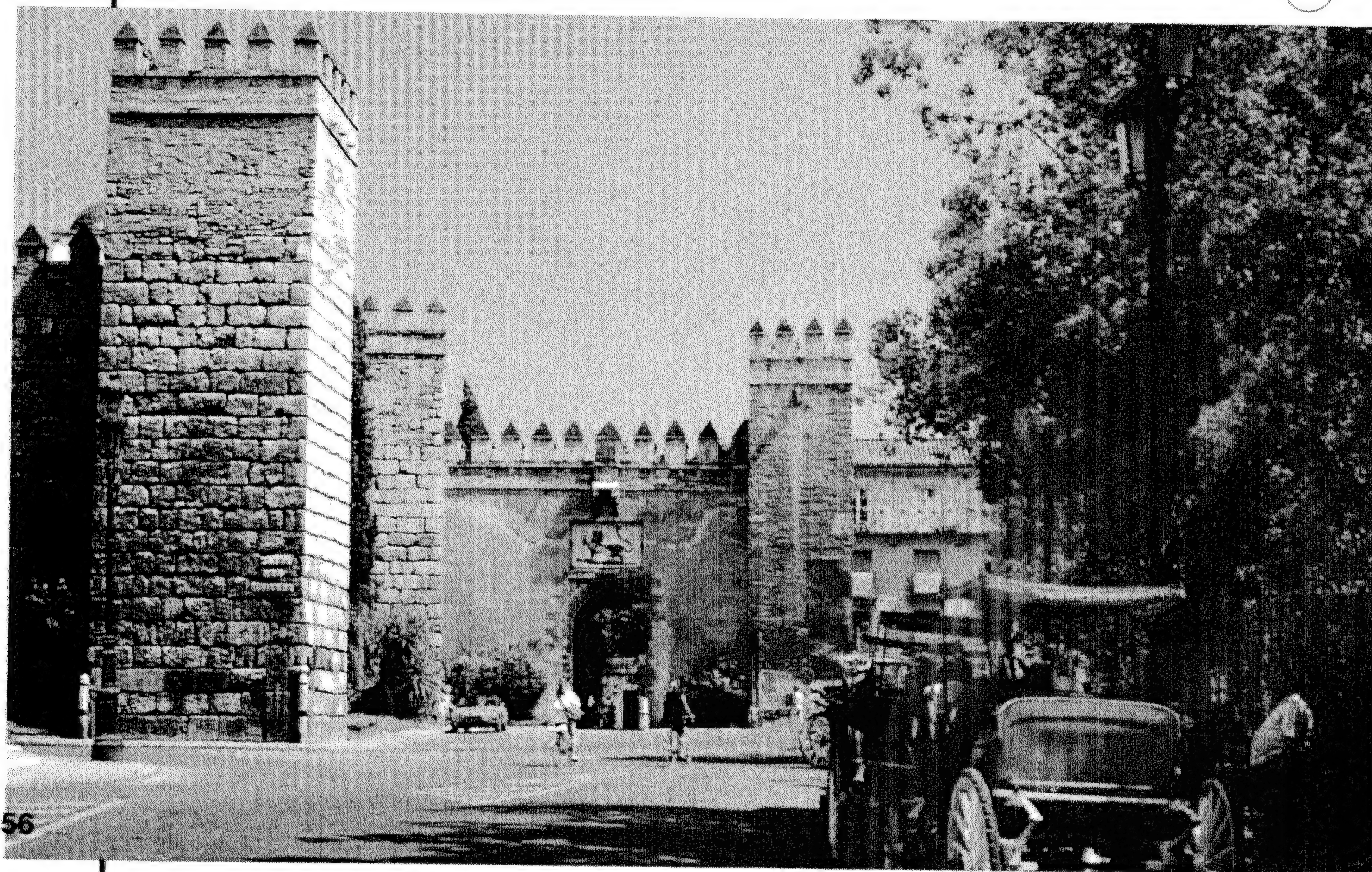
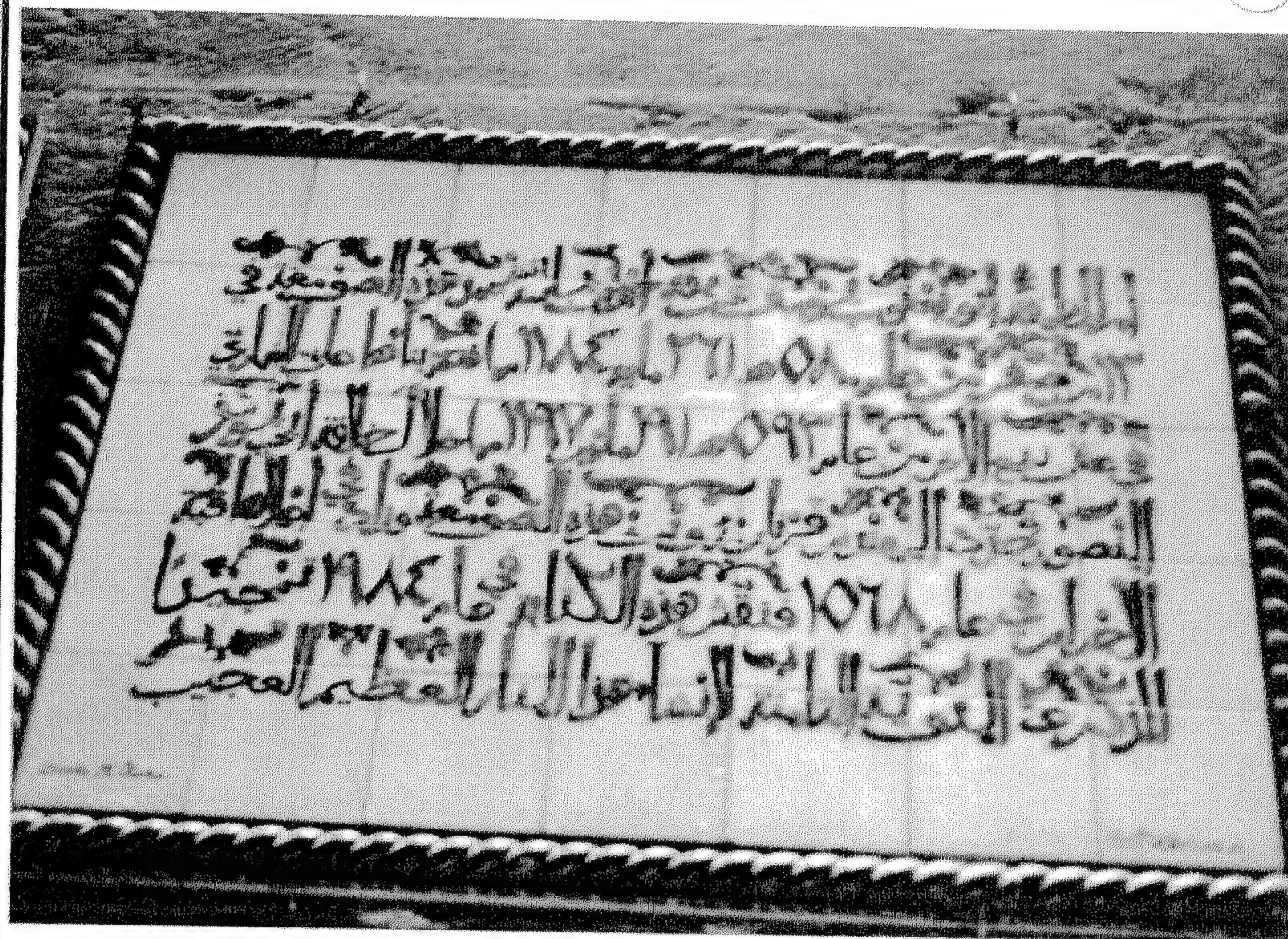
84

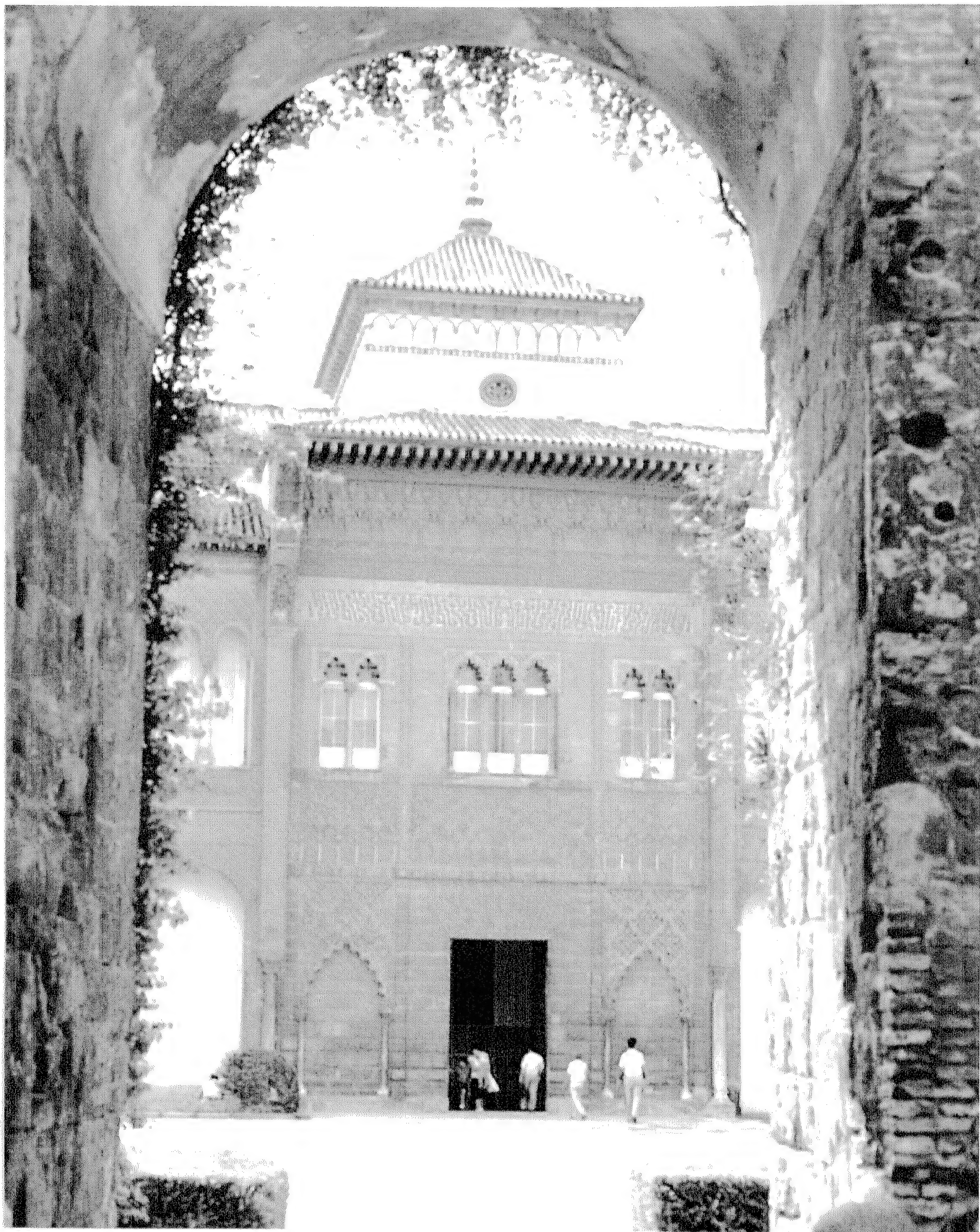


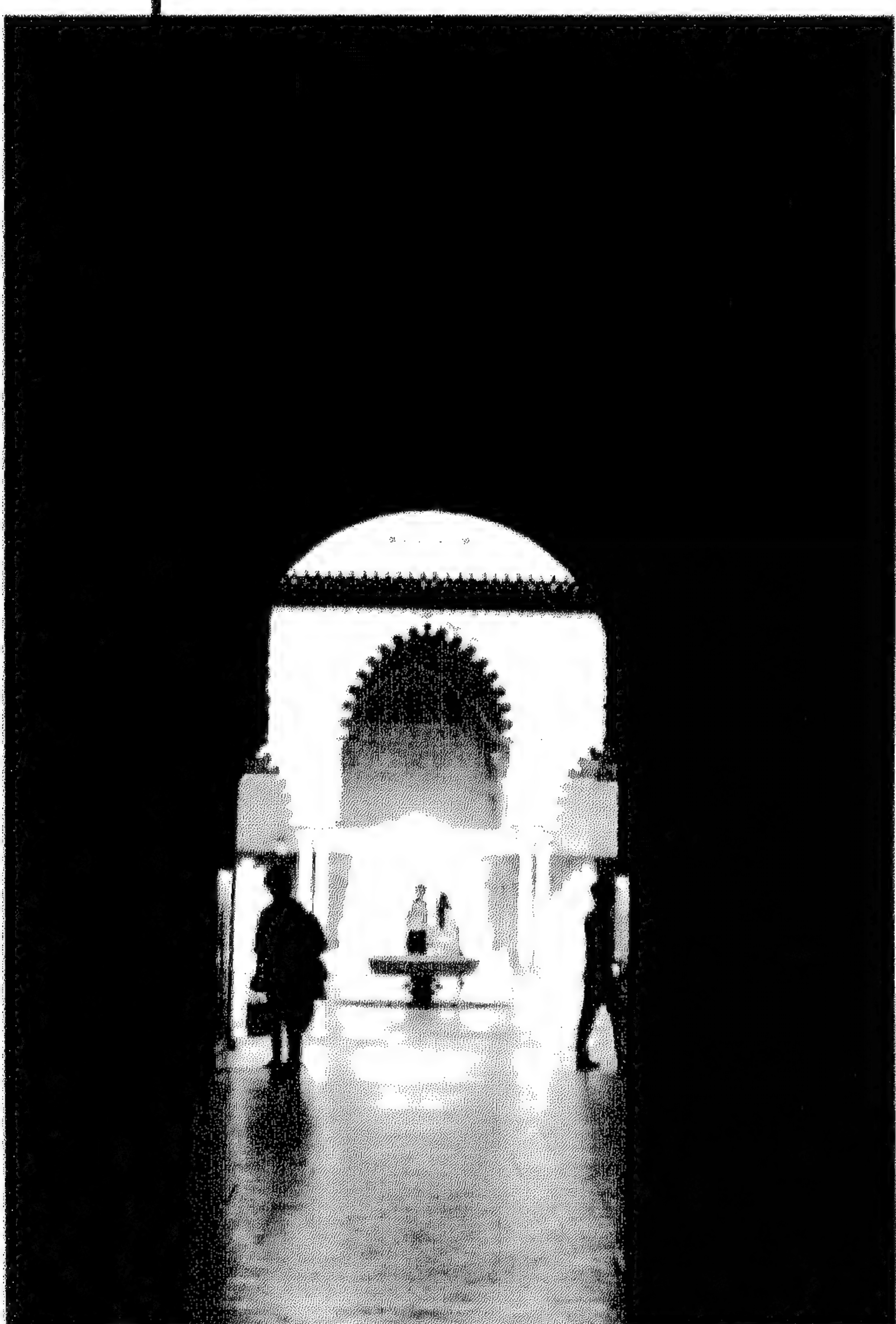
83

255

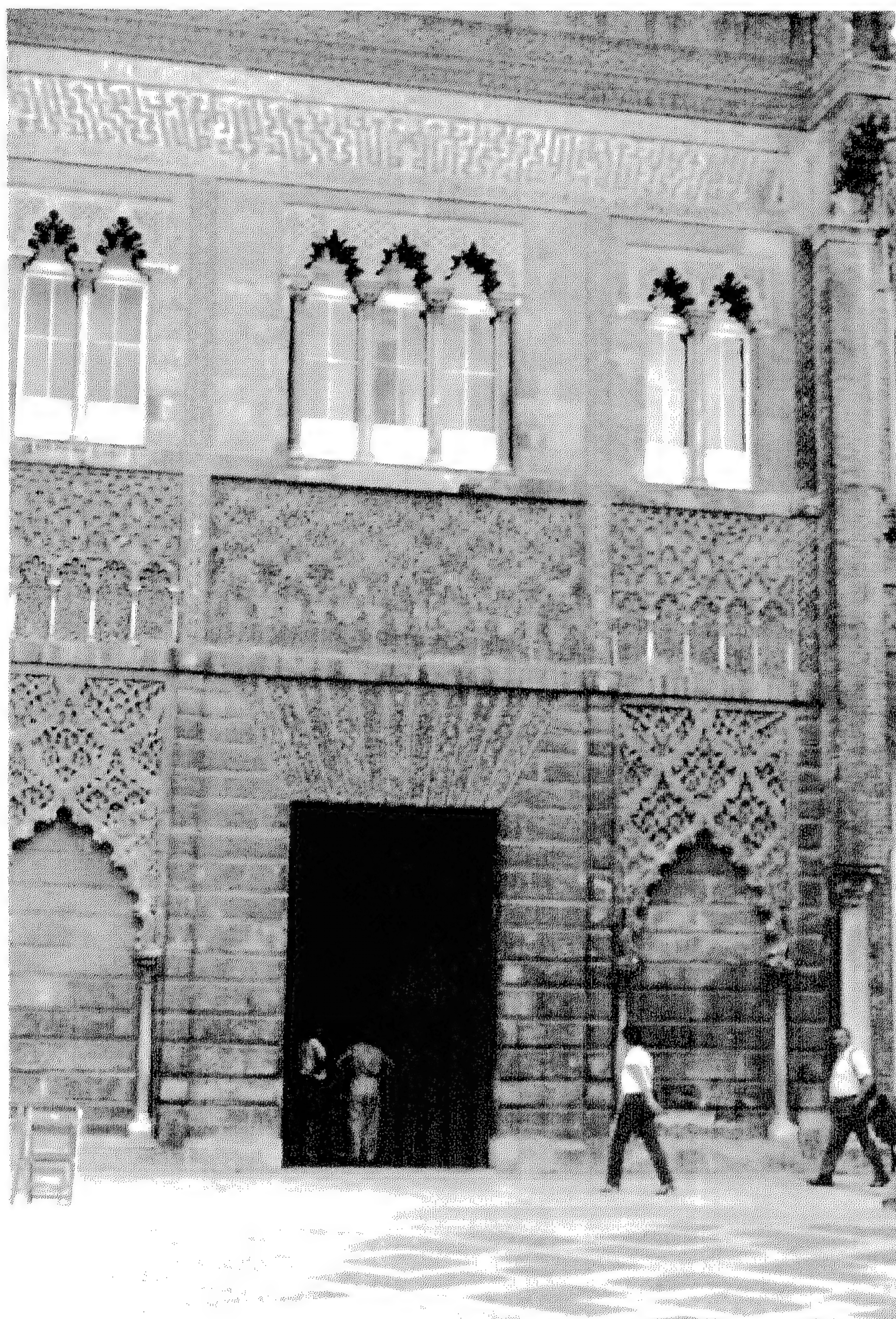
254



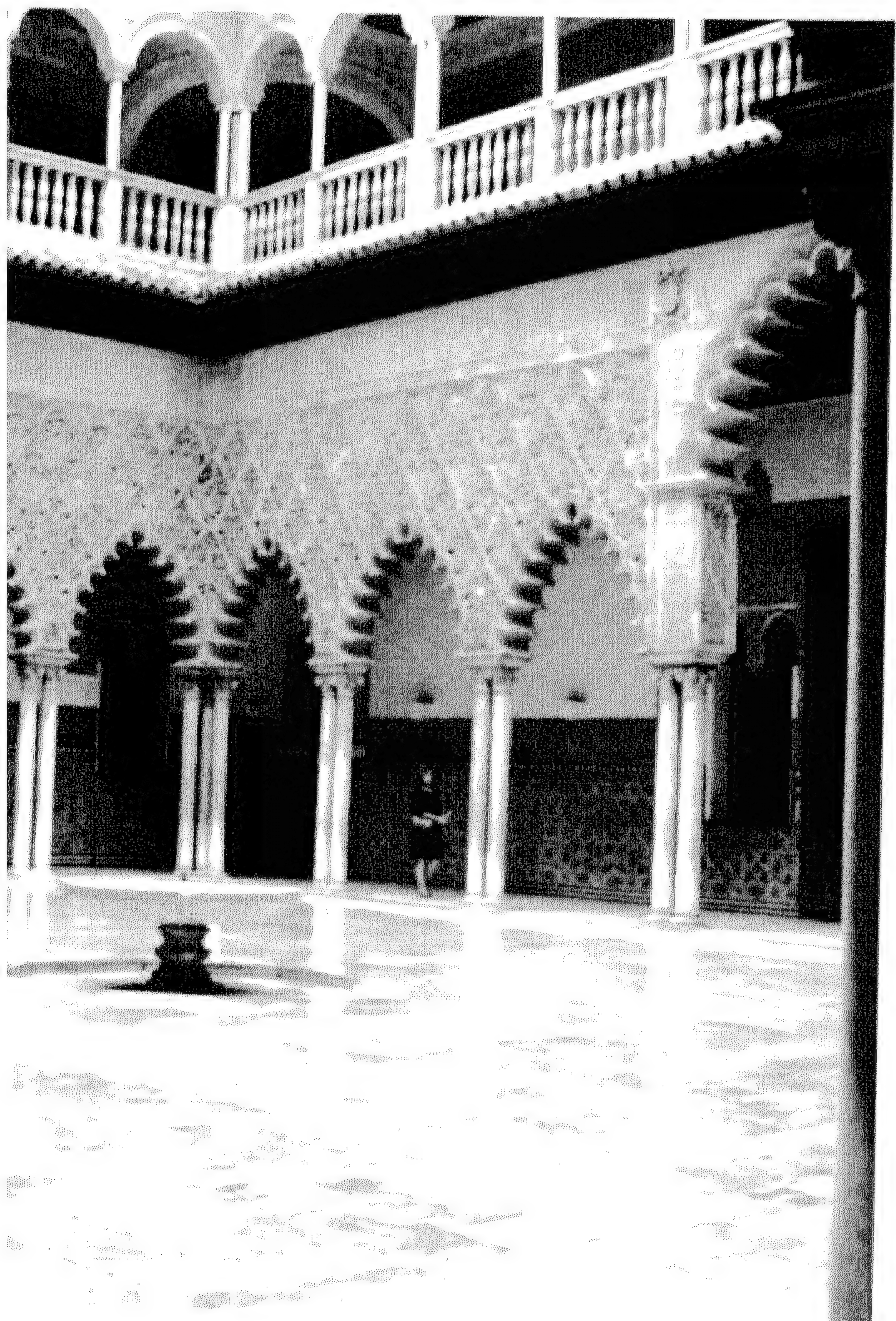




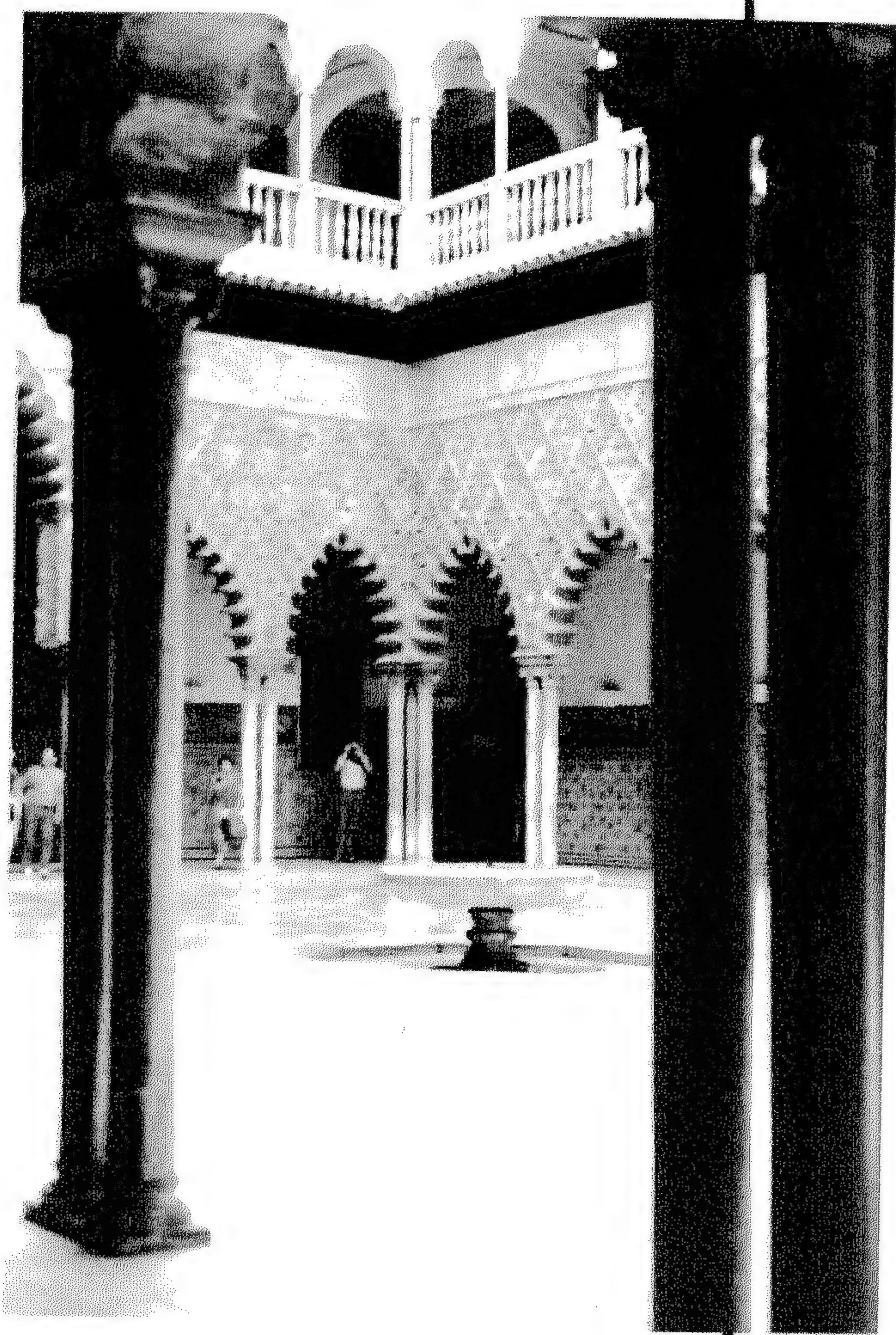
89



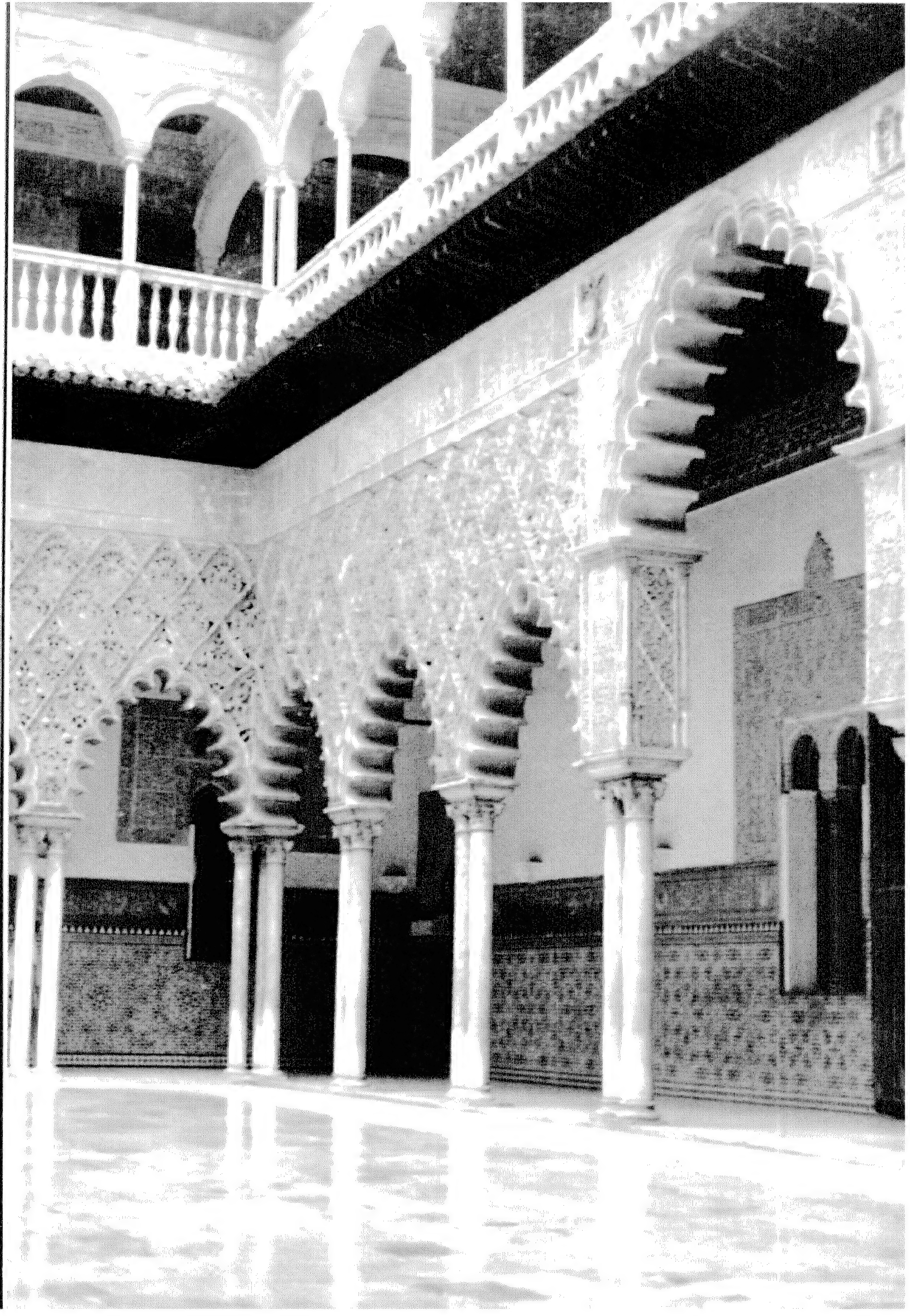
88



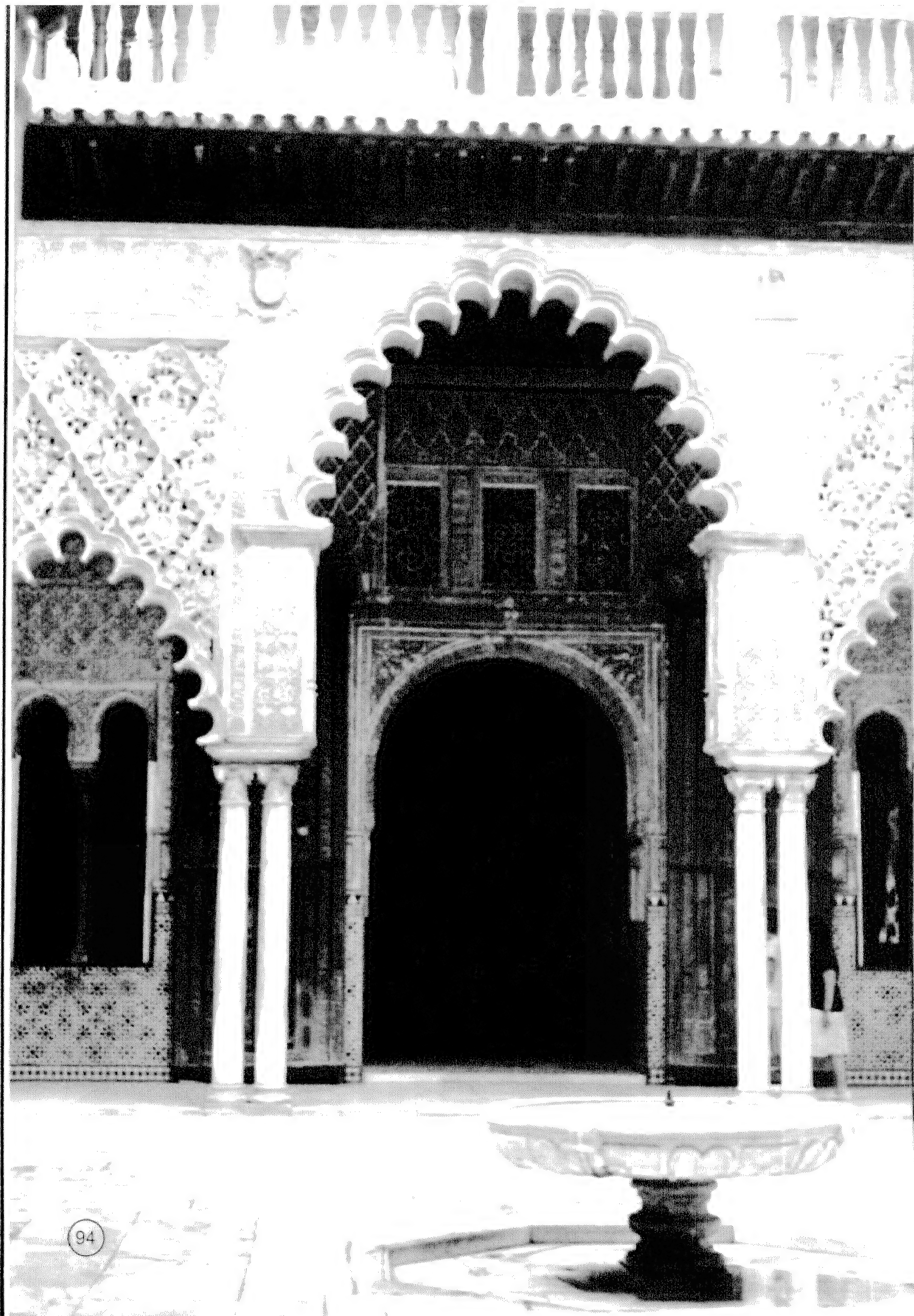
91



90



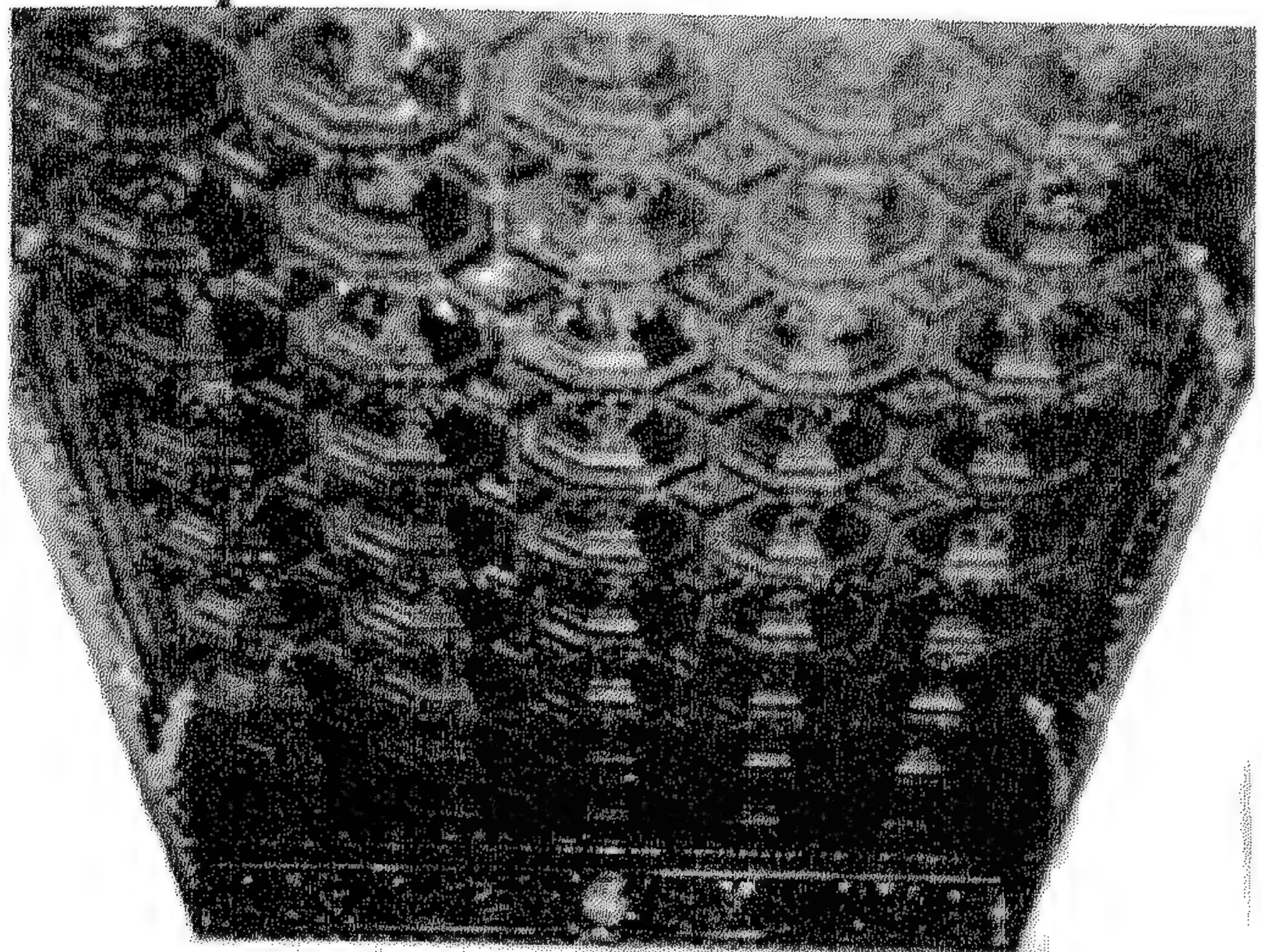




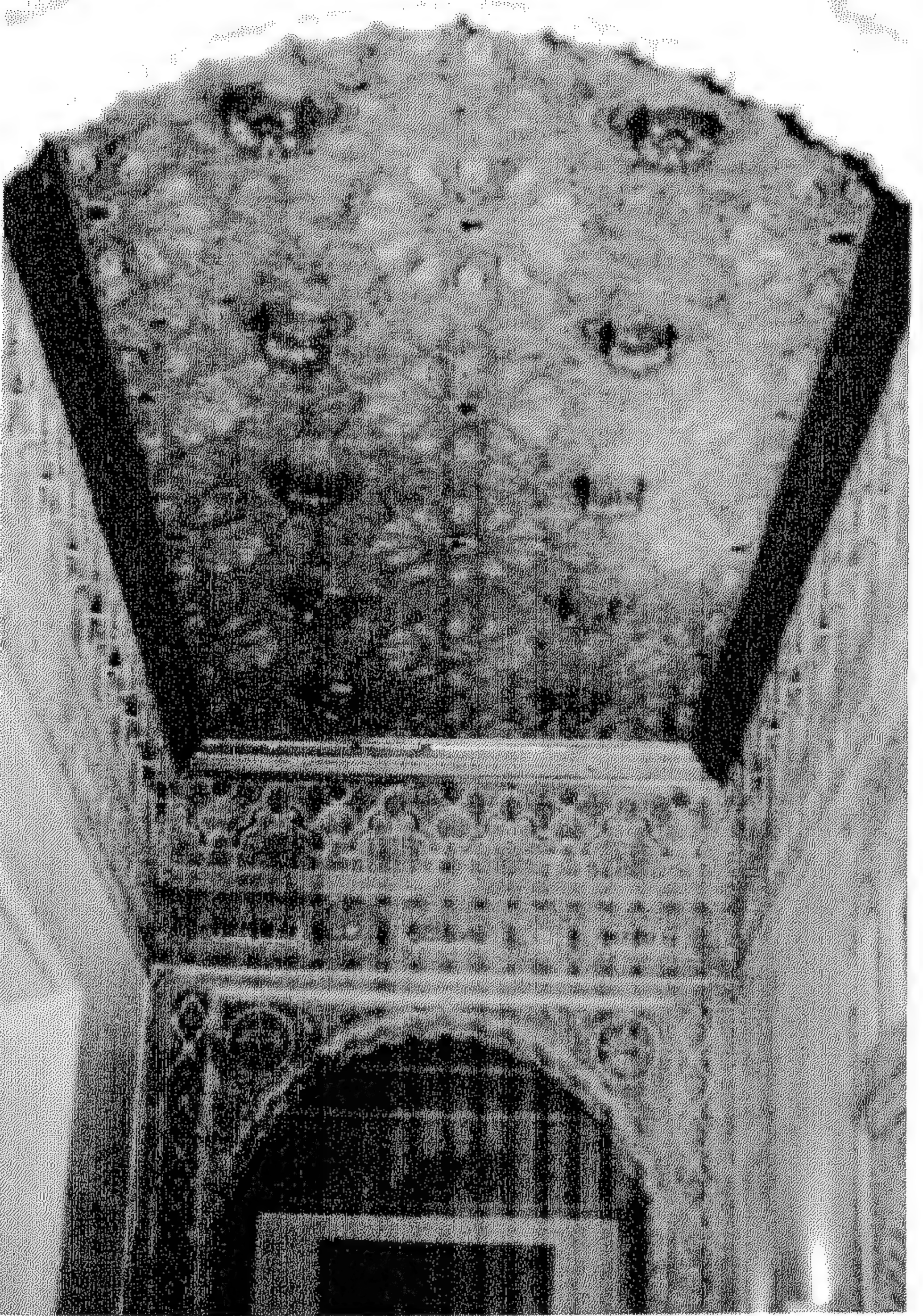








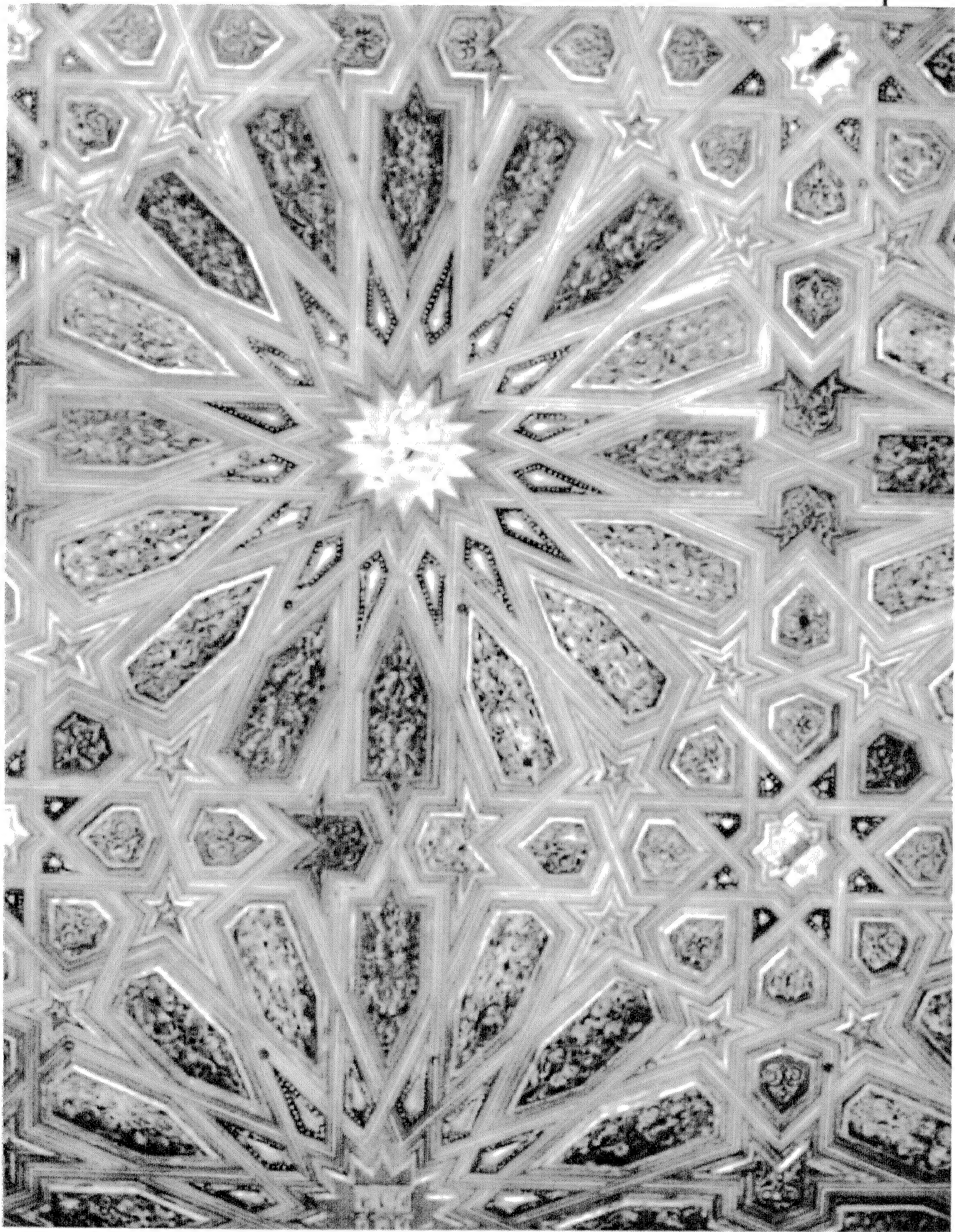
98



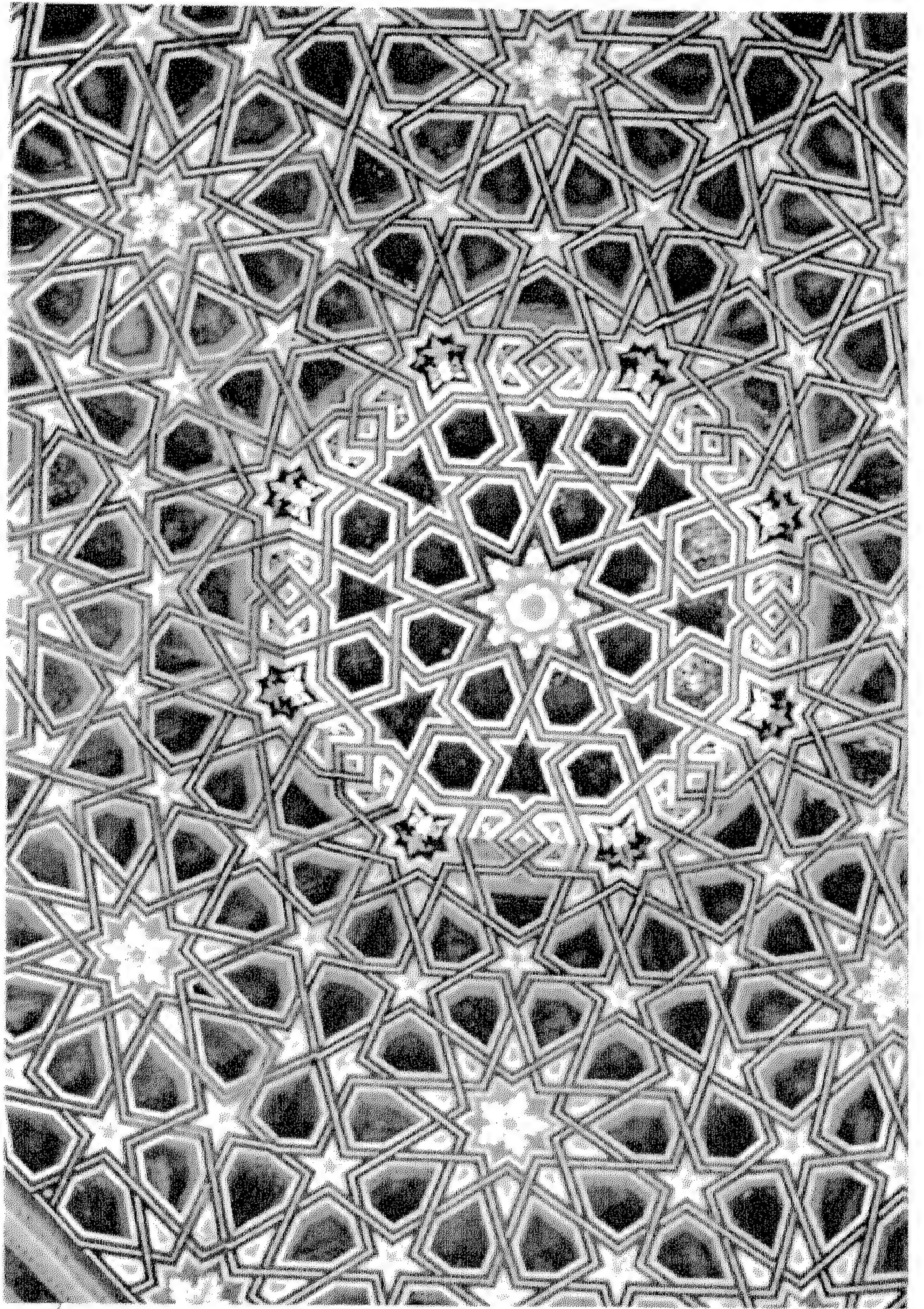
100



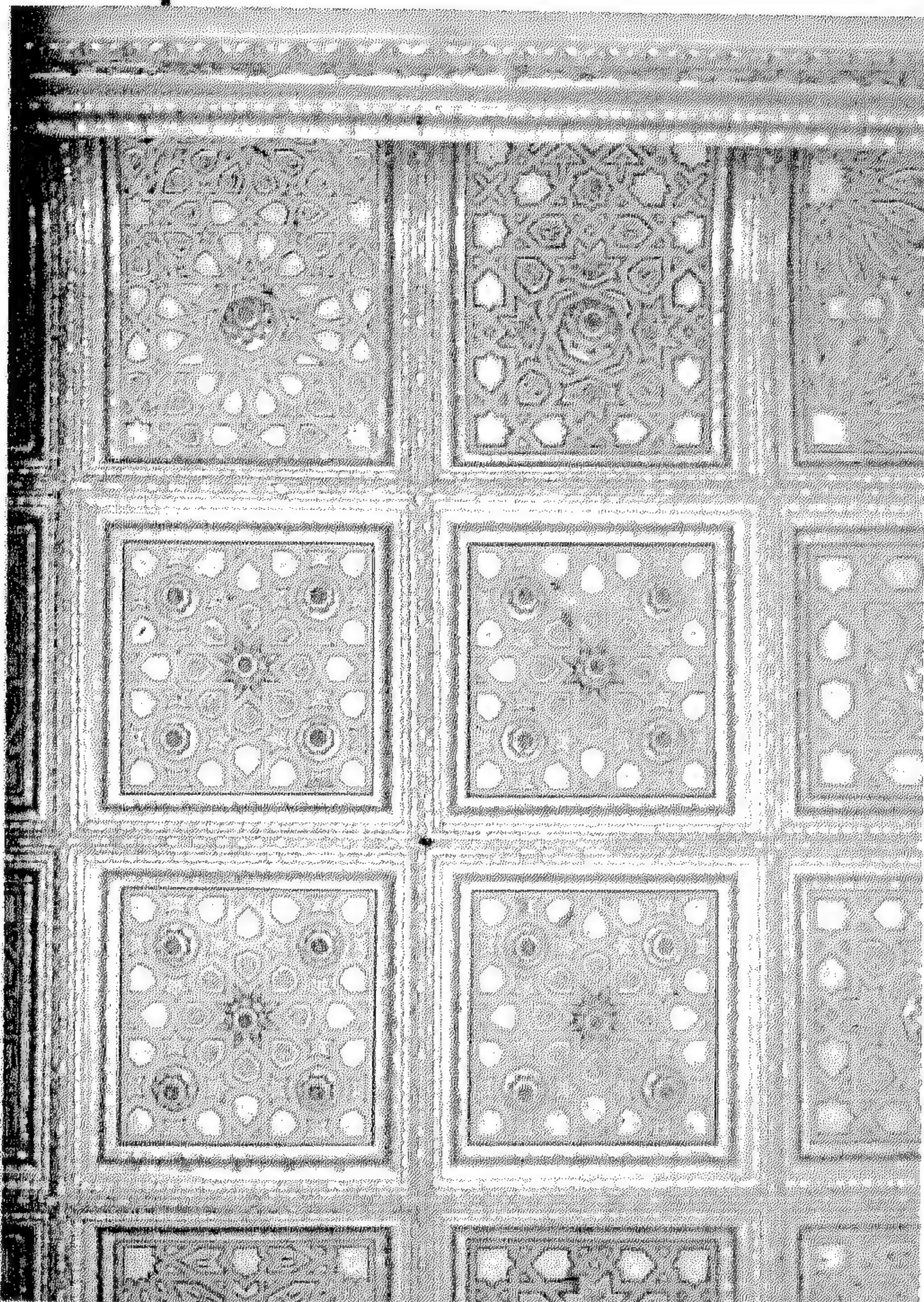
99



102



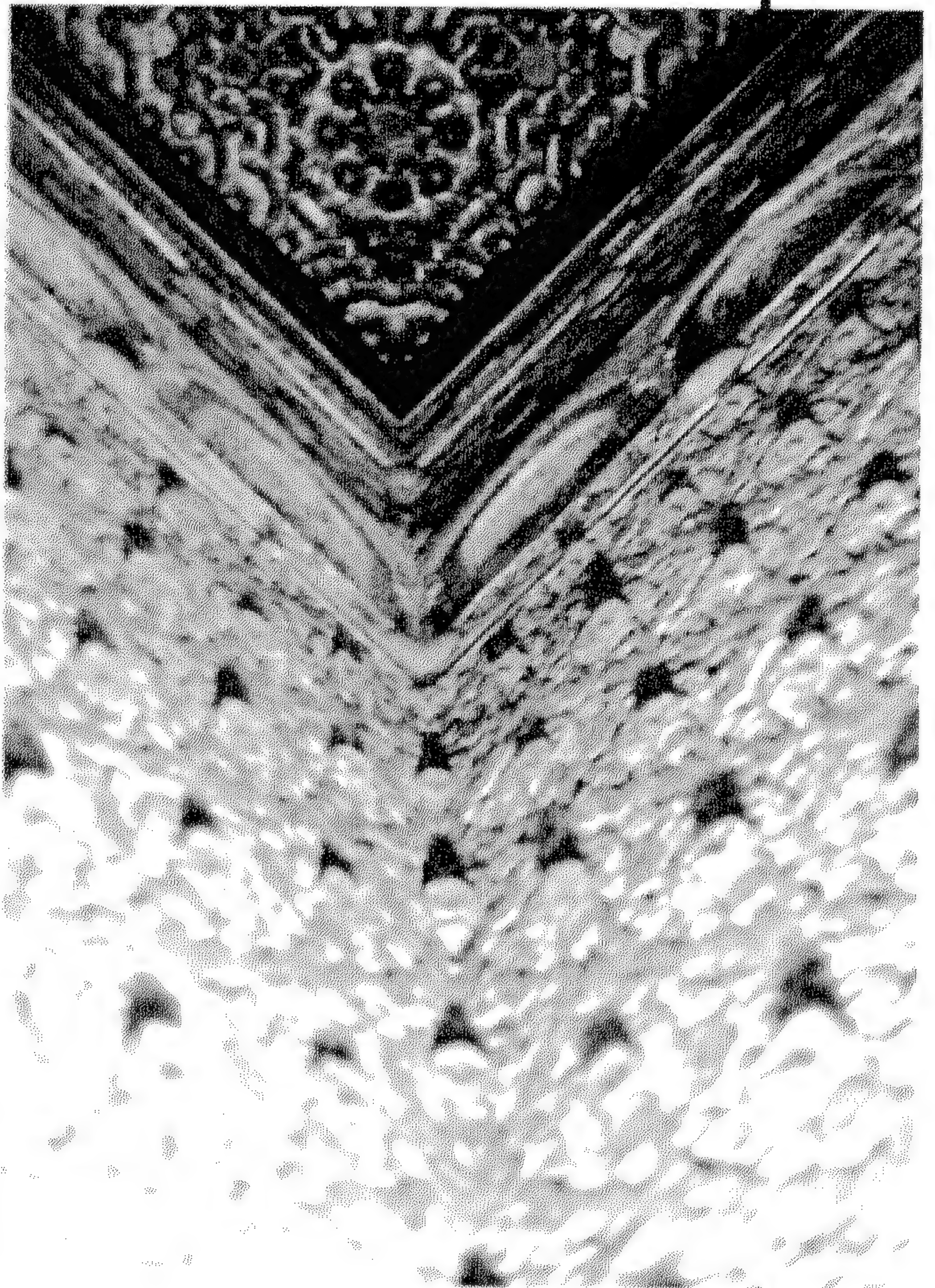
103



105



104

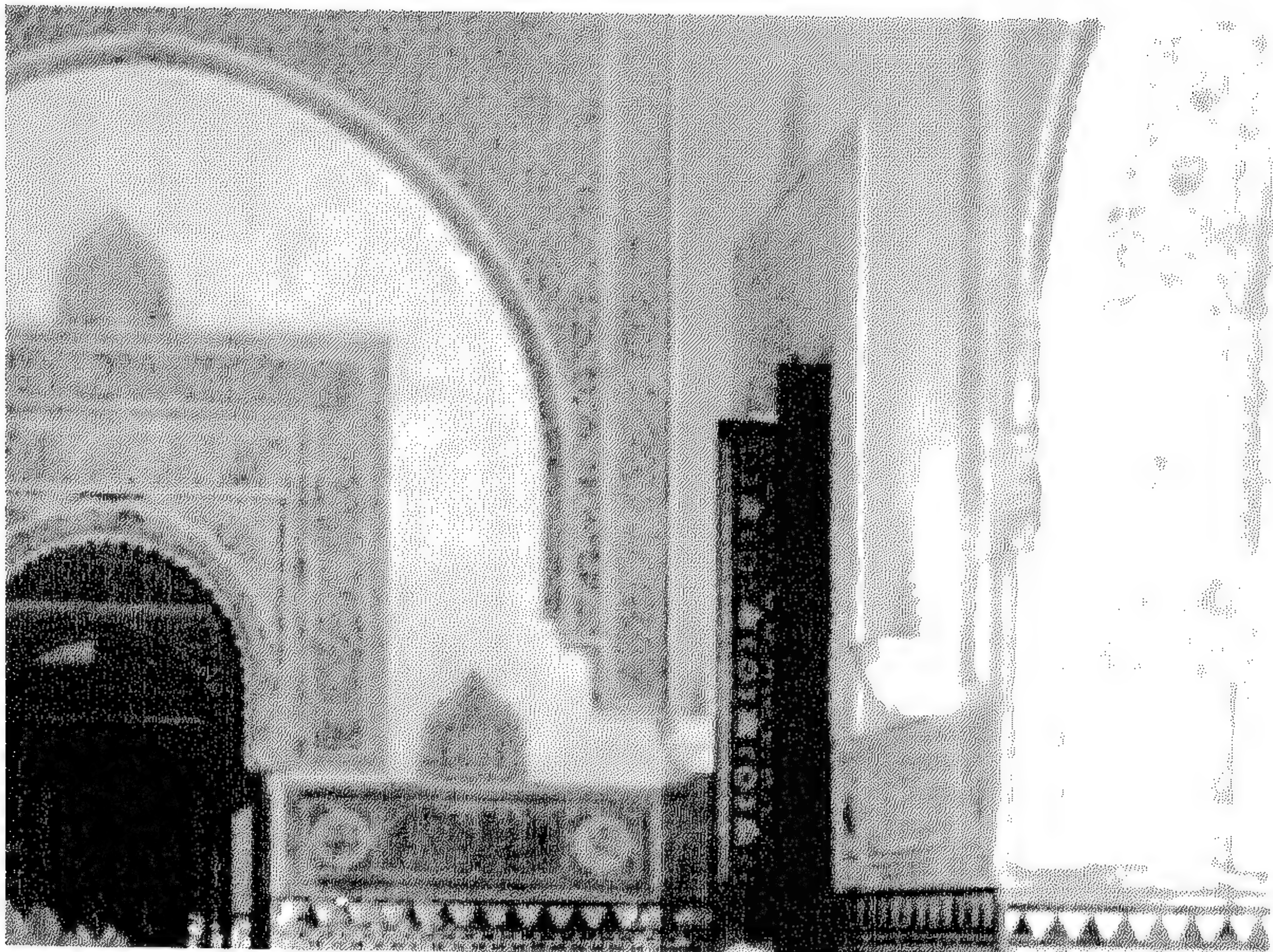


107

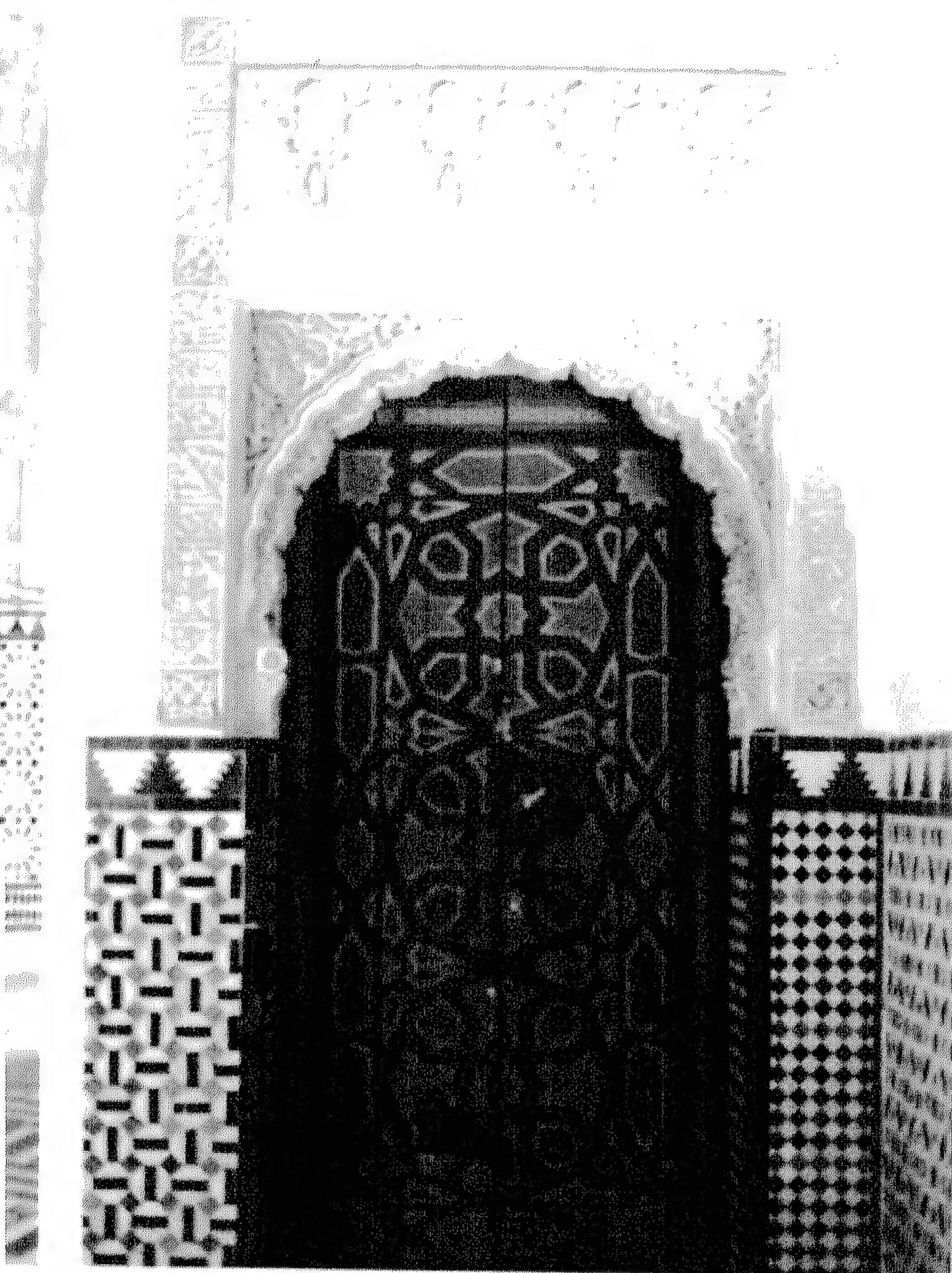


106

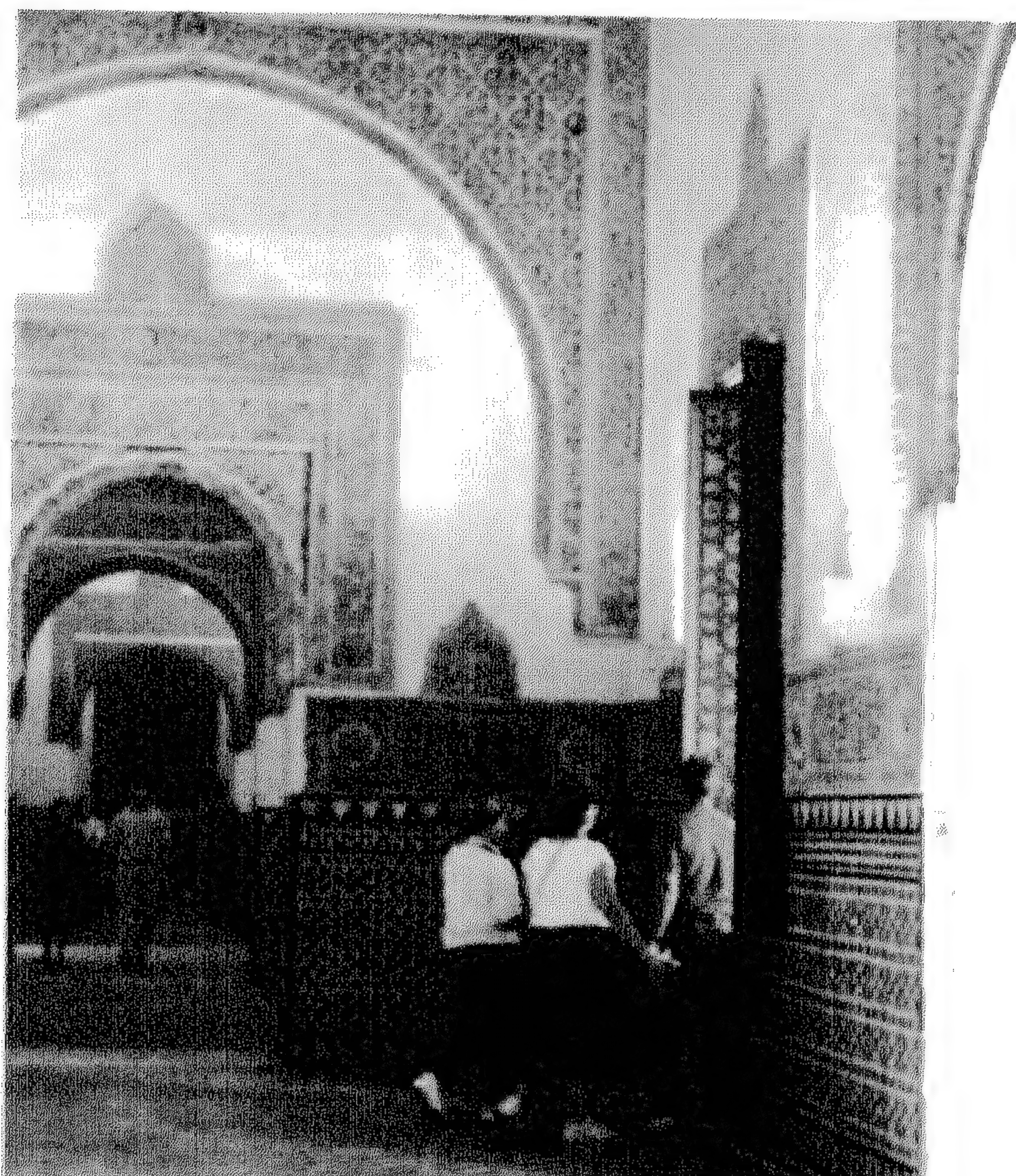
109

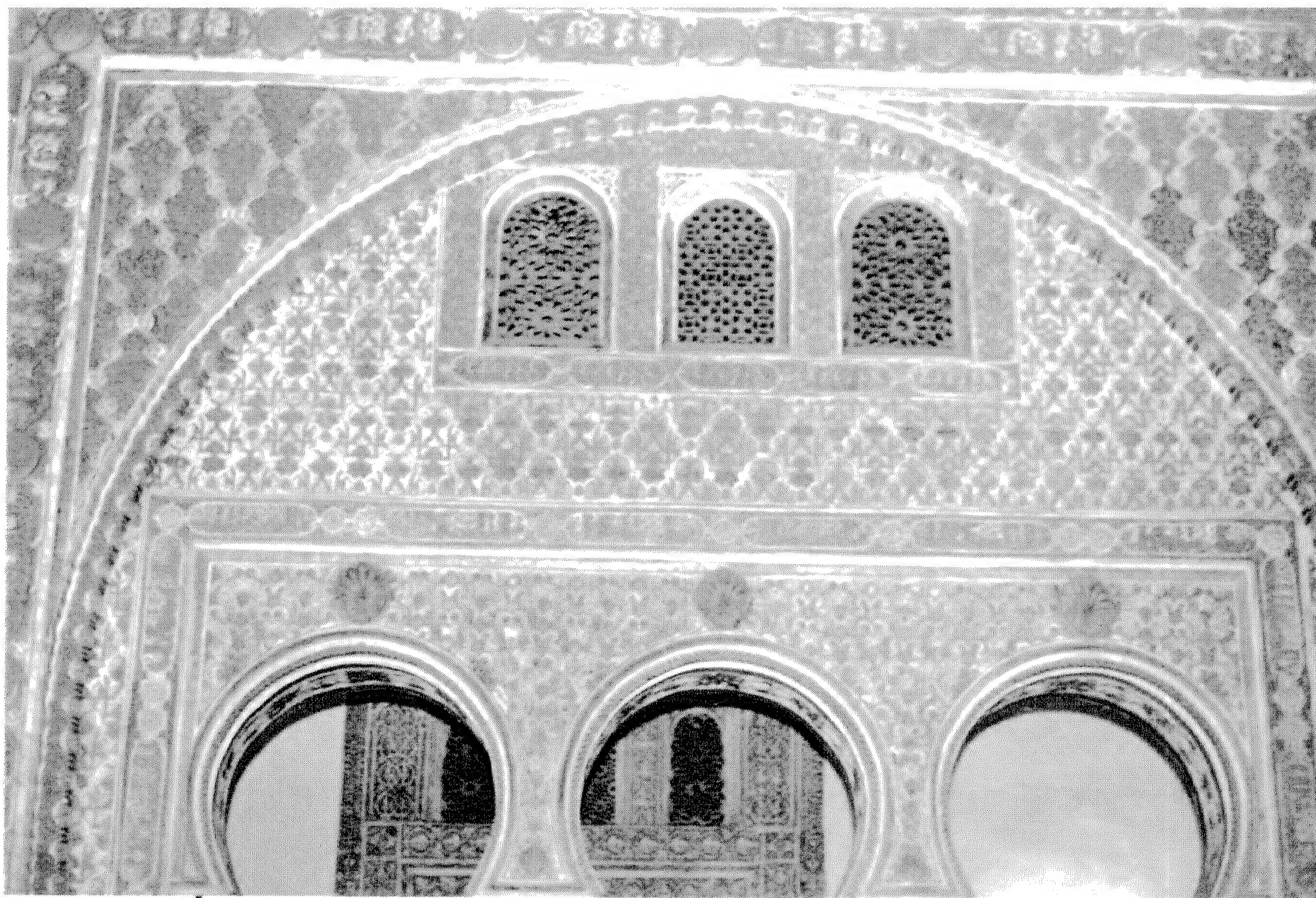


108

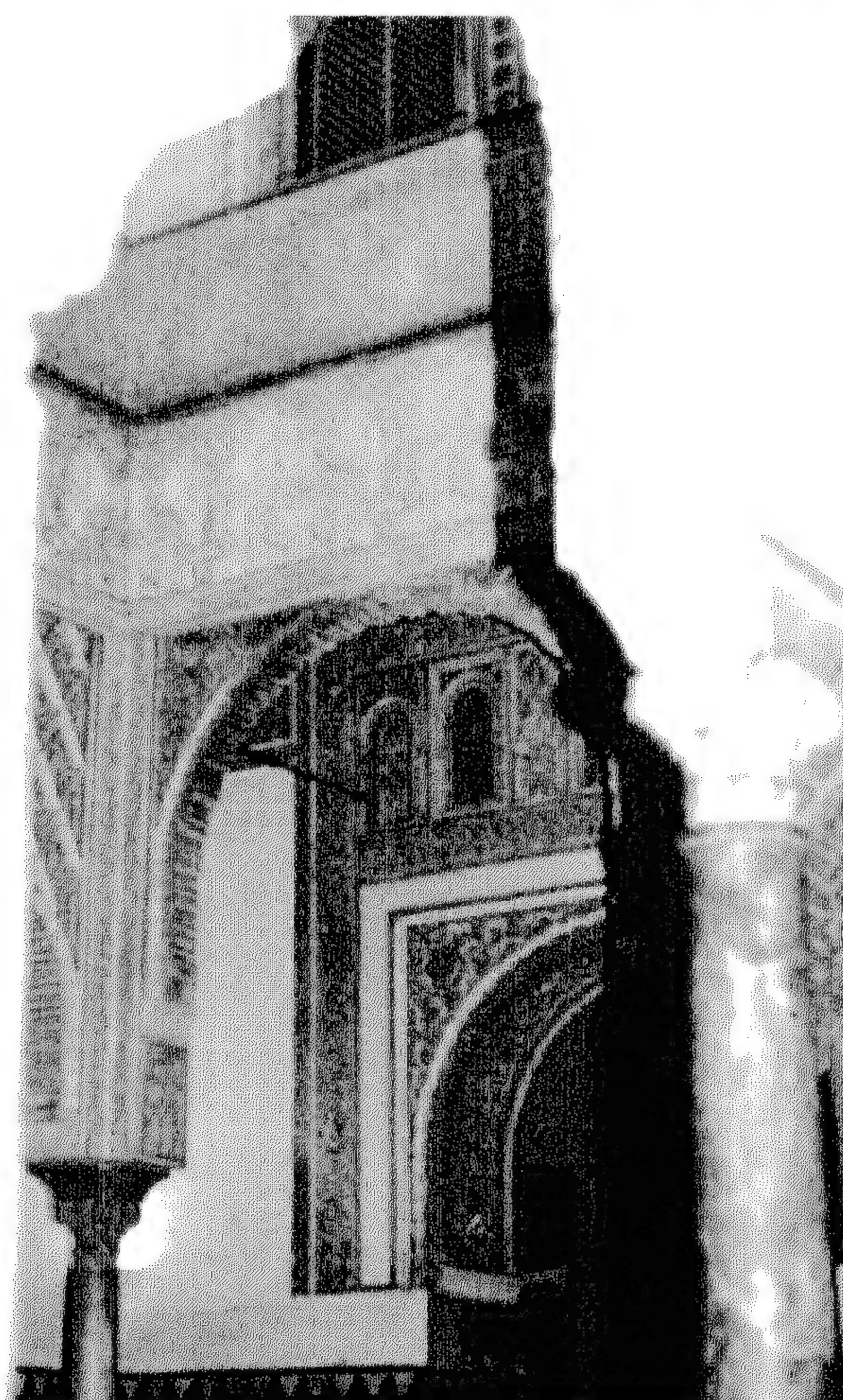


110

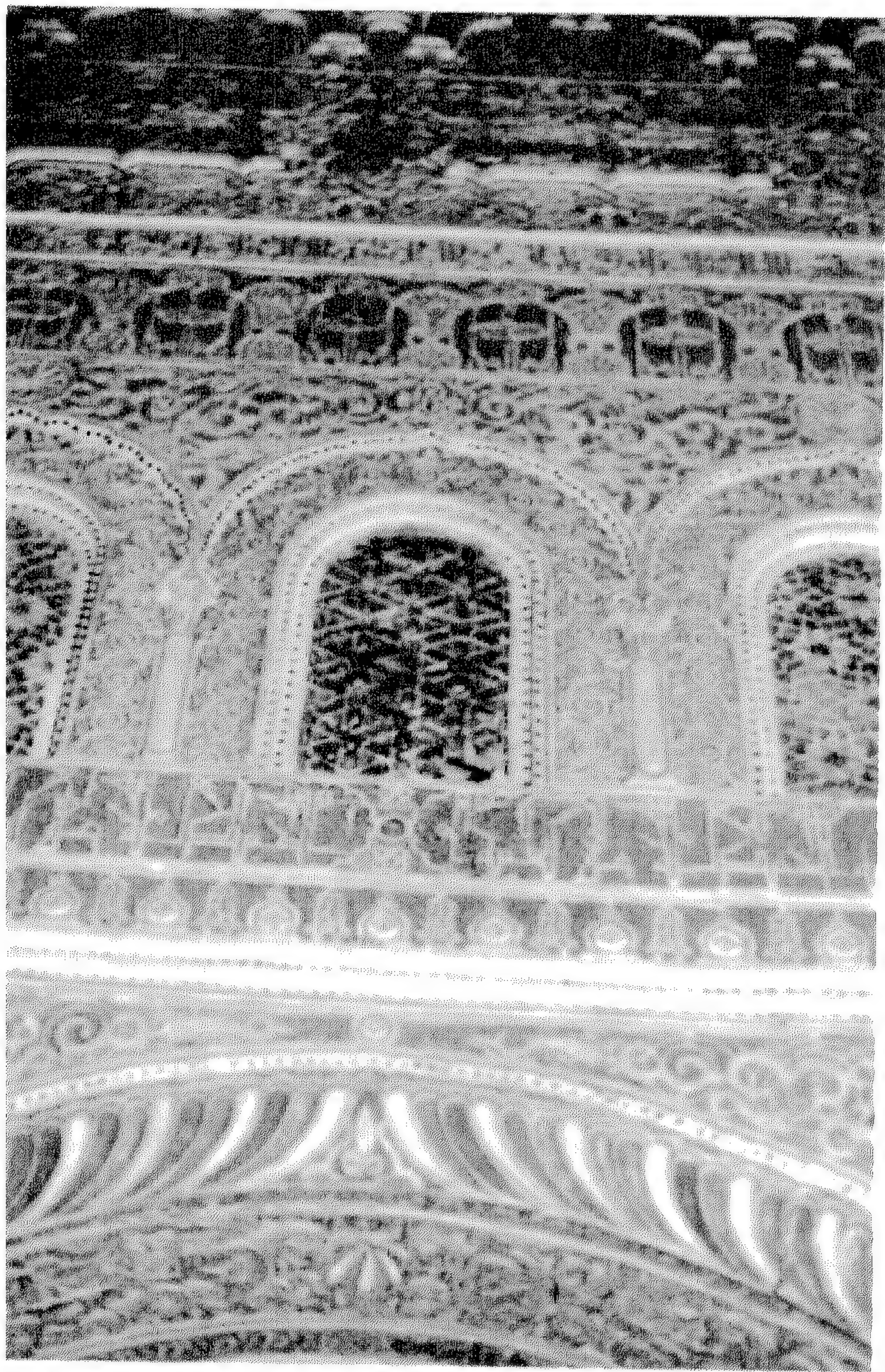




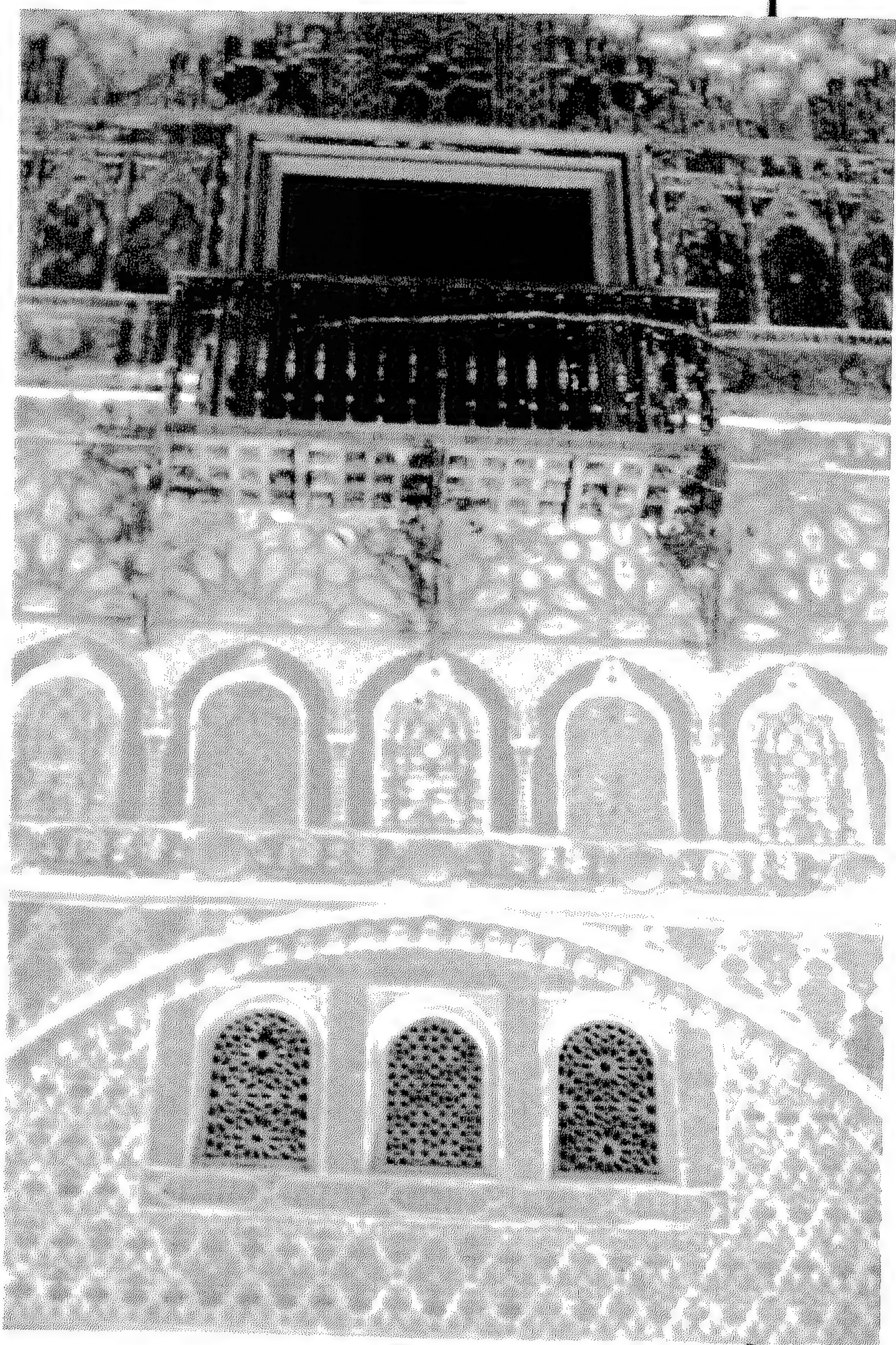
111



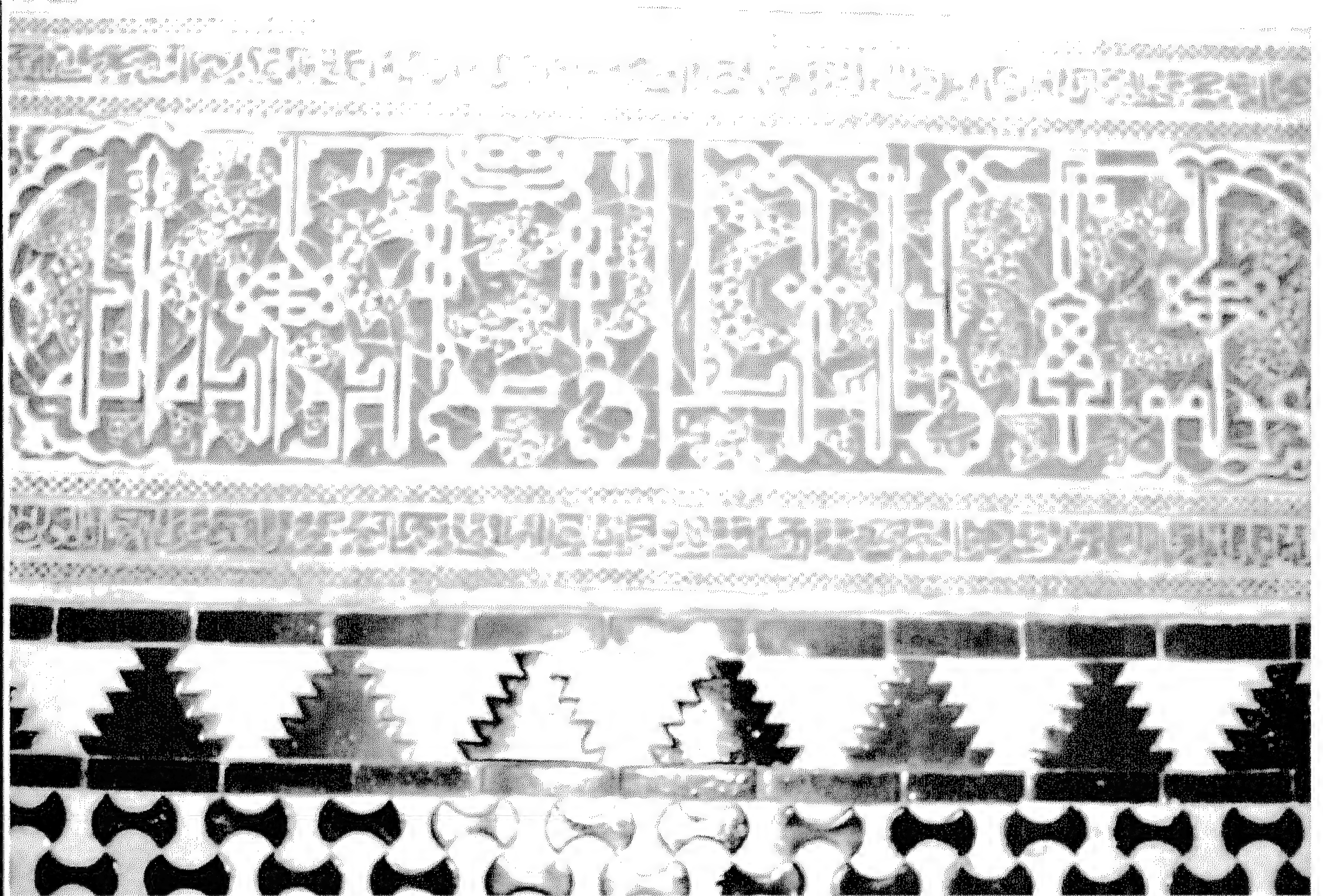
112



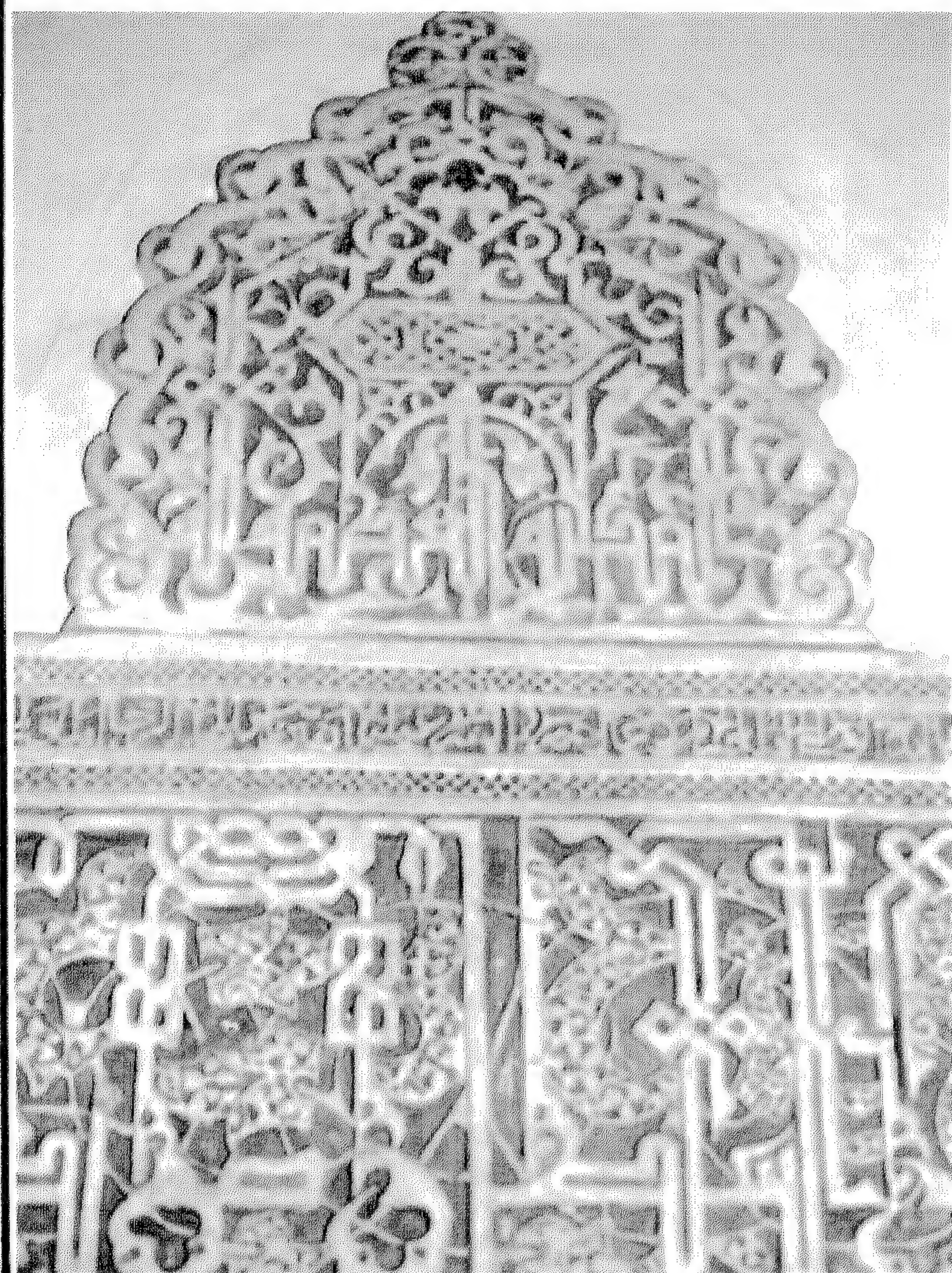
114



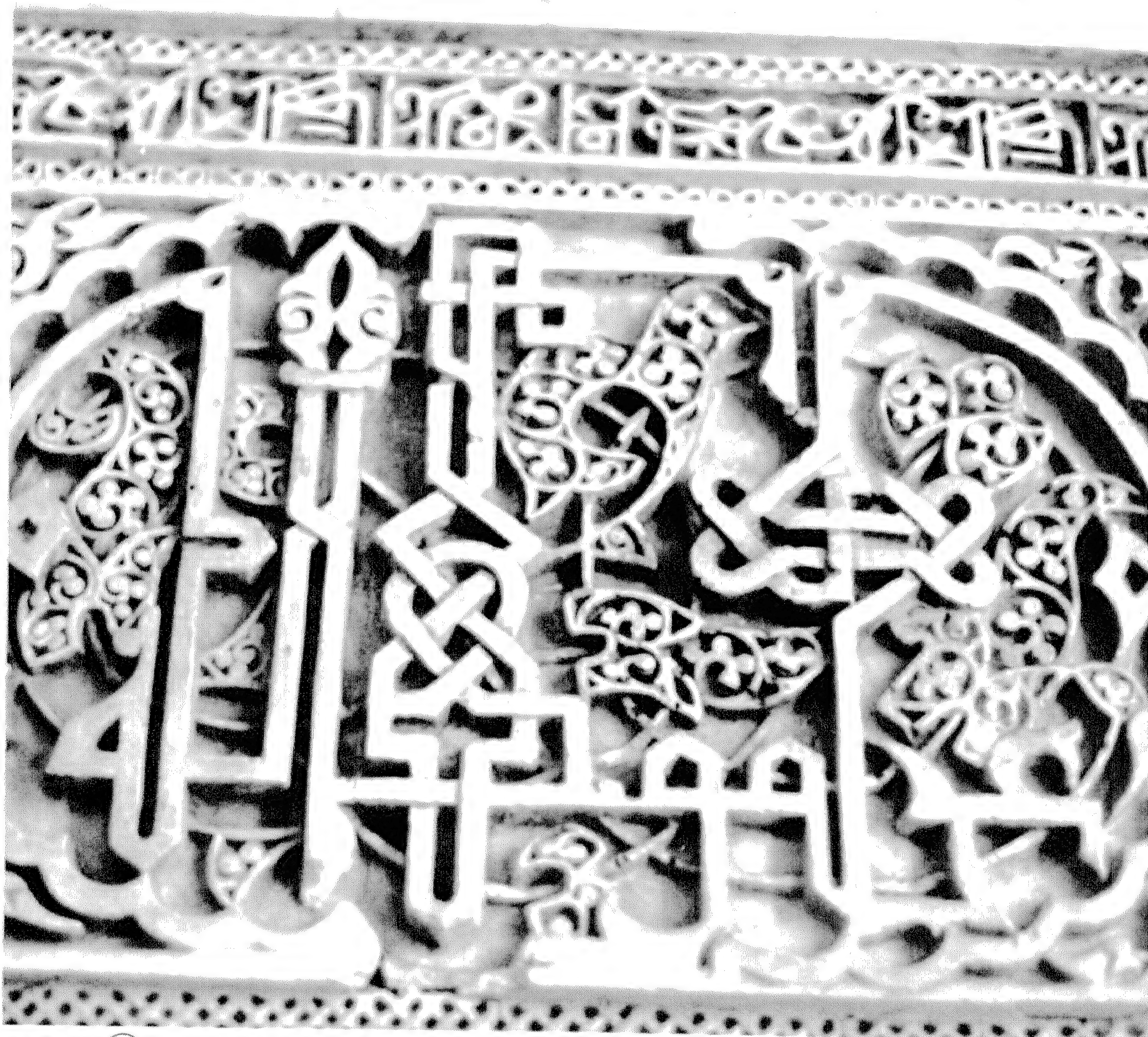
113



115

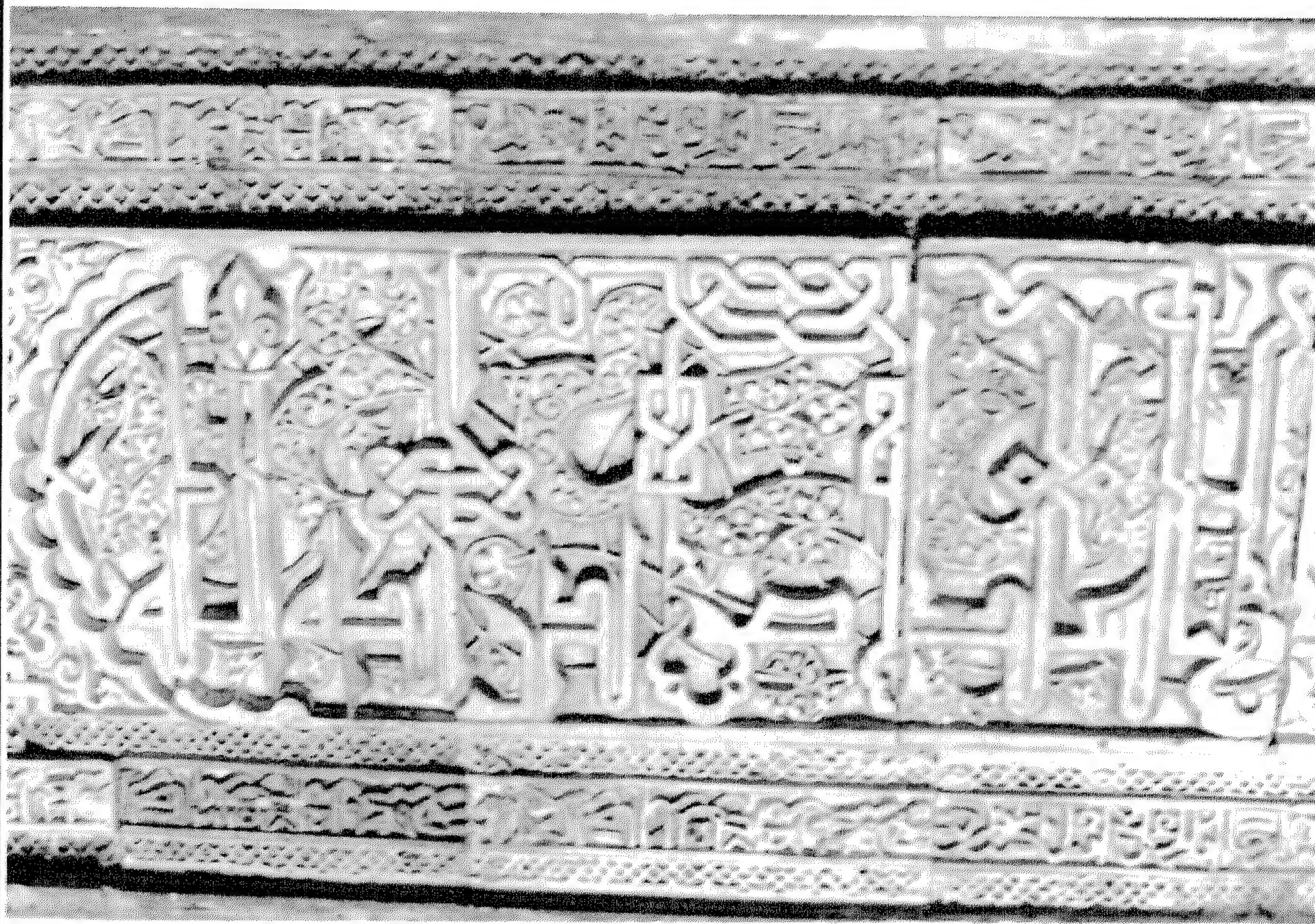


116



117

118

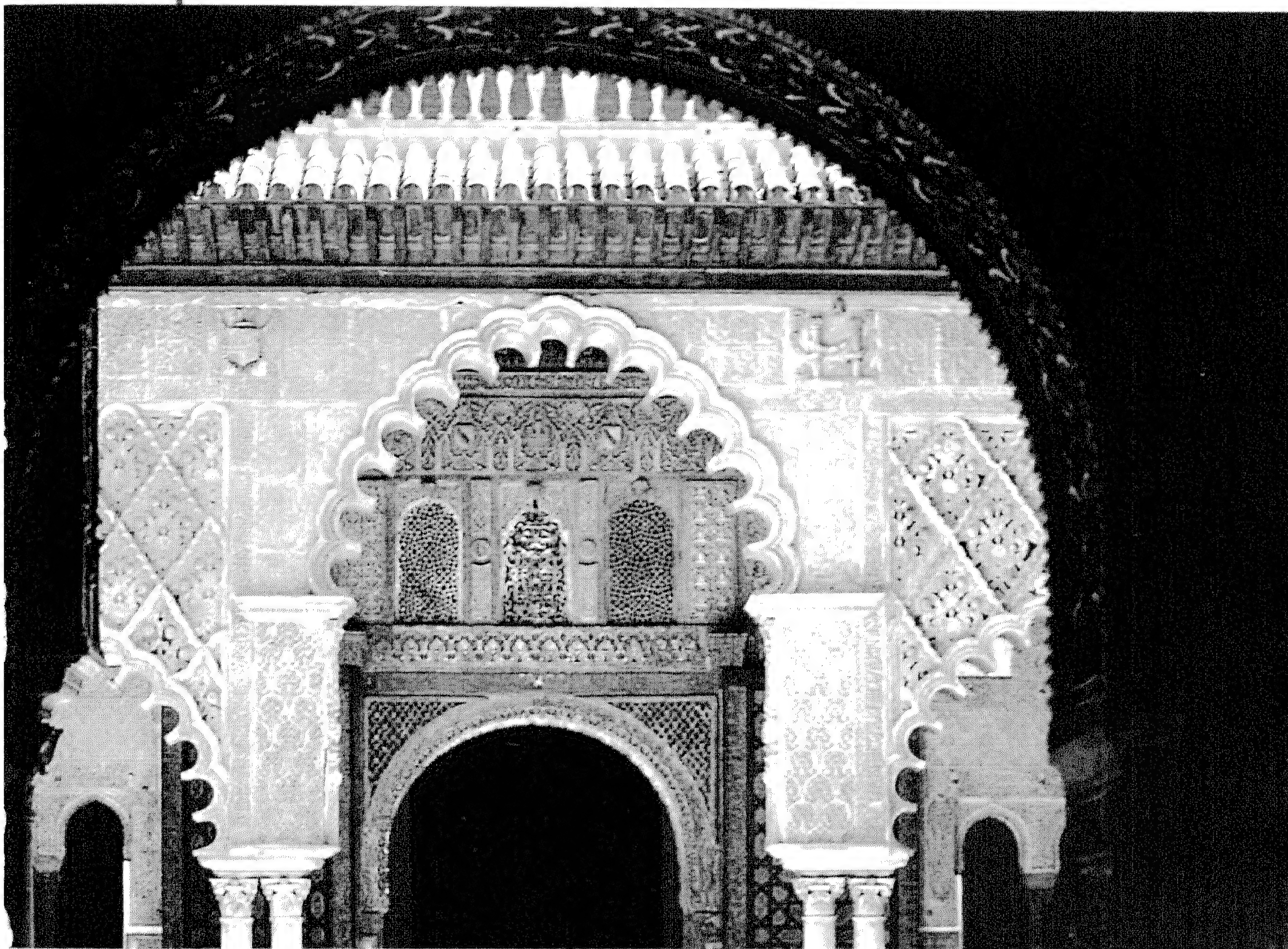


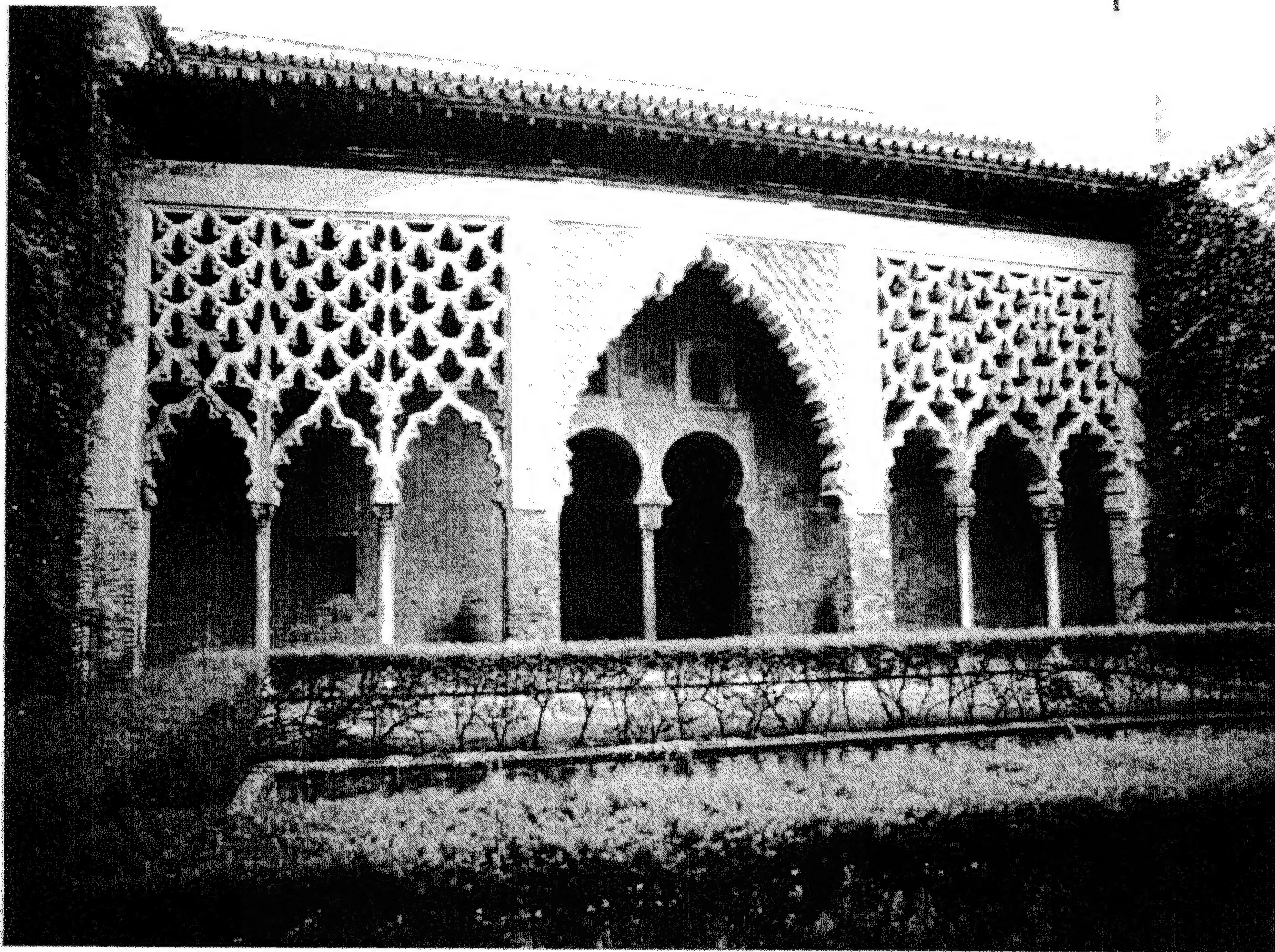
119





120







124



125





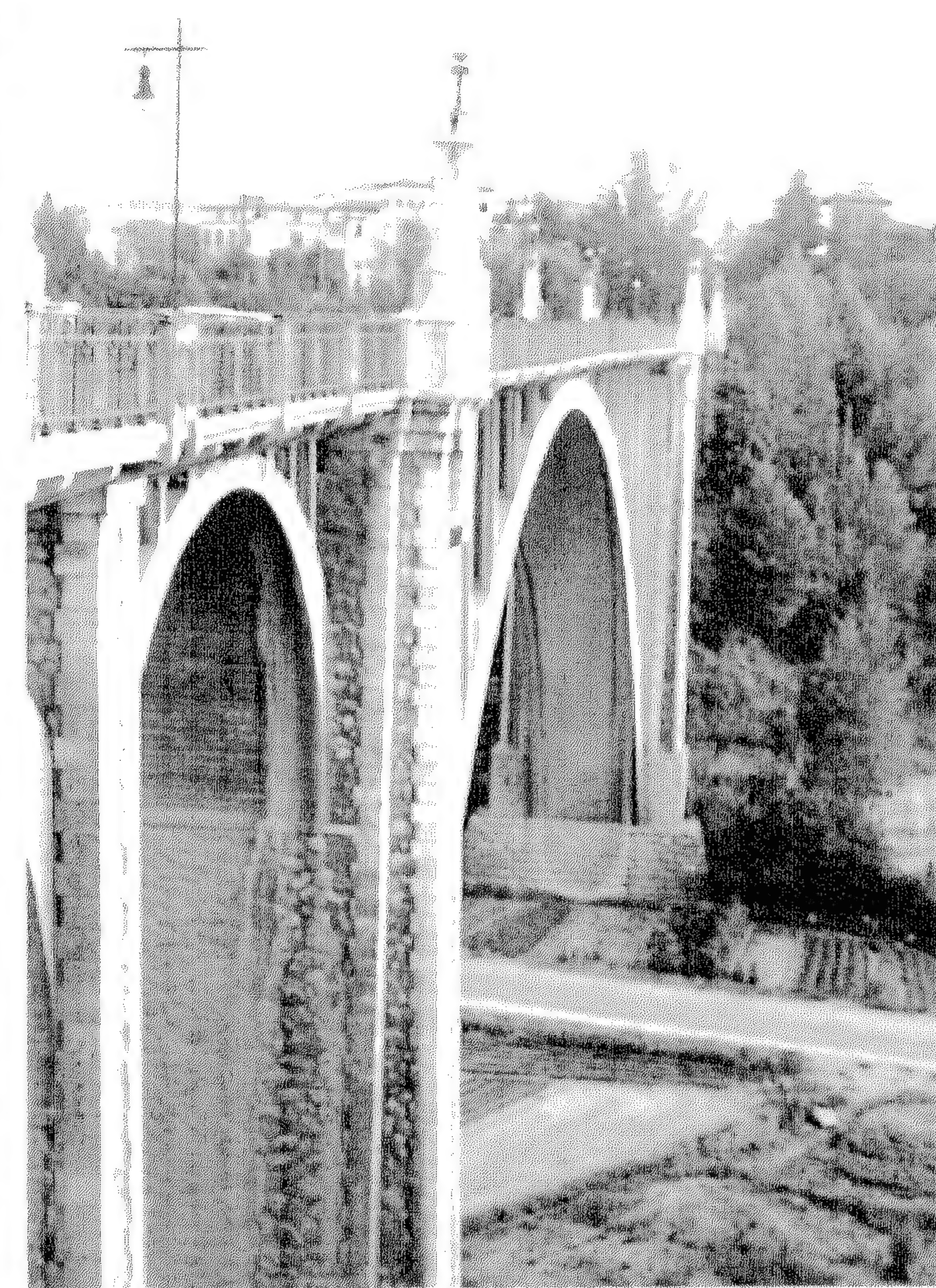
283



282



126



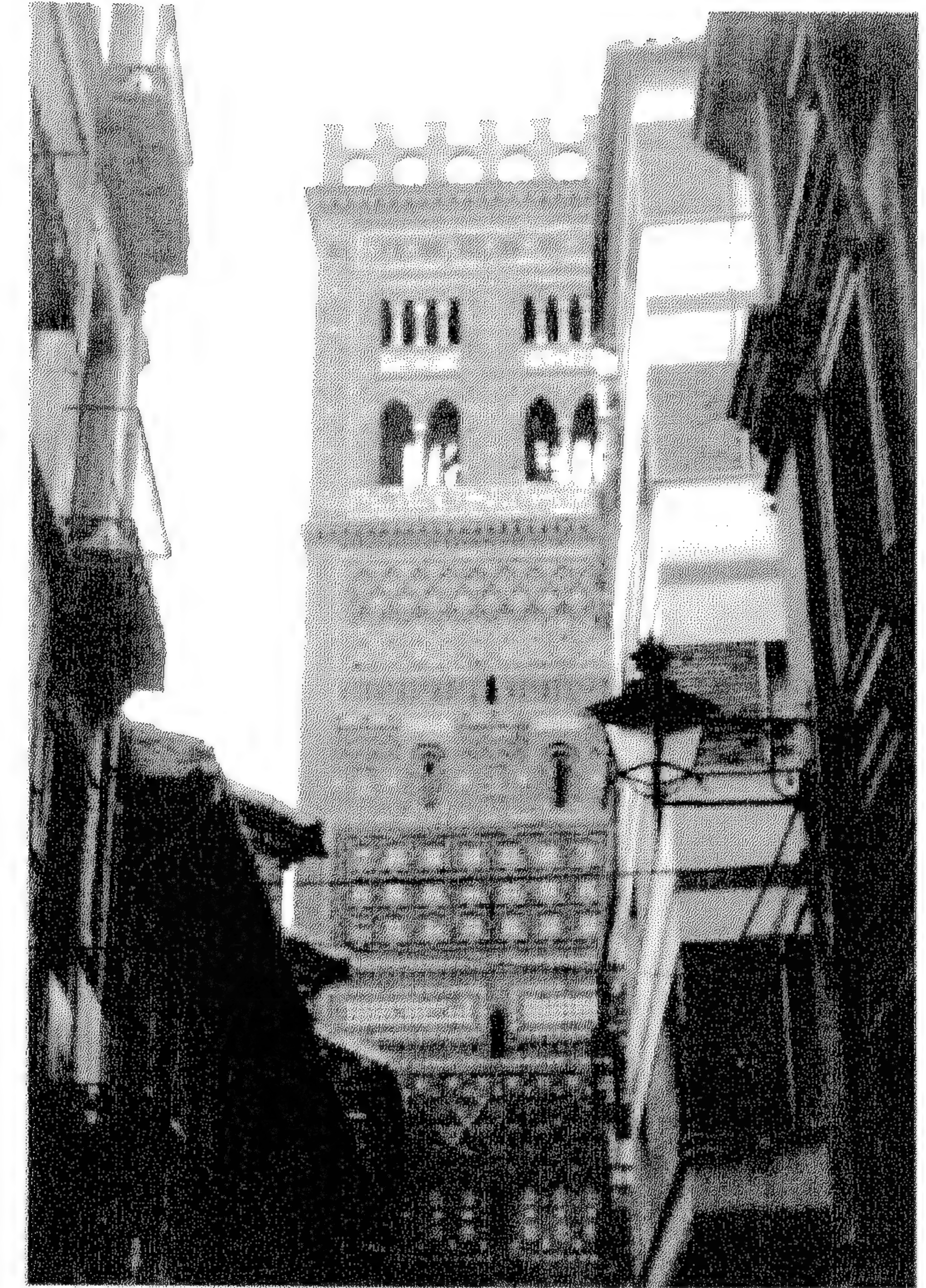
127





287

286



132



133



135



136

137





2



141



139



140



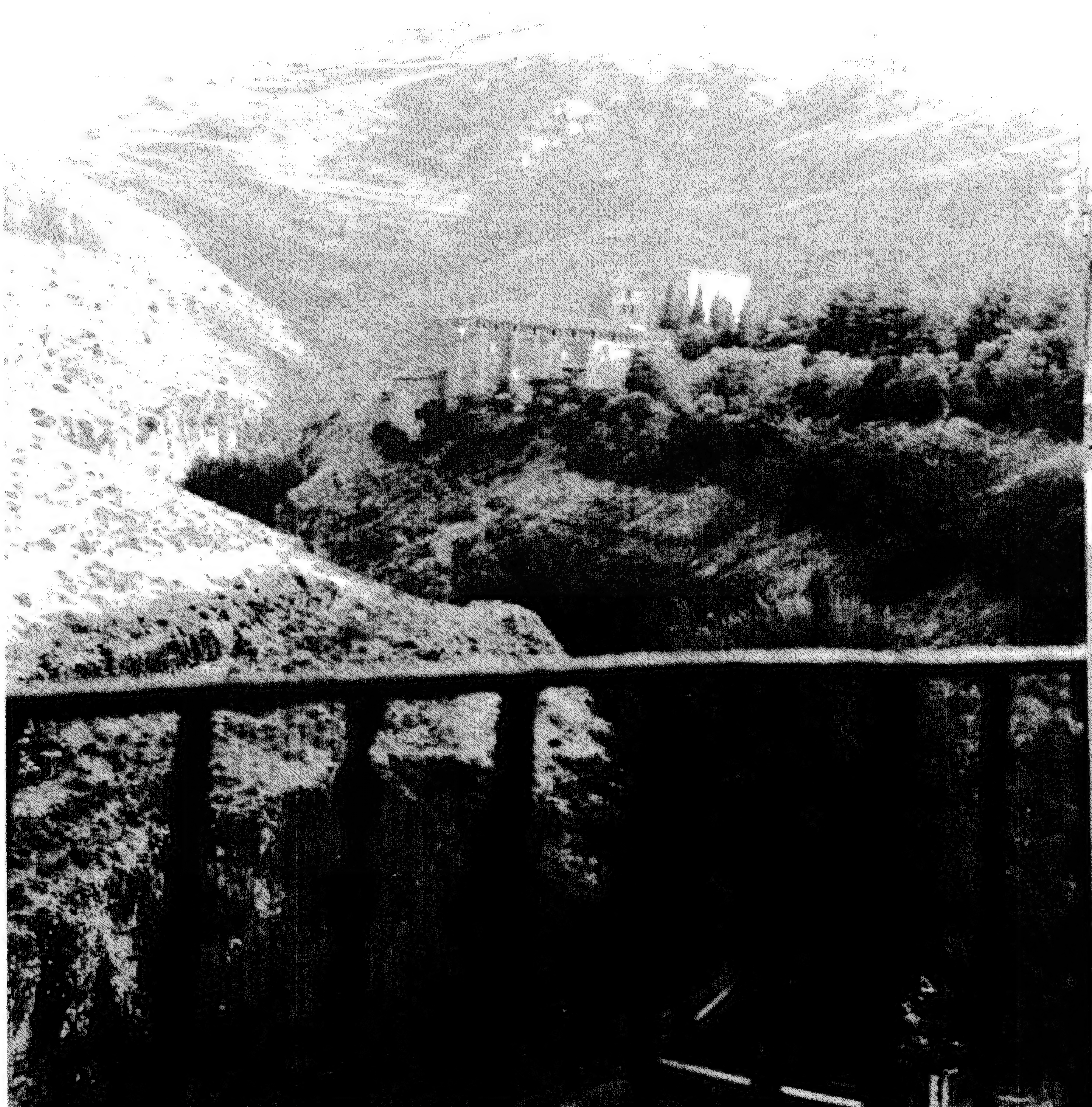
143



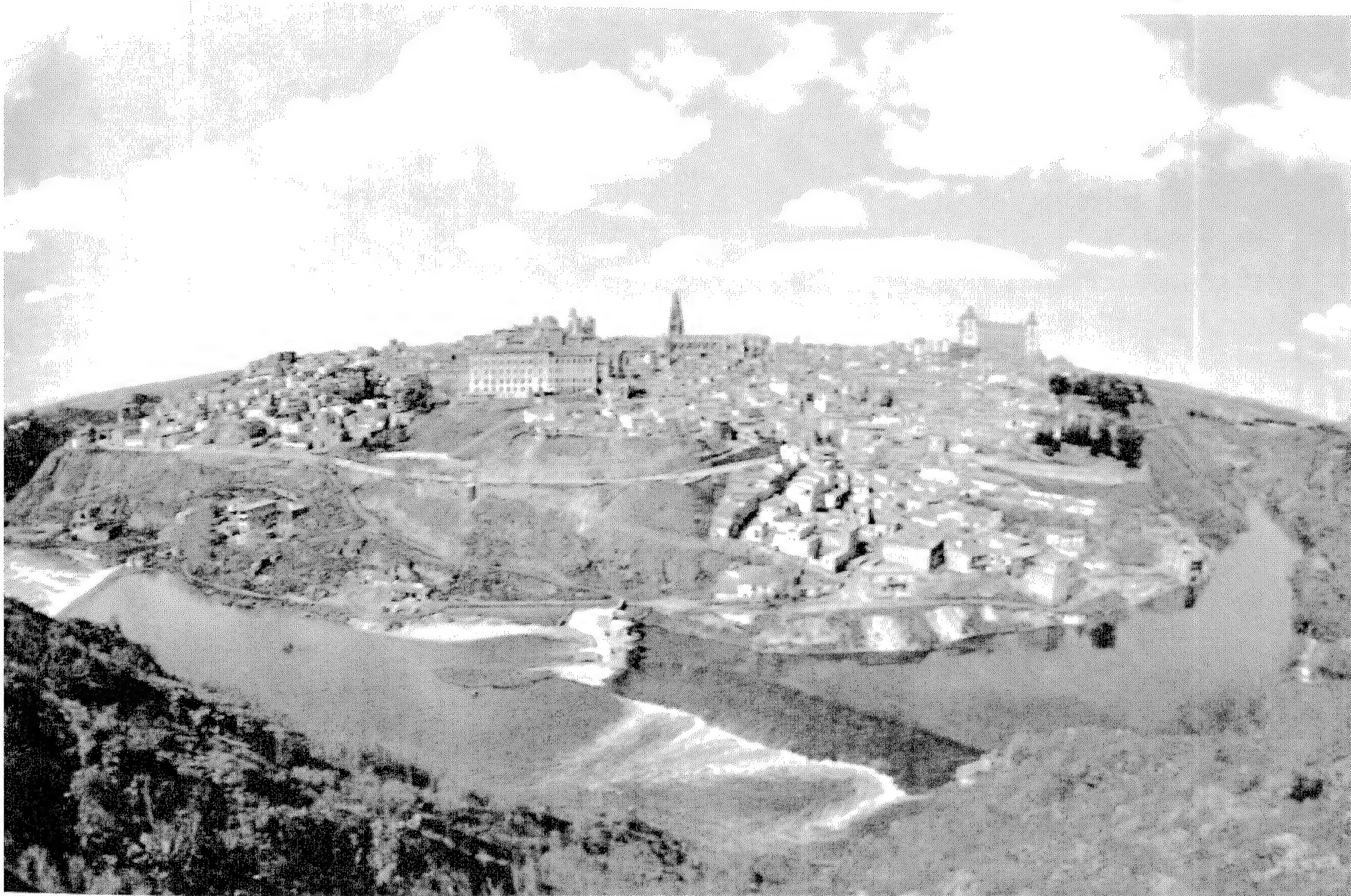
144







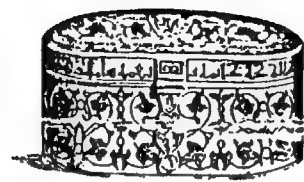




149







شرح الطهور

شرح الصور

- 1 - قصور الحمراء أعلى مباني غرناطة وأجملها .
- 2 - القسبة بالحمراء كما تبدو من احد ازقة حي البيازين .
- 3 - مسجد يقع بجانب نهر « حدارة = دارو » تم تحويله الى كنيسة .
- 4 - محل لصنع الجرار والخزف بحي « البيازين » لاحظ كيف كتبت كلمة « الجرار » باللغة الاسبانية ALyarrar وهو محل انشاء أحد مسلمى غرناطة ، ويعمل به معه بعض مسلمى غرناطة .
- 5 - داخل مصنع « الجرار » وهو فى الاساس بيت حافظ على طابعه الاندلسي الذى تتميز به بيوت « البيازين » .
- 6 - قطع خزفية لا تزال تحتفظ بنمط اسلامي متميز .
- 7- 8 - المدرسة فى غرناطة خارج حي « البيازين » وتقع بمقربة من الجامع الاعظم . لا تزال تحتفظ باسمها ونمط معمارها ، لاحظ اللوحة وكيفية كتابة كلمة « مدرسة » باللغة الاسبانية « LAMADRAZA » ثم لاحظ تاريخ تأسيسها .
- 9 - مدخل سوق العرب ويعرف ايضا بسوق الفحم .
- 10 - المؤلف بجانب مجرى نهر « دارو » الذى يفصل بين حي البيازين وقصور الحمراء التى تقع على يمين الصورة . تصوير / هارون كاراجويل .
- 11 - سوق « القيسارية » اسم لازال راسخا فى ذاكرة غرناطة منذ ان اسماه العرب بهذا الاسم ، لاحظ اللوحة الرخامية المثبتة على مدخل السوق « ALCAICERIA » .
- 12 - الكاتدرائية التى تقع بجانب المدرسة وهى مبنية على انقاض المسجد الجامع بعد ان تم تهديمه .
- 13 - تمثال الملكة « ايزابيلا » وهى تبارك بداية الرحلة الى اكتشاف العالم الجديد وتمنح قائد الاسطول « كريستوفر كولومبس » اذنا ببدء الرحلة ، يتوسط هذا النصب احد ميادين غرناطة قريبا من قصور الحمراء . « بطاقة بريدية » .
- 14 - احد الطرق المؤدية الى قصور الحمراء . . وفى مؤخرة الصورة يبدو أحد مداخل الحمراء

- « باب الشريعة » .
- 15 - أسوار الحمراء .
- 16 - مدخل قصر الحمراء ويعلموه رسم ليد مفتوحة وحول هذا النقش تعددت القصص والروايات .
- ولعل هذا المدخل هو الذى عنه الشاعر العربى نزار قباني حين قال :
- فى مدخل الحمراء كان لقاءنا ما اطيب اللقيا بلا ميعاد
- 17 - احد الابواب الداخلية المؤدية الى مباني قصور الحمراء .
- 18 - جانب من قصور الحمراء واحد الابراج المطلة على حى البيازين - فى يمين الصورة طريق جانبي يحيط بقصور الحمراء .
- 19 - القصبة فى احدى حدائق قصر الحمراء وهى تطل على حى « البيازين » .
- 20 - حديقة تحيط بقصر الحمراء .
- 21 - الكنيسة التى اضيفت الى قصر الحمراء .
- 22 - طريق بين اسوار القصر ومبانيه .
- 23 - احد ابراج قصر الحمراء .
- 24 - حفريات فى قصور الحمراء وتبدو القصبة والبرج .
- 25 - باب الشريعة ويسمى حاليا « باب النبيذ » .
- 26 - رواق بقصر الحمراء لاحظ دقة الاعمدة ومع هذه الدقة تتميز بالقوة والمتانة والرشاقة .
- 27 - باحة الآس والرواق الشمالى وبرج قمارش .
- 28 - برج قمارش وجزء من الرواق الشمالى .
- 29 - مدخل يؤدى الى قاعة البركة .
- 30 - تفاصيل تعلقو مدخل صحن بين المشور والسرايا .
- 31 - مدخل صحن بين المشور والسرايا .
- 32 - جانب من الصحن بين المشور والسرايا .
- 33 - تفاصيل جدارية واجزاء من الزخارف الخزفية فى الصحن بين المشور والسرايا .
- 34 - المدخل المؤدى الى السرايا .
- 35 - 36 - جداريات داخل قصر الحمراء . ثراء زخرفى اساسه الحرف العربى واييات من شعر

- « ابن زمرك » وعبرة « ولا غالب الا الله » شعار بنى الاحمر .
- 37 - كوة صغيرة تحيط بها كتابات زخرفية الى يمين من الاسفل الى الاعلى « يائقتى يا أملى انت الرجا أنت اختم بخير عملى » وهى مكررة على اليمين من الاعلى الى الاسفل ، وتعلو الكوة عبارة « قال النبى المرسلى اختم بخير عملى » .
- 38 - ترميمات لم تكتمل فى جدران قصر الحمراء .
- 39 - 40 - 41 - 42 - « ولا غالب الا الله » فى كل نقش وفى كل زاوية من جدران قصور الحمراء .
- 43 - تفصيل من قوس فى قصور الحمراء : ثراء فى فن المقرنصات وبهذه الجدارية الكلمات التالية « من أعلی » : الحمد لله على نعمة الاسلام - فى الدائرة ، ولا غالب الا الله - ثم : الله ربنا - ثم : عز لمولانا ابى الحجاج على نصره الله .
- 44 - الحرف العربى والمقرنصات . . شعر وحكمة وثناء وتكامل . . ليس ثمة فراغ .
- 45 - جدار اندلسى ونوافذ . . ضياء وظلال .
- 46 - أقواس داخل قصر الحمراء .
- 47 - سقف بقصر الحمراء .
- 48 - اعمدة دقيقة : رشاقة ودقة وبراعة هندسية ، وتبدو من بين هذه الاعمدة ساحة السباع « بطاقة بريديّة » .
- 49 - جانب من ساحة السباع « بطاقة بريديّة » .
- 50 - ساحة السباع « بطاقة بريديّة » .
- 51 - حدائق غناء بقصر الحمراء « جنة العريف » .
- 52 - جزء من جدار بقصر الحمراء تظهر فيه بوضوح عبارة « لا غالب الا الله » وداخل الاطار المتكون من تلك العبارة وحول رأس « الكوة » نقرأ من الاسفل الى الاعلى بشكل مستقيم وعلى اليمين « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله » ثم من اليمين افقيا فوق رأس « الكوة » « على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما [فاصل] والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن » [ثم من الاعلى الى الاسفل على اليسار] « الرحيم الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » [ثم على يمين الكوة من اليمين] له ما [ثم فى نصف الدائرة التى تأخذ شكل الحدوة] « فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده

حفظهما وهو العلى العظيم ﴿ .

53 - قاعة السفراء ثرية بالزخارف الجصية كتابة ومقرنصات مع لمسة من الخزفيات ، ويمكن ان تقرأ في العمود الاول الظاهر في الصورة عبارة « الملك الدائم والعز القايم لصاحبه » تتكرر من اسفل الى الاعلى ومن اليمين الى اليسار ، وفي العمود الثانى تظهر بوضوح عبارة « ولا غالب الا الله » مكررة بنفس الاسلوب ونفس الطريقة التى تكررت بها الجملة السابقة في العمود الاول .

54 - احدى قاعات قصر الحمراء الاكثر وضوحا في النقوش عبارة « ولا غالب الا الله » وفوق القوس الاول الى اليمين لاحظ ما يلى : « على آله وسلم تسليما قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر » ولا توجد تكملة للسورة وداخل هذا القوس تحت النافذتين الصغيرتين تتكرر هذه الجملة « الحمد لله على نعمة الاسلام » وفي هذه القاعة شريط زخرفى يحتوى على العبارة التالية « الصدق المكين والفتح المبين لمولانا ابي الحجاج أمير المسلمين » وهو شريط يتكرر فى الجدران الاربعة للقاعة .

55 - الزخارف الجصية ويتناغم فيها الحرف العربى بنوعيه « المغربى التقليدى » و « الكوفى المزهر » مع الزخارف النباتية والمقرنصات ، ويمكنك ان تقرأ ما تحويه المثلثة التى تقع فوق العمود الذى يتوسط النافذتين الصغيرتين « فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين صدق الله العظيم » وتحت الدائرتين الصغيرتين الواقعتين فوق النافذتين مستطيلا ن يحويان العبارة التالية « الحمد لله على نعمة الاسلام » .

56 - ساحة السباع صورة التقطت من قبل Senana y Gonzalez سنة 1895 .

57 - من حدائق جنة العريف .

58 - الحمراء كما تبدو من حى « البيازين » تبدو وكأنها نبتة تعلو الاشجار الخضراء وتطاول فى ارتفاعها قمم الجبال - ويبدو لونها أقرب الى الاحمرار . . وهى بجدرانها الخارجية لا تنبىء عن محتوياتها الرائعة .

59 - نخلة تتوسط مبنى مجاور لمسجد قرطبة وهى فى توحيدها تذكرنا بقول « عبد الرحمن الداخل » : تبدت لنا وسط الرصافة نخلة .

60 - بعض مما اضافته الاسبان لمبنى عربى مجاور لمسجد قرطبة .

61 - تمثال لابن رشد فى مدينة قرطبة .

62 - مدينة الزهراء خارج قرطبة حفريات جديدة ستضيف بلا شك معلما حضاريا كان مهملًا .

- 63 - تمثال « ابن حزم » تتزين به مدينة قرطبة .
- 64 - منظر عام لمدينة قرطبة ويبدو واضحاً مبنى المسجد ومثذنته التى حولت الى برج للكاتدرائية
والتي تم بناؤها داخل المسجد .
- 65 - المسجد من الخارج .
- 66 - مدخل المسجد .
- 67 - مبنى المسجد كما يبدو من الصومعة ، ويظهر جانب من صحن البرتقال .
- 68 - صحن البرتقال .
- 69 - احدى واجهات المسجد .
- 70 - السواح من كل الجنسيات يمضون اطول وقت امام محراب مسجد قرطبة الجامع .
- 71 - تفصيل من احدى بلاطات المسجد .
- 72 - محراب المسجد .
- 73 - الواجهة اليمنى لمحراب المسجد .
- 74 - القبة التى تعلو محراب المسجد .
- 75 - احد جوانب قبة محراب المسجد .
- 76 - نافذة بالمسجد ، زجاج ملون يضيفى الوانا متعددة داخل المسجد .
- 77 - بلاطات مسجد عبد الرحمن الاول .
- 78 - جانب من بيت الصلاة .
- 79 - البلاطة الرئيسية لمحراب الحكم الثانى
- 80 - مثذنة جامع اشبيلية الاعظم والتى تعرف اليوم باسم « الخيرالدا = الدوارة » كما تبدو من
الضفة الغربية للوادي الكبير ، ويبدو على ضفة النهر برج الذهب - صورة التقطت سنة 1862
بواسطة « Charles Eli Ford » .
- 81 - مثذنة جامع اشبيلية الاعظم تطل على المدينة وهى الاكثر ارتفاعا ويبدو نهر الوادي الكبير
الذى لا زال يحتفظ بهذا الاسم منذ ان اسماه العرب بذلك وعلى ضفته يسار الصورة برج الذهب .
- 82 - برج الذهب الذى استخدم للمراقبة .
- 83 - برج الذهب المطل على الوادي الكبير .
- 84 - مثذنة جامع اشبيلية ويبدو الجسم الاساس دون الاضافات العلوية وهى تقع الى الجانب

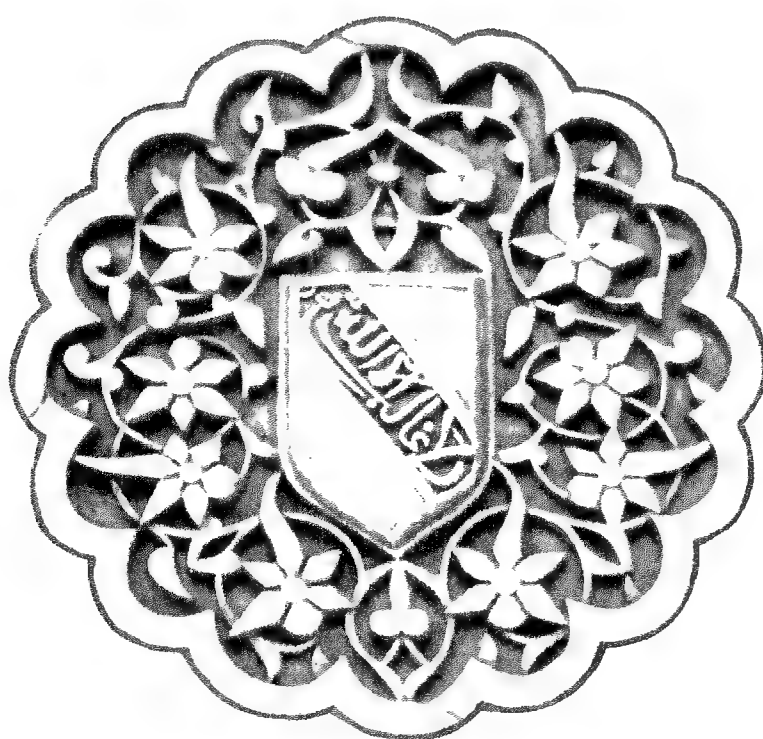
- الايمن من الكاتدرائية التى احتلت مكان جامع اشبيلية الاعظم .
- 85 - لوحة تذكارية تحتل تاريخ بناء المئذنة .
- 86 - اسوار قصر اشبيلية والمدخل العام .
- 87 - مدخل القصر / الجانب العربى .
- 88 - تفاصيل من مدخل القصر .
- 89 - ساحة العذارى كما تبدو من داخل احدى قاعات القصر .
- 90 - جانب من بهو العذارى .
- 91 - ساحة بهو العذارى .
- 92 - ساحة بهو العذارى .
- 93 - الطابق الثانى من القصر المطل على ساحة بهو العذارى .
- 94 - مدخل احدى القاعات بالقصر من ساحة بهو العذارى .
- 95 - بهو العذارى تفصيل .
- 96 - نقوش ونوافذ من الطابقين الثانى والثالث من القصر .
- 97 - ثراء فنى وتناسق بين الحرف العربى والزخرفة النباتية .
- 98 - من سقوف القصر الخشب المطعم بالذهب وبالالون العديدة .
- 99 - من سقوف القصر - الجص ، الملون .
- 100 - من سقوف القصر . . خشب ملون مطلى بباء الذهب .
- 101 - تفاصيل من سقف بالقصر .
- 102 - تفصيل آخر من سقف القصر .
- 103 - تفصيل آخر من سقف القصر .
- 104 - زخارف جصية من قاعة السفراء .
- 105 - نقوش بالوان طبيعية متناغمة تزين اقواس وجدران وسقوف القصر وتتكون الزخارف الجصية من عناصر نباتية .
- 106 - جانب آخر من ممرات القصر . . الزخارف الجصية تعلو قطع الزخرفة الخزفية .
- 107 - تناسق لوني اساسه : الازرق والذهبي والاحمر وقطع الخزف تتكون من الابيض والاخضر والازرق والاسود .

- 108 - زخارف جصية تعلو المدخل وقطع خزفية تزين الجدار وخشب منقوش بألوان متناسقة .
- 109 - الخزف الملون يشكل عنصرا أساسيا في الزخرفة سواء على الجدار او على الارضية .
- 110 - الاضاءة تلعب دورا مهما في ابراز النقوش والزخارف وتوضح التوزيع اللوني الدقيق .
- 111 - زخارف ملونة في قاعة السفراء ، ويلاحظ ان زخارف قصر اشبيلية تتكون في مجملها من زخارف نباتية ولا يلعب فيها الحرف دروا ملموسا .
- 112 - زوايا والوان واضواء وظلال . . داخل قصر اشبيلية ومهما كانت المسافات قصيرة بين الجدران فان الزخرفة تضيف انطبعا بالرحابة والاتساع .
- 113 - جانب آخر من قاعة السفراء .
- 114 - نقوش زخرفية يلعب فيها اللونان الازرق والاحمر دورا أساسيا ، وتلاحظ الكتابة بالخط الكوفي المبسط باللون الابيض وتكرر فيه عبارة « الحمد لله على نعمه » .
- 115 - تفصيل زخرفي قوامه الخط الكوفي المزهر المتشابك وتبدو واضحة جملة « السلطان بدر أيده الله » .
- 116 - تفصيل يعلو اللوحة الاولى وتبدو واضحة عبارة « العظمة لله » .
- 117 - تفصيل زخرفي يلعب فيه الحرف الكوفي دورا أساسيا وبارزا - لاحظ ان الكتابة التي تعلو هذا التفصيل قد وضعت بشكل مقلوب .
- 118 - أحد الجوانب التي توضح عدم تحرى الدقة اثناء عمليات الترميم . . حيث تبدأ الكتابة بالخط الكوفي بكلمة « السلط . . ولعلها كلمة « السلطان » ثم حرف « ص » ثم « بدر أيده الله » كما أن الاطار الذي يحوى كتابة بالخط النسخي غير دقيقة وغير متناسقة فهي تارة مقلوبة وتارة تقرأ من اليسار الى اليمين واخرى من اليمين الى اليسار . . ولا يمكن قراءة اللوحة كاملة .
- 119 - لوحة أخرى توضح الاخطاء التي ارتكبت اثناء الترميم .
- 120 - القصر العربي الى اليمين والجزء المضاف الى اليسار .
- 121 - الجانب الذى لم يلحقه التغيير من قصر اشبيلية .
- 122 - الرواق الموحدى باق كما هو .
- 123 - الفن المدجن أبدعته أيدي مسلمي الثغر الاعلى وبقي ناطقا يتحدى اسباب الفناء وهو البطاقة الاساسية والوحيدة التى تميز مدينة طرويل « تيرويل » في الشمال الشرقى من اسبانيا .
- 124 - المباني الحديثة في طرويل « تيرويل » لم تستطع ان تخفى القيمة الفنية للفن المدجن .

- 125 - في الفن المدجن اختفت الى حد كبير انماط الزخرفة النباتية والزخرفة التي تعتمد على الحرف العربي وأصبحت كما هو واضح تتكون من التفنن في طريقة وضع الاحجار واللون .
- 126 - الحدائث تطل بحياء على الاصاله . . وهو ملمح تحاول طرويل « تيرويل » ان توائم بين عناصره من خلال المحافظة على كل ما أبدعه المدجنون .
- 127 - جسر مدينة طرويل « تيرويل » .
- 128 - الحجر اصبح طيعا لنا في ايدى مبدعى الفن المدجن ومهما كانت البناءات المقامة فانها تتميز رغما عن كل تقليد .
- 129 - احد الابراج التي تنتمى الى الفن المدجن .
- 130 - نمط آخر من ابراج طرويل « تيرويل » اكثر ثراء من الناحية الزخرفية لاحظ الساعة الشمسية يمين الصورة وهي اثر لا يقل قيمة عن الابراج .
- 131 - برج يعلو كاتدرائية طرويل « تيرويل » .
- 132 - الابراج هي النبض الحى في قلب تيرويل . وهذا برج آخر اكثر ثراء زخرفى ويلعب فيه الخزف دوراً أساسياً .
- 133 - زقاق في طرويل « تيرويل » يحرسه في نهايته برج من الفن المدجن .
- 134 - مدخل كاتدرائية طرويل « تيرويل » ينتمى بملاعبه الى الفن المدجن ، لاحظ الساعة الشمسية على يسار الصورة .
- 135 - نقوش تعلو سقف كاتدرائية طرويل « تيرويل » به تأثير بالخط الكوفى لاحظ القنطرة الثانية .
- 136 - القنطرة المذكورة بشكل أوضح لاحظ مدى التأثير بالخط الكوفى .
- 137 - سور سهلة بنى رزين وتحصيناته تحيط بالبراثين او البراسين نسبة الى بنى رزين .
- 138 - سهلة بنى رزين او « البراثين » كما تعرف اليوم كما تبدو حين النظر اليها من جانب اسوارها .
- 139 - جزء من الاسوار يعلو المرتفع الصخرى .
- 140 - الارض والصخور والمبانى والهضبة الصخرية تعلوها أسوار الحراسة وقلاع المراقبة . . انها سهلة بنى رزين .
- 141 - قصبة سهلة بنى رزين وهى أعلى نقطة عندها تنتهى الاسوار ومنها ايضا تبدأ الاسوار .

- 142 - تحصينات سهلة بنى رزين .
- 143 - زقاق داخل سهلة بنى رزين .
- 144 - فتاتان من « البراثين » أو بالاحرى من بنى رزين ترتديان الزى التقليدى فى احدى غرف متحف المدينة وخلفهما خارطة تاريخية لسهلة بنى رزين .
- 145 - جزء من حاضرة « بنى رزين = البراثين » بسهولة ومرتفعاتها .
- 146 - قصر على ربوة من روابى « البراثين » لعله كان من بين قصور « بنى رزين » أو هو قصبة و برج للمراقبة .
- 147 - المساحات المزروعة هى ذاتها التى استصلحها « بنو رزين » منذ القرن العاشر الميلادى .
- 148 - طليطلة يحيط بها نهر تاجه من ثلاث جهات ويبدو القصر العربى أعلى مبانى المدينة « يمين الصورة » ويرتفع فى سماء المدينة ايضا برج الكاتدرائية « بطاقة بريدية » .
- 149 - القنطرة العربية ومبنى القصر العربى فى طليطلة .
- 150 - مسجد طليطلة المعروف باسم « جامع مردوم » . « بطاقة بريدية » .





القسم الخامس

رتاء الاندلس

ابن الأبار

أَدْرَكَ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسًا
وَهَبَ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ
وَحَاشَ مَا تُعَانِيهِ حُشَاشَتِهَا
يَا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامٌ بِائِقَةٍ
وَكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافٌ نَائِبَةٍ
تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مَقَاسِمُهُمْ
وَفِي بِلَنَسِيَّةٍ مِنْهَا وَقُرْطُبَةٍ
مَدَائِنُ حَلَّتْهَا الْأَشْرَافُ مُبْتَسِمًا
وَصَيَّرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَابِثَاتُ بِهَا
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسًا
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعَدَى بَيْعًا
لَهْفِي عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا
وَأَرْبَعًا نَمْنَمْتُ يُعْنَى الرَّبِيعِ لَهَا
كَانَتْ حَدَائِقُ الْأَحْدَاقِ مُؤَنِقَةً
وَحَالَ مَا حَوْلَهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
سُرْعَانَ مَا عَاثَ جَيْشُ الْكُفْرِ وَاحْرَبًا
وَابْتَزَّ بَزَّتِهَا مِمَّا تَحْقِفُهَا
فَأَيْنَ عَيْشُ جَنِينَاهُ بِهَا خَضِرًا
مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغَ أُتَيْحَ لَهَا
وَرَجَّ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا
وَأَكْثَرَ الزَّعْمَ بِالتَّثْلِيثِ مُنْفَرَدًا
صَلَّ حَبْلُهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا

إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مُنْجَاتِهَا دَرَسًا
فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسًا
فَطَلَمَا ذَاقَتْ الْبُلْوَى صَبَاحَ مَسَا
لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا
يَعُودُ مَأْتَمُهَا عِنْدَ الْعِدَى عُرْسًا
تَشْنِي الْأَمَانَ حِذَارًا وَالسَّرُورَ أُسَى
إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةُ الْأُنْسَا
مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا
جَذْلَانِ وَارْتَحَلَ الْإِيَّانُ مُبْتَسِمًا
يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أَنْسَا
وَمِنْ كَنَائِسٍ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسَا
وَلِلْنَدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
مَدَارِسًا لِلْمَثَانِي أَصْبَحَتْ دُرْسَا
مَا شَتَّ مِنْ خِلَعٍ مُوشِيَةٍ وَكُوسَى
فَصَوَّحَ النَّصْرُ مِنْ أَدْوَا حِجَاهَا وَعَسَا
يَسْتَجْلِسُ الرُّكْبُ أَوْ يَسْتَرْكِبُ الْجُلُسَا
عَيْثُ الدَّبْيِ فِي مَغَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
تَحْقِفَ الْأَسَدِ الضَّارِي لَمَّا افْتَرَسَا
وَإَيْنَ غُصْنُ جَنِينَاهُ بِهَا سَلِسَا
مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعَسَا
فَغَادَرَ الشَّمُّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُنْسَا
وَلَوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيدِ مَا نَبَسَا
أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسَا

المقطورة فك رثاء الأنديلس

القرطاجنة

أمامها النصرُ العزيزُ قد قَدَى ؛
تعدُّو إلى غزو الأعادي الجَمْزَى ؛
أَذِيهِ أَذْفُنْشَ لَمَّا أَنْ غَطَا ؛
أَرْهَاجِهِ حَتَّى رَأَوْهُ قَدْ صَغَا ؛
كَيَوْمِ ذِي قَارِ ، وَيَوْمِ الْوَقْبَى ؛
مَا نَصَّ عَنْ غَرِّ الْفَتْوحِ وَجَلَا ؛
مِنْ مَوْعِدِ مَنْصَرٍ حَدِيثًا يُفْتَرَى ؛
دَارِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ مِنْ مُدَرَّى ؛
إِلَى مَحَلِّ الْقُرْبِ مِنْهُ وَالرَّضَا ؛
لَنْ بَغِي ، وَفُرْصَةً لَنْ بَعَا ؛
بَعْدَ الظُّهُورِ ظَاهِرًا بَعْدَ الْخَفَا .
يُرَاحُ لِلْأَنْسِ بِهِ وَيُغْتَدَى ؛
أَقْفَرُ مِنْ أُمِّ الرُّؤِيمِ وَخَلَا ؛
كَانَتْ بِهِ أُمُّ الْحُشَيْفِ تُلْتَقَى .
مِنْ بَعْدِ مَا أُنْمَى بِهَا اللَّهُ الذَّرَا ؛
جَلَوَى ، فَلَبَّتُهُ لِيَجْلُو مَنْ جَلَا .
فَأَيُّ بَسْكَينَ شَبَاهُ مَنْ فَلَأَى ؛
صَاحِبِهِ أَثَبَّتَ بَيْنَا وَوَحَى .
غَيًّا كَثِيفًا غَيْرَ شَفَافِ الْغَمَى ؛
وَدَارَ فِي أَرْجَائِهَا دَوْرَ الرَّحَى ؛
وَمَا أَغْصَّ كُلُّ جَوْ وَمَلَا ؛
وَزُرْقَهَا تَشْكُو الْخَلَاءَ وَالْجَلَا .
وَبَارِقُ مِنْ مَطْلَعِ الْبَغْيِ بَغَى ؛

قَادُوا إِلَى أَنْدَلُسِ كِتَابًا
وَجَلَّلُوا شَطَّ الْمَجَازِ سُبَّةَا
وَصَبَّحُوا الْأَرْكَ بِجَيْشِ غَطِ فَي
وَخَلَفُوا بِالْبَيْضِ قُرْصَ الشَّمْسِ فِي
فَوْقِ الْغَاسِقِ عَنْ يَوْمٍ بِهِ
بَلْ كُلُّ يَوْمٍ دُونَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي
مَا كَانَ مَا قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ لَهُمْ
فَلَمْ يَدْعُ جِهَادَهُمْ لِلشَّرْكِ مِنْ
ثُمَّ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَابْتَدَرُوا
وَأَصْبَحَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَرِيْسَةٌ
وَأَضْرَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا خَافِيَا
لَهْفِي لَذِكْرِي مَعَهْدَ عَهْدَتِهِ
غَصَّ امْتِلَاءُ بِالرُّؤِيمِ عِنْدَمَا
تُلْقَى بِهِ أُمُّ السَّبِيْعِ بَعْدَمَا
أَخْلَى ذَرَاهَا اللَّهُ مِنْ آلَا فِيهِ
دَعَا الْغَرَابُ بَيْنِيهِ وَبَنِي
كَأَنَّمَا لِحْيَاهُ شِقَا قَلَمِ
مَتَى يُبَايِنُ أَحَدُ الشَّقِيْنَ مِنْ
فَأَنْشَأَتْ أَيْدِي الْجِيَادِ فَوْقَهَا
قَدْ طَبَّقَ الْآفَاقُ مِنْ أَنْدَلُسِ
فَأَشْرَقَ الشَّرْقُ بِهَا أَشْجَى الْمَلَا
فَصِيرَ الْبَيْضَاءُ بَرْقَ بَيْضِهَا
وَدَمَّرَتْ تَدْمِيرَ سَحْبِ فِتْنَةٍ

ومَحَقَّتْ قُرْطَبَةً كَمِثْلِ مَا
 وَصَارَ لِلْوَحْشَةِ كُلِّ مَنْزِلِ
 واختَرمت وَسْطَى الثُّغُورِ وَثْبَةً
 طُوفَانِ هَيْجَاءِ أَطَافِ هَيْجُهُ
 وَفَتْنَةِ عَمِيَاءِ سَالِ سَيْلُهَا
 فَمِنْ رَدِّ طَاحٍ جُفَاءً فَوْقَهُ ،
 فَكَمْ صَدَى فِيهَا وَهَامٍ مُجْتَلَى
 وَتَسْأَلُ الْأَسْيَافُ فِيهَا رِيَّهَا
 أَضَحَّتْ لِسَانُ الْحَالِ تُمَلِّ شَجْوَهَا
 فَقَدْ بَكَتْ أَنْهَارُهَا بِمَدْمَعِ
 فَالنَّهْرُ الْأَبْيَضُ يَبْكِي شَجْوَهُ
 وَقَدْ بَكَى النَّهْرُ الْكَبِيرُ صَنْوَهُ ،
 وَكَادَ شَقَرُ أَنْ يَغِيضَ عِنْدَمَا
 وَأَنَّ وَادِي أُنَّةٍ فِي غَرْبِهِ
 وَوَادِيَا الثُّغْرِ الْمُنِيفِ تَاجُهُ
 وَقَدْ شَكَى الثُّغْرُ صَدَاهُ وَلَهَا
 وَكَمْ بِهَا مِنْ سِلْكِ نَهْرٍ قَدْ حَوَى
 قَدْ نَدَبَتْ أَمْصَارُهُ أَنْصَارُهُ
 فَيَا لَهَا مِنْ دُرَرٍ تُخْرَمَتْ
 أَضَحَّتْ عَلَى أَيْدِي الْعِدَى مَنُورَةً
 وَاخْتَوَيْتْ ذَخَائِرُ الدِّينِ الَّتِي
 وَلَوْ سِوَا خَلِيفَةِ اللَّهِ لَهَا
 فَفِي ضَمَانِ سَعْدِهِ مِنْ فَتْحِهَا
 فَقَدْ أَشَادَتْ أَلْسُنُ الْحَالِ بِهِ :
 أَثْنَى الْعِدَى مَا كَانَ مَرُؤُوبًا بِهَا
 يُزَجِي إِلَيْهَا كُلَّ رِيحٍ زَعَزَعِ ،

قَدْ مَحَقَّ الْبَدْرَ السَّرَّارُ وَمَحَا ؛
 قَدْ كَانَ لِلْأَنْسِ بِحَمَصٍ يَعْثُرِي :
 مِنْ كُلِّ ضَارٍ طَالَمَا دَبَّ الضُّرَا :
 بِهَا فَلَمْ يَدْعُ عَرَى إِلَّا عَرَا .
 فَفَضُّ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ وَعَمَى :
 وَمُلَفَّتْ بِهِ الْمِهَادُ قَدْ جَفَا ؛
 يَشْكُو الصَّدَى مَا بَيْنَ هَامٍ مُجْتَلَى !
 هَامٌ جَوَاثِ فَوْقَ هَامٍ فِي جُثَى .
 فِي كُلِّ حَفْلٍ ، وَعَلَى كُلِّ مَلَا :
 هَامٍ مِنَ الْوَجْدِ لِهَامٍ مَا ارْتَوَى ؛
 بِكُلِّ دَمْعٍ مُسْتَفِيزٍ مَا زَقَا ،
 إِذْ لَمْ يُطَقِّ يُرْوِي صَدَى هَامٍ زَقَا ،
 غِيظَ بَعِثَ الشَّقَرُ فِي كُلِّ عَرَى ،
 وَغَرْبُهُ مَلَأَ مِنْ دَمْعٍ جَرَى ؛
 وَإِبْرُهُ كَلَاهَا قَدْ اشْتَكَى ؛
 وَالْمَاءُ مِنْهُ بَيْنَ ثَغْرِ وَلَهَا .
 كَرَسِيٍّ مُلْكٍ سَمَطُهُ فِيمَا حَوَى !
 إِذْ لَا أَذَاةَ مِنْ عَدُوٍّ تُشْتَكَى .
 بِالْغُرِّ مِنْ دُرِّ السَّلُوكِ تَفْتَدَى ،
 وَأَرْخَصَ الْأَشْرَاكَ مِنْهَا مَا غَلَا ؛
 قَدْ طَالَمَا أَعْيَا الْعِدَى أَنْ تُحْتَوَى .
 لَا فَتْكُهَا بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ وَافْتَدَى ؛
 دَيْنٌ عَلَى طَرْفِ الْعَوَالِي يُقْتَضَى ؛
 حَيٌّ عَلَى اسْتِفْتَا حَيَّا ! حَيٌّ عَلَى !
 وَهُوَ الَّذِي يُرْجَى بِهِ رَأْبُ الثَّأَى .
 عَاتِيَةٌ ، عَاصِفَةٌ بِمَنْ عَتَا ؛

تَجْلُو طَخَارِيرَ الْعِدَى عَنْ أَفْقِهَا
تُبْكِي الْأَعَادَى بَعْدَ طَوْلِ ضِحْكِهَا

وَتَطْحَرُ الْأَقْدَاءُ عَنْهَا وَالطُّخَا ؛
وَتَضْحَكُ الْأَضْبَعُ مِنْ بَعْدِ الضَّهَى .

كَتَائِبٌ قَدْ ظَلَلَتْ رَايَاتُهَا —
كَمْ لَيْثٌ بَأْسٍ فَوْقَ طَرْفٍ قَدْ سَطَا
لَوْ شَامَتِ الْأَذْوَاءُ مِنْهَا بَرْقَةً
وَطَاطَأَ الرَّأْسَ الْمَنَارُ الْمُعْتَلَى
وَأَصْبَحَ الرَّائِشُ غَيْرَ رَائِشٍ
وَذَلَّلَتْ ذَا يَزْنٍ بِمَا انْتَمَى
وَأَبْدَلَتْ ذَا جَدْنٍ مِنْ نُونِهِ
قَدْ أَصْبَحَتْ دَوْلَتُهُ تَخْتَالُ مِنْ
مَا زَالَ يُمَلَى الْمَلَوَانِ نَصْرَهُ ،
خَطَّ النَّدَى فِي كَفِّهِ خَطًّا بِهِ
كَمْ آصَتْ الْأَنْضَاءُ فِي مَسْرَحِهِ
وَلَوْ عَدَّتْهُ كَانَ يَشْكُو ظَاهِرُ
فَكَمْ سَرَى رَكْبٌ يُخَفُّ نَحْوَهُ ،
وَكَمْ حَبَا النَّاسَ ، وَكَمْ أَسَدَى لَهُمْ
رَخَا بِهِ مَا اشْتَدَّ مِنْ عَيْشِهِمْ
إِذَا بَغَى الدَّهْرُ فَاْمَسَى جَارِحًا
فَكَمْ شَفَى مِنْ أَنْفُسٍ مَكْلُومَةٍ
يَأْسُو بِآلَافِ النُّضَارِ كَلَمْنَا
طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَمَنْ
وَطَاعَةُ اللَّهِ أَجْلٌ نِعْمَةٌ
لَيْسَ السَّعِيدُ غَيْرَ مَنْ أَسْعَدَهُ
وَلَا السَّخِيُّ غَيْرَ مَنْ بَذَاتِهِ
مَنْ اشْتَرَى الْبَاقِيَ بِالْفَانِي يُفْزُ

عَرَاغَرَ الْقَوْمَ وَأَشْجَارَ الْعُرَى :
فِيهَا ، وَطَرْفٍ تَحْتَ لَيْثٍ قَدْ سَطَا !
لَا بَ ذُو الْأَذْعَارِ مَذْعُورِ الْحَشَى ؛
لَعَزَّ مُلْكٌ قَدْ تَسَامَى وَاعْتَلَى ؛
سَهْمًا ، وَلَا مُفَوِّقٍ لِمَا بَرَى ؛
إِلَيْهِ مِنْ سُمْرِ الرِّمَاحِ وَاعْتَزَى ،
ثَاءً ، وَأَدَّتْهُ إِلَى وَشَكِّ السَّرْدَى .
إِقْبَالَهُ فِي جِدَّةٍ لَا تُتَضَّى :
وَسَيْفُهُ يَحْتَضُّ مَا يُمَلَى الْمَلَا .
ذَكَرُ سَمَاحٍ حَاتِمٍ قَدْ امْتَحَى .
بُذْنًا ، وَكَمْ آلَتْ بِهِ إِلَى أَلَى !
مِنْهَا الضُّوَى وَبَاطِنُ يَشْكُو الضُّوَى ؛
وَأَبَ عَنْهُ مُثْقَلًا بِمَا سَرَى !
مَنْ نَائِلٍ ، وَكَمْ أَنَالَ مِنْ سَدَى !
وَاشْتَدَّ مِنْ عَيْشِ الْعُدَاةِ مَا رَخَا .
أَسَا نَدَاهُ كُلُّ جُرْحٍ قَدْ بَغَى :
بِالدَّهْرِ قَدْ أَعْيَا الْأَسَى فِيهَا الْأَسَى !
مَنْ يَحْسِبُ الْقِنْطَارَ مِنْهُ كَالْمَنَا .
دَعَا إِلَى هَذَى إِلَى تِلْكَ دَعَا ؛
حَقِيقَةُ لِدَاتِهَا أَنْ تُبْتَغَى .
إِلَهُهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَالرِّضَا ؛
قَدْ جَادَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَسَخَا ؛
بِهِ ، وَيُحْمَدُ رَأْيُهُ فِي مَا اشْتَرَى .

يا أيها الانسانُ إِنِّي ناصِحٌ ، فاستمع النُّصح وكن مُنَّ وعسى :
لا تغترَّرَ بالعُمُرِ ، واعلم أنَّ ما لم يَمُضِ من أَيَّامِهِ كَمَا مَضَى ؛

ابو الحسن : ت 684 هـ / 1285 حازم القرطاجنى : المقصورة فى كتاب « قصائد ومقطعات صنعة ابى الحسن حازم القرطاجنى » تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجه ، الدار العربية للنشر 1972 .
و « المقصورة » هذه تقع فى ألف بيت واخترت بعضا من ابياتها لأنها - اضافة الى خصائص عدة - تحوى ذكرا لمعظم المناطق الاندلسية .

نكبة الإنديلس

أبو البقاء الرندي

لكل شيء إذا ما تم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دول
وهذه الدار لا تبقي على أحد
يمزق الدهر حتما كل سائغة
وينتضي كل سيف للفناء ولو
أين الملوك ذوو التيجان من يمن
وأين ما شاده شداد في إرم
وأين ما حازه قارون من ذهب
أتى على الكل أمر لا مرد له
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كانها الصعب لم سهل له سبب
فجائع الدهر أنواع متنوعة
وللحوادث سلوان يسهلها
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
أصابها العين في الاسلام فارتزأت
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فكم
وأين حمص وما تحويه من نزه
قواعد كن أركان البلاد فما
تبكي الحنيفة البيضاء من أسف
على ديار من الاسلام خالية

فلا يُغر بطيب العيش إنسان
من سره زمن ساءته أزمان
ولا يدوم على حال لها شأن
إذا نبت مشرفيات وخرصان
كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين عاد وشداد وقحطان
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
كما حكى عن خيال الطيف وشنان
يوما ولا ملك الدنيا سليمان
وللزمان مسرات وأحزان
وما لما حل بالاسلام سلوان
هوى له أحد وانهد نهلان
حتى خلت منه أقطار وبلدان
وأين شاطبة أم أين جيان
من عالم قد سما فيها له شان
ونهرها العذب فياض وملان
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
كما بكى لفراق الالف هيمان
قد أفقرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد اضحت كنائس ما فيهنّ إلا نواقيس وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكى وهي جامدة حتى المنابرُ ترى وهي عيدانُ

* * *

يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سنة فالدهر يقظانُ
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه أبعد حصص تغرّ المرء أوطانُ
تلك المصيبة أنست ما تقدّمها وما لها مع طول الدهر نسيانُ

* * *

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبانُ
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عزّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتزّ إنسانُ
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوانُ
ألا نفوس أبيات لها نعم أما على الخير أنصار وأعوانُ

* * *

يا من لذة قوم بعد عزهم أحال حالهم جور وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الضدّ عبданُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الدلّ ألوانُ
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر واستهوتك أحزانُ
يا ربّ أمّ وطفلٍ حيل بينهما كما تفرّق أرواح وأبدانُ
وظفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنها هي ياقوت ومرجانُ
يقودها العليج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيرانُ
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمانُ

حاضرة على الاندلس

شاعر مجهول

وقد كُسِفَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ بُدُورُهَا
مَنَازِلُهَا ذَاتُ الْعَلَا وَقُصُورُهَا
سَقَى عَهْدَكُمْ مُزْنٌ يَصُوبُ نَمِيرُهَا
وَدَارَتْ عَلَيْكُمْ بِالصُّرُوفِ دُحُورُهَا
لَدَى عَرَصَاتِ الْحَشْرِ يَأْتِي سَفِيرُهَا
وَكَانَتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ شُطُورُهَا
وَقَدْ كَانَ مُعْتَادُ الْأَذَانِ يَزُورُهَا
وَأَيَاتُهَا تَشْكُو الْفِرَاقَ وَسُورُهَا
إِذَا اسْتَفْرَتِ يَسْبِي الْعُقُولَ سُفُورُهَا
وَقَدْ هَتَكَتْ بِالرَّغْمِ مِنْهَا سُتُورُهَا
تَوَدُّ لَوْ انْضَمَّتْ عَلَيْهَا قُبُورُهَا
أَسَاها ، وَعَيْنُ لَا يَكْفُ هَدِيرُهَا
وَهَلْ يَتَّبِعُ الشَّيْطَانُ إِلَّا صَغِيرُهَا
وَحَقٌّ لَدَيْهَا نَحْوُهَا وَدُثُورُهَا
مَدَائِنُهَا مَوْتُورَةٌ وَثُغُورُهَا
وَأَحْجَارُهَا مَصْدُوعَةٌ وَصُخُورُهَا
مَلَابِسُ حُسْنٍ كَانَ يَزْهَوُ حُبُورُهَا
يَكَادُ لَقَرَطُ الْحُزْنِ يَبْدُو ضَمِيرُهَا
قَدْ اسْتَفْرَغَتْ ذَبْحًا وَقَتْلًا حُجُورُهَا
وَبُدِّلَ بِالْوَيْلِ الْمَبِينِ سُرُورُهَا
تَقِيهَا فَأُضْحَى جَنَّةُ الْحَرْبِ سُورُهَا

أَحَقًّا خَبَا مِنْ جَوْ رُنْدَةٍ نُورُهَا
وَقَدْ أَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا وَتَزَلْزَلَتْ
فِيَا سَاكِنِي تِلْكَ الدِّيَارِ كَرِيمَةٍ
أَحَقًّا أَخْلَائِي الْقَضَاءُ أَبَادَكُمْ؟
فَقَتْلٌ وَأَسْرٌ لَا يُفَادَى وَفُرْقَةٌ
فَوًّا حَسْرَتًا كَمْ مِنْ مَسَاجِدَ حُولَتْ
وَوَا أَسْفَا كَمْ مِنْ صَوَامِعَ أَوْحَشَتْ
فَمِحْرَابُهَا يَشْكُو لِمَنْبَرِهَا الْجَوَى
وَكَمْ طِفْلَةٍ حَسَنَاءَ فِيهَا مَصُونَةٍ
فَأُضْحَتْ بِأَيْدِي الْكَافِرِينَ رَهِينَةٍ
وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ مُهْجَةٍ ذَاتِ عِفَّةٍ
لَهَا رَوْعَةٌ مِنْ وَقْعَةِ الْبَيْنِ ، دَائِمٌ
وَكَمْ مِنْ صَغِيرٍ بَدَّلَ الدَّهْرُ دِينَهُ
لَأَنْدَلُسَ ارْتَجَّتْ لَهَا وَتَضَعُضَتْ
مَنَازِلُهَا مَصْدُوعَةٌ وَبَطَاحُهَا
تَهَائِمُهَا مَفْجُوعَةٌ وَنُجُودُهَا
وَقَدْ لَبَسَتْ ثَوْبَ الْحِدَادِ وَمُرَّتْ
فَأَحْيَاؤُهَا تَبْدَى الْأَسَى وَجَمَادُهَا
فَمَالِقَةُ الْحَسَنَاءِ ثَكْلِي أُسَيْفَةٌ
وَجُرَّتْ نَوَاصِيهَا وَشَلَّتْ يَمِينُهَا
وَقَدْ كَانَتْ الْغَرْبِيَّةُ الْجَنَنَ الَّتِي

و«بَلِّش» قَطَّتْ رَجْلَهَا بِيَمِينِهَا
 وبالله إنْ جِئْتَ الْمُنْكَبَ فَأَعْتَبْ
 أَلَا وَلَتَقْفُ رَكَبَ الْأَسَى بِمَعَالِمِ
 بَذَارِ الْعُلَا حَيْثُ الصِّفَاتُ كَأَنَّهَا
 مَحَلٌّ قَرَارِ الْمُلْكِ غِرْنَاظَةِ الَّتِي
 تَرَى بِالْأَسَى أَعْلَامَهَا وَهِيَ خُشْعٌ
 وَمَأْمُومُهَا سَاهِي الْحِجَى وَإِمَامُهَا
 وَمِنْ سَرِيَانِ الدَّاءِ بَانَ قَطُورُهَا
 فَقَدْ خَفَّ نَادِيهَا وَجَفَّ نَضِيرُهَا
 قَدْ ارْتَجَّ بَادِيهَا وَضَجَّ حُضُورُهَا
 مِنَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى غَدَتِ تَسْطِيرُهَا
 هِيَ الْحَضْرَةُ الْعُلْيَا زَهَتْهَا زُهُورُهَا
 وَمِنْبَرُهَا مُسْتَعْبِرٌ وَسَرِيرُهَا
 وَزَائِرُهَا فِي مَاتَمٍ وَمَزُورُهَا



الرحلة إلى الإنديس

أحمد شوقي

ب ، وأطوى البلاد حزناً لدهس
ومنا من الطوائف طمس
ن خضر، وفي ذرا الكرم طلس
لمست فيه عبرة الدهر خمسى
وسقى صفوة الحيا ما أمسى
تمسك الأرض أن تميد وترسى
لجة الروم من شراع وقلس
فأتى ذلك الحمى بعد خدس
ها من العز في منازل قفس
ل العالى ، ولا تردت بنجس
فيه ما للعقول من كل درس
حجته القوم من فقيه وقس
صر نور الخميس تحت الدرفس
ويحلى به جبين (البرنس)
وصحا القلب من ضلال وهجس
واذا القوم ما لهم من محس
جاور الألف غير مذموم حرس
صار (للروح) ذى الولاء الأمس
بين (نهلان) فى الأساس و(قدس)
ويطول المدى عليها فترسى

أنظم الشرق فى (الجزيرة) بالغر
فى ديار من الخلائف درس
وربى كالجنان ، فى كنف الزيتو
لم يرعنى سوى ثرى قرطبى
ياوقى الله ما أصبح منه
قرية لا تعد فى الأرض ، كانت
غشيت ساحل المحيط ، وغطت
ركب الدهر خاطرى فى ثراها
تجلت لى القصور ومن فى
وضفت قط فى الملوك على نذ
وكانى بلغت للعلم بيتا
تبنا فى البلاد شرقا وغربا
وعلى الجمعة الجلالة ، و(النا)
ينزل التاج عن مفارق (دون)
سنة من كرى ، وطيف أمان
وإذا الدار ما بها من أنيس
ورقيق من البيوت عتيق
أثر من (محمد) ، وتراث
بلغ النجم ذروة ، وتناهى
مرمر تسبح النواظر فيه

وسوارٍ كأنها ففى استواء
فترّة الدهر قد كست سطرّيتها
ويجها! كم تزينت لعليم
وكان الرفيف فى مسرح العي
وكان الآيات فى جانيبه
منبرٌ تحت (مُنذرٍ) من جلال
ومكان الكتاب يُغريك رِيّا
صنعة (الداخل) المبارك فى الغر

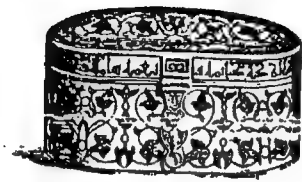
ألفات الوزير فى عرض طرس
ما اكتسى الهدب من فتور ونعس
واحد الدهر، واستعدت لخمس
من ملاء مدثرات الدّمّقس
يتنزلن فى معارج قدس
لم يزل يكتسيه، أو تحت (قُس)
ورده غائبًا، فتدنو للّمس
ب، وآل له ميامين شمس

* * *

من (لحمراء) جُلّلت بغبار ال
كسنا البرق، لو محا الضوء لحظًا
حصن (غرناطة)، ودار بنى (الأح
جلّ الثلج دونها رأس (شبرى)
سرمّد شبيهه، ولم أر شيبًا
مشت الحادثات فى غرف (الحم
هتكت عزّة الحجاب، وفضت
عرصات تخلّت الخيل عنها
ومغان على الليالى وضاء
لا ترى غير وافدين على التا
نقلوا الطرف فى نضارة آس
وقباب من لا زورد وتبر
وخطوط تكفلت للمعانى
وترى مجلس السباع خلاء
لا (الثريا)، ولا جوارى الثريا

دهر، كالجرّح بين برء ونكس
لمحتها العيون من طول قبس
مر: من غافل، ويقظان ندس
فبدا منه فى عصائب برس
قبله يُرجى البقاء ويُنسى
راء) مشى النعى فى دار عرس
سدة الباب من سمير وأنس
واستراحت من احتراس وعس
لم تجد للعشى تكرار مَس
ريخ، ساعين فى خشوع ونكس
من نقوش، وفى عصارة ورّس
كالرّبى الشم بين ظل وشمس
ولألفاظها بأزين لبس
مقفّر القاع من ظباء وخنس
يتنزلن فيه أقمار إنس

مَرْمَرٌ قَامَتْ الْأَسْوَدُ عَلَيْهِ كَلَّةُ الظُّفْرِ، لَيِّنَاتِ الْمَجَسِّ
 تَنْشُرُ الْمَاءَ فِي الْحِيَاضِ جُحَانًا يَتَنَزَّى عَلَى تَرَائِبِ مُلَسِّ
 آخَرَ الْعَهْدِ بِالْجَزِيرَةِ كَانَتْ بَعْدَ عَرَكٍ مِنَ الزَّمَانِ وَضَرَسَ
 فَتَرَاهَا، تَقُولُ: رَايَةُ جِيَشٍ بَادَ بِالْأَمْسِ بَيْنَ أُسْرِ وَحَسِّ
 وَمِفَاتِيحُهَا مَقَالِيدُ مُلْكٍ بَاعَهَا الْوَارِثُ الْمُضِيعُ بِيَخْسِ
 خَرَجَ الْقَوْمُ فِي كَتَائِبِ صُومٍ عَنْ حِفَازٍ، كَمُوكَبِ الدَّفْنِ خَرَسَ
 رَكِبُوا بِالْبَحَارِ نَعَشًا، وَكَانَتْ تَحْتَ آبَائِهِمْ هِيَ الْعَرْشُ أَمَسَ



أحزان في الاندلس

نزار قباني

كُتِبَ لي يا غالية ..
كُتِبَ تسألين عن إسبانية
عن طارق ، يفتحُ باسم الله دنيا ثانية ..
عن عُقبة بن نافع
يزرعُ شتْلَ نخلة ..
في قلب كل رابية ..
سألت عن أمية ..
سألت عن أميرها معاوية ..
عن السرايا الزاهية
تحملُ من دمشق .. في ركابها
حضارة .. وعافية ..
لم يبقَ في إسبانية
مننا ، ومن عصورنا الثانية
غيرُ الذي يبقى من الخمر ،
بجوف الآنية ..
وأعين كبيرة .. كبيرة
ما زال في سوادها ينأى ليلُ البادية ..
لم يبقَ من قرطبة
سوى دموع المثلثات الباكية
سوى عبير الورد ، وال نارنج والاضالية ..
لم يبقَ من ولادة ومن حكايا حبها ..
قافية .. ولا بقايا قافية ..

* * *

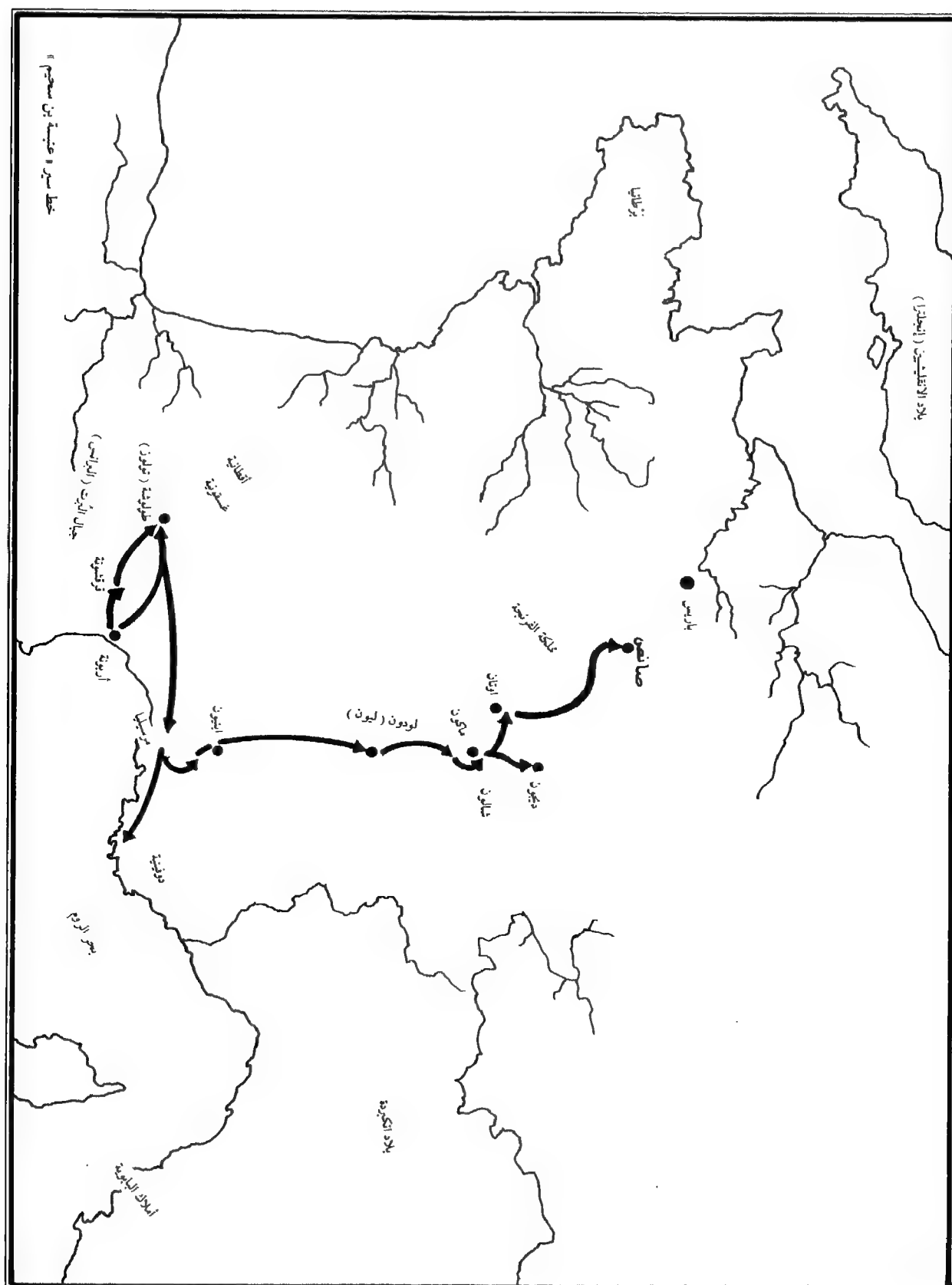
لم يبقَ من غرناطةٍ
ومن بني الأحمر .. إلا ما يقول الراوية
وغيرُ (لا غالب إلا الله)
تلقاك بكلِّ زاوية ..
لم يبقَ إلا قصرُهم
كامرأةٍ من الرخام عارية ..
تعيش - لا زالت - على
قصة حبٍّ ماضية ..

* * *

مضت قرونٌ خمسة
مذ رحل (الخليفة الصغير) عن إسبانية
ولم تزل أحقادنا الصغيرة ..
كما هي ..
ولم تزل عقلية العشرة
في دمننا كما هي
حوارنا اليومي بالخناجر ..
أفكارنا أشبه بالأظافر
مضت قرونٌ خمسة
ولا تزال لفظة العروبة
كزهرة حزينه في آنية ..
كطفلة ، جائعة .. وعارية
نصلبها .. على جدار الحقد والكراهية ..

* * *

مضت قرونٌ خمسة .. يا غالية
كأننا .. نخرج هذا اليوم من إسبانية ..



أسقف « سانس »

يطلب رأس « عنبسة بن سحيم »

(عنبسة بن سحيم) الذي اجتاز بخيله ورجله جبال البرانس متجها نحو الشمال الاوربي ، وبشكل أدق مخترقا عمق بلاد الفرنجة حتى وصل مدينة (سانس SANS) على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبي باريس ، بين (عنبسة) هذا وفرسان القديس يوحنا - الذين دخلوا بخيلهم ورجلهم مدينة طرابلس في الشمال الافريقي - فترة زمنية تقدر بنحو ألف عام ، الا ان الفرق بين الحداثين أو الامرين أو الجيشين ان شئت ليس زمنيا فحسب ، انه فارق حضاري بعمق اكثر من ألف عام .

أحفاد (عنبسة) بنوا هناك ما جعل : طليطلة وسرقسطة ومالقة واشبيلية وقرطبة وبلنسية ومرسية والمرية وغرناطة ترتقى في سلم الحضارة ، وتنتقل من مجرد قرى نائية الى مدن لا يملك التاريخ الا ان يمنحها اهتمامه ويعتز بالتفرد الذي تبديه .

أحفاد (ابن سحيم) ابدعوا الحداثات الغناء ونوافير المياه .

غرسوا النخيل والزيتون .

عطروا الاندلس بالطيب .

وجعلوا لكل فصل زياً .

بل لكل وقت من اوقات اليوم زياً .

رصدوا النجوم .

وعلموا القوم ركوب البحر .

أحفاد (عنبسة) ألفوا الكتب .

واتقنوا الموسيقى .

وانتشلوا القوم هناك من مجاهل النسيان .

وألبسوهم بردة الخلود .

أحفاد (ابن سحيم) هم الذين (ماتوا ليعيشوا) بعلمهم وفنهم وشعرهم ، وفوق كل ذلك عمق ايمان تحولت به تلك البلاد من عصور مظلمة حالكة الظلام الى عهود غمر فيها الدنيا نور العلم والخلود .

وفي المقابل :

ما الذي احضره فرسان ذلك القديس ؟

هل أحضروا نتائج التحاليل التي قام بها (الزهراوي) ؟

أم أحضروا باقات ورد من الحدائق الغناء في بلنسية ؟

أم احضروا (اسطراب القادر بن ذى النون) من طليطلة ؟

هل احضروا سنابل القمح من (سهلة بني رزين) ليزرعوها في بلادنا ؟

أم احضروا مجلدات العلم من ساحات قرطبة ؟ أم احضروا (ريشة) من كساء (عباس بن

فرناس) الذي به حلق كالصقر في سماء الاندلس ؟

كل ذلك وغيره لم يحضره فرسان القديس يوحنا .

بل :

عاثوا في ديارنا فسادا .

لم يتركوا جدارا واحدا يثبتنا عن غاية نبيلة ، لم ينشئوا في كل البلاد التي غزوها دارا للصناعة

أو مدرسة للعلم .

كانوا فقط يبحثون عن (عنبة بن سحيم) في طرابلس أو في القيروان أو في سواحل الجزائر

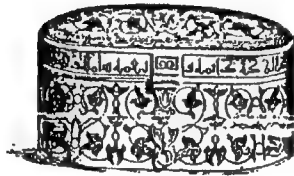
أو في زقاق خلف جامعة القرويين في فاس ، يبحثون عنه رغم علمهم بأنه قد مات منذ ألف عام .

ولأن (عنبة) كان يقود حملة ناجحة بقصد تأسيس حضارة على مشارف باريس فقد أوصى

(ايون) أسقف (سانس) بأن يظل (عنبة بن سحيم) مطلوباً حتى تندثر تلك الحضارة .

ولأنها حضارة العروبة والاسلام لم ولن تندثر سيظل رأس (عنبة) مطلوباً الى ان يرث الله

الارض ومن عليها .



الاندلس والخطأ الكبير



ذات امسية من أمسيات شهر النوار (فبراير) 1988 م ، وبينما كنت اغادر شارع (غويا) في مدينة مدريد باسبانيا ارتسمت في مخيلتي هذه العبارة : « اوراق اندلسية في نهايات القرن العشرين » ، واذكر أنني رددتها بصوت مسموع ، لاقت الجملة استحسانا . وبدأت كلمات وجمل وأسطر هذه الاوراق تتجمع ، بدأت بالفعل تحتل الذاكرة وغدت هاجسا يوميا بعد ان كان (الاندلس) ذاته مجرد حلم .

ولم اكن اتوقع حينذاك ان تتوالى هذه الاوراق الواحدة تلو الاخرى وتظل هماً يومياً طيلة عام بأكمله .

كانت البداية من (مجريط : القرية العاصمة) والتي تعرف اليوم بمدريد ، ثم طليطلة ، ثم غرناطة ، ثم قرطبة ثم مالقة .

وما ان انتهى الجزء الاول من هذه الاوراق في شهر الفاتح (سبتمبر) 1988 م حتى وجدت

نفسى في ربوع الاندلس للمرة الثانية ، وكان الاستمرار بدءاً من (طرويل أو تيرويل) كما تعرف اليوم ، ثم زرنا (البراثين أو بني رزين) كما عرفت في تاريخنا ، ثم غرناطة ، ثم اشبيلية ، ثم بعض نواحي (وادى الحجارة) ثم الأوسكريال .

الابحار في ذاكرة الاندلس أمر مؤلم ، والتجول في ربوعه اشد ايلاماً !

والاهتمام به والكتابة عنه هو الالم ذاته !

وفي (الاندلس) ادركت مامعنى ان يهب الله بعض عباده نعمة (الشعر) الذي عن طريقه يستطيع الانسان ترجمة احساسه ومشاعره ، لكن الذين لم يتمتعوا بنعمة (الشعر) وأنا احدهم سيضطروا الى الجنوح للصمت رغم مافيه من حزن وألم .

تساءلت : هل اخطأت حينما احببت الاندلس ؟

وهل اخطأت حين زرت الاندلس ؟

وهل اخطأت حين كتبت عن الاندلس ؟

اما التعلق بالاندلس ومحاولة محاكاة كل ما ابدعه العرب المسلمون في تلك الربوع فأمر لا يعاب

لكن الكتابة عن (الاندلس) كانت خطأ . . خطأ كبيراً وفادحاً !

لم اكن وأنا اكتب عن (الاندلس) مؤرخاً حتى ازعم أنني قدمت جديداً ، أو اكتشفت مجهولاً ، أو اوضحت غامضاً ، أو رتبت متفرقاً ، أو صححت خطأ .

ولست ممن يمتنون صناعة الادب أو حتى يجيدون أحد فنونه حتى ازعم أنني - حين كتبت ما كتبت - قد دخلت ربوع الاندلس من باب الشعر أو النثر أو من نافذة احد اعلام هذه الصناعة من ابناء تلك البلاد .

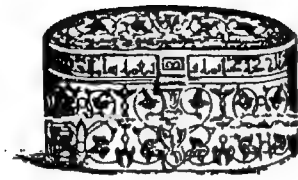
من هنا ادركت ان الكتابة عن الاندلس كانت خطأ .

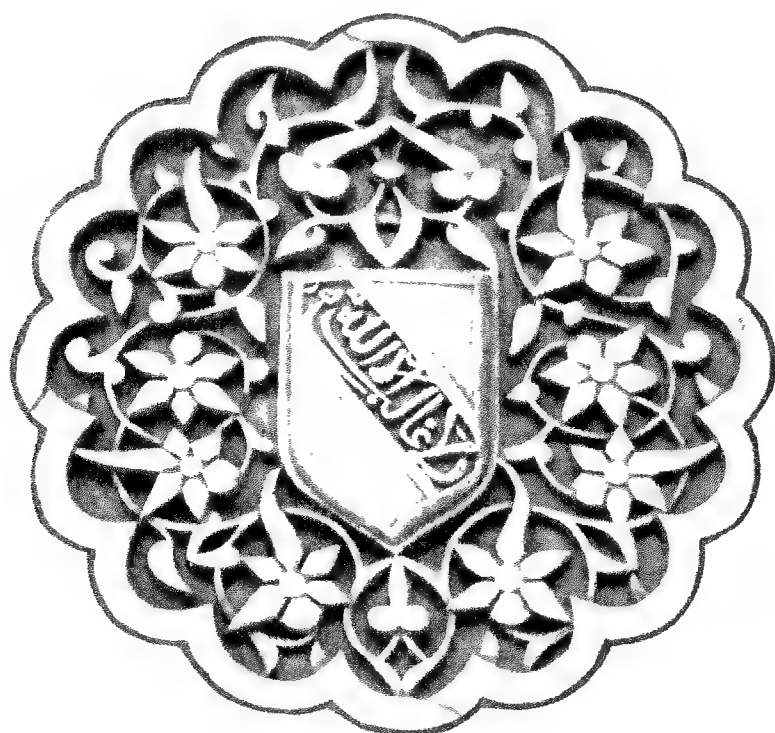
كما انني لم اكن باحثاً متخصصاً انكب على قضية بهدف التوصل الى نتائج ذات بال متبعا منهجاً من شأنه اعطاء القارئ الكريم معلومات هي نتيجة ذلك البحث .

ومن هنا ايضا ادركت ان الكتابة عن الاندلس كانت خطأ كبيراً .

ولم اكن رحالة يجوب البلاد شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً يدون ويوثق بالصورة والكلمة كل شاردة وواردة بهدف تقديم وصف دقيق لبلاد كانت بحضارة - ولا تزال بآثار تلك الحضارة - مهوى الافئدة والمبدعين .

ولم اكن وانا اكتب عن (الاندلس) صحفياً تفتح له الابواب وتتدفق من حوله المعلومات ،
فيقابل من يشاء أو ينتقى أدق وأحدث المعلومات .
ولم اكن أمضيت أكثر من اسبوع في الرحلة الاولى واسبوعين في الرحلة الثانية الى الاندلس
تضمنت كلتا الرحلتين تنقلاً بمختلف الوسائل : الطائرة والحافلة والقطار وعربات تجرها الخيول .
لكل ذلك ادركت أن الكتابة عن (الاندلس) كانت خطأ كبيراً . . . وفادحاً !





الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	ج
بطاقة	هـ
تقديم : بقلم الدكتور أمين توفيق الطيبي	ز
القسم الأول	3 - 82
لمحات من ذاكرة الزمن	5
غرناطة : آخر حبات المسبحة	13
الحمراء : حقيقة لا تدرك !!	23
قرطبة : تاريخ يتواصل	29
مئذنة جامع اشبيلية	37
ساعات في قصر اشبيلية	43
طليطلة : خصوصيات متعددة	49
مجريط : القرية العاصمة	57
تيرويل : نافذة على الفن المدجن	65
يوم في ضيافة « بنى رزين »	69
ملاحظات من وحي الاوسكريال	77
القسم الثاني	83 - 134
الاندلس 1992 م : محاولة أولى للاقترب	85
الاندلس 1992 م : . . . ومحاولة أولى للفهم	91
الاندلس 1992 م : . . . ومحاولة اخيرة للايضاح	97
الاندلس : الشاهد الحي	103
الاندلس : حضارة بلا جذور	111
انقذوا تاريخكم قبل فوات الاوان	119
الاندلس : بيان الادانة	127

194 - 135	القسم الثالث :
137	ابحار عبر تاريخ الاندلس . د محمود على مكى - مصر
145	الانسياح الحضارى . الاستاذ : عبد الكريم غلاب - المغرب
155	ملامح حضارية متميزة . د . ماريا خيسوس بيغرا - اسبانيا
163	المدجنون والخيار الصعب . د . باتريك هارفى - بريطانيا
169	فقدنا العادات العربية . د . مارجريتا سرانو - اسبانيا
175	اندلسيون : نعم . عميد بلدية تيرويل « طرويل » اسبانيا
179	عودة الاسلام الى الاندلس . شعيب محمد عبد الرحمن - اسبانيا
	النظرة الايجابية نحو العرب . د . ماريانو الونسو بورون - رئيس لجنة
183	« الاندلس 92 م » اسبانيا
	الثقافة العربية جزء من ثقافتنا
187	مديرة ادارة العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة - اسبانيا
	الحضارة العربية جزء من الحضارة الاسبانية . د . عبد الهادى ابو طالب مدير عام
191	المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم « الاليسكو » - المغرب
	مثال حى للتسامح . د . فيديركو مايور - مدير عام المنظمة العالمية للتربية والثقافة
193	والعلوم « اليونيسكو » - اسبانيا
314 - 195	القسم الرابع :
196	صور من غرناطة
205	الحمراء
236	قرطبة ومسجدها
253	أشبيلية : المئذنة والقصر
280	تيرويل « طرويل »
289	سهلة بنى رزين
299	طليطلة
305	شرح الصور

315 -	القسم الخامس
316 - 334	رثاء الاندلس . ابن الأثير البليسي
317	المقصورة . ابن حازم القرطاجني
321	نكبة الاندلس . ابو البقاء الرندي
323	حسرة على الاندلس . شاعر مجهول
325	الرحلة الى الاندلس . أحمد شوقي
328	احزان في الاندلس . نزار قباني
331	اسقف « سانس » يطلب رأس « عنيسة بن سحيم »
333	الاندلس والخطأ الكبير
337	الفهرس

